الجمهوريـــة الجزائـــرية الديمقـــــراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران – السانيا –

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية

بعنـــوان

هجرة الأندلسيين إلى بـلاد المغرب الأوسط خـــلال القــرن(7 هـ / 13 م) ودورهـــم الثقـافـي.

من إعداد الطـالب:
عمارة سيدي محمد

إشراف الأستاذ الدكتور:
محمد بــن معمـر

2014/04/21

أعضاء اللجنة

أ . د عبد المجيد بن نعمية	رئيسـا	جامعة وهران
أ.د مـحمـد بن معمـــــر	مُشرفا	جامعة وهران
أ. د مـحــمـد بوركبـــة	عضـوا	جامعة وهران
أ . د أحـمـــد الحمـــدي	عضـوا	جامعة وهران

السنـة الجامعية 1433 – 1434 هـ / 2012 – 2013 م

الإهداء

إلى والدي وأمي و زوجتي وابني معاد.

إلى كل من أحبني في الله.

إلى كل من أحببته في الله.

إلى الأندلسيين الذي هُجروا من وطنهم و أوذوا في دينهم بغير وجه حق.

شكر وتقدير

إن أسمى عبارات الحمد و الشكر العطرة أرفعها مُتواضعا إلى مقام رب العزة ذي الجلال والإكرام على ما أولاني إياه من النعم المتوالية والتوفيق والخير العميم.

ثم أخص بالاحترام والتقدير الأستاذ المُشرف الدكتور محمد بن معمر لما بذله من جهد مشكور في إكمال هذه الرسالة من خلال ملاحظاته المنهجية القيمة وصبره علي.

كما أن جزيل الشكر يتوجه إلى نخبة الأساتذة الذين استفدت منهم ومن خبراتهم ومن تواضعهم خاصا بالذكر الفضلاء الآتية أسماؤهم:

أ . د بن نعمية عبد المجيد.

أ . د الحمدي أحمد.

أ . د بوركبة محمد.

أ . د بحري محمد.

قائمة الرموز:

ج: الجزء

مج: المجلد

د ت: بدون تاريخ الطبع

ق م: قسم الموحدين

س: السفر

ق: القسم

ك 3: الكتاب الثالث

موفم: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

المقدمة:

لقد نشطت الحملات الصليبية خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) على أرض الأندلس، وتنادى ملوك النصارى في ممالكهم القوية، بل وفي أوروبا كلها لنصرة الصليب، في الوقت الذي كان المسلمـون لا يخرجون من فتنة حتى يدخلوا أخرى هي أعظم وأطم، وذلك طمعا في كرسي زائل ورسم حكم خامل.

فكثُر على أثر ذلك الأمراء والخلفاء المتناحرون في الأندلس، لا سيما بعد انهيار سلطان الموحدين فيها تحت وطأة الهزائم العسكرية الكبيرة، وانشغالهم بفتن الكرسي في مراكش وما جاورها.

أدى ذلك الوضع السياسي المُتعفن إلى اندفاع جيوش النصارى في حماسة وشوق لاقتلاع الوجود الاسلامي وتنصير الجزيرة. وكان مما زادهم فرحا تذوقهم لنشوة الانتصارات المتتالية على جيوش المسلمين التي أنهكتها الصراعات الداخلية والجانبية بين أمرائها الضِعاف والذين صاروا يستجيشون بالنصارى على بعضهم البعض.

وهكذا شهد القرن السابع للهجرة سقوطا متواليا ومُحزنا لكُبريات العواصم الإسلامية في الأندلس في فترة لم تتجاوزِ الثلاثين عاما، وهو ما حتم على الأهالي الاختيار بين الهجرة أو التهجير أو التقتيل أو التنصير.

ومع اشتداد وطأة الهجمات النصرانية الناجحة على الأراضي الأندلسية، اضطَر الأهالي خلال القرن 7 هـ / 13 م ، إلى ترك الوطن الذي تقاسمته الممالك النصرانية، في غياب الناصر والمنافح عنه. و تقطعت السُبل بالأندلسيين المنكوبين في وطنهم، وهاموا على وجوههم في كل صوب، وذلك طمعا في الوصول إلى أماكن أكثر أمناً يُمكن أن تقوم مقام الوطن الضائع، في الوقت الذي شمرت فيه الممالك النصرانية عن ساعد الجد – في ظل تنامي قواها العسكرية والاقتصادية مع ما واكبه من استقرار سياسي - للاستيلاء على كل ما أمكنها من أراضي المسلمين الغنية والخصبة.

وفي هذا الوقت العصيب الذي كانت تمر به بلاد الأندلس، كانت الأوضاع في بلاد المغرب الأوسط – بعد انفراط عقد الدولة الموحدية - تتمخض عن قيام دولتين مُستقلتين هما الحفصية في افريقية وشرق المغرب الأوسط، و الزيانية أو العبد وادية في أغلب المغرب الأوسط.

لقد تنافس حكام الدولتين على استقطاب الوافدين و المهاجرين الأندلسيين، لا سيما الكفاءات والنخبة الممتازة من العلماء والساسة والأدباء، وذلك لبعث نسيم الحضارة في مفاصل دولتيهما الفتيتين،من خلال إسناد المناصب الحساسة إليهم. وكان لذلك الأثر البالغ على تطور المغرب الأوسط وازدهار الحياة الفكرية والثقافية والسياسية خلال القرن السابع الهجري.

ومن هنا حاول هذا البحث الاجابة على الاشكال الرئيسي و المتمثل في:

- معرفة الدوافع المُتعددة والأسباب الحقيقية التي أجبرت الأندلسيين على ترك موطنهم ومسقط رأسهم و أرض أجدادهم الفاتحين الأوائل، و اختيارهم المغرب الأوسط للمكوث المؤقت أو الاستقرار النهائي.

وهذا ما يقودنا بطبيعة الحال إلى البحث عن الإجابة لمجموعة تساؤلات من بينها:

- طبيعة الحالة السياسية والعسكرية للدولة الموحدية في الأندلس خلال القرن السابع الهجري، ومدى قدرتها على الإمساك بزمام الأمور في ظل تنامي قوة الممالك النصرانية.

- الوقوف على أهم مظاهر التقهقر الإسلامي والتفوق النصراني في الأندلس من خلال تساقط الحواضر المهمة فيه.

- معرفة المقومات الطبيعية والسياسية التي لأجلها رست قوافل المهاجرين الأندلسيين البرية والبحرية بالمغرب الأوسط بصفة مؤقتة أو دائمة.

- تمييز مظاهر الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة ومعرفة الأشكال

التي اتخذتها هذه الهجرة الأندلسية، بين هجرة البيوتات كبيت بني الملاح مثلا، أو هجرة مؤسسي البيوتات الأندلسية التي ستقوم لاحقا على أرض المغرب الأوسط، أو هجرة الأفراد الذين خلفوا وراءهم أهلهم وعيالهم .

- تمييز المكانة الاجتماعية للمهاجرين الأندلسيين بين النخبة العلمية و النخبة السياسية وعوام الناس.

- تتبع الأثر والدور الثقافي الذي أفرزته هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة، وذلك في بعض الميادين المُهمة لا سيما تنشيط الحركة العلمية، وميدانا التعليم والتصوف.

وللإجابة عن هذه التساؤلات انبعث المنهج الاستقرائي و الوصفي ثم المنهج التحليلي، إذ كان لا بد من استقصاء الحوادث والأسباب وتحليلها للخروج بنتائج دقيقة ووافية.

ولقد اجتمعت جُملة من الدوافع التي بثت العزيمة في نفس الباحث لاختيار هذا الموضوع والتي يمكن أن نُجملها في الآتي:

- إن هجرة الأندلسيين الكثيفة كان لها الأثر القوي على تاريخ المغرب الأوسط وازدهاره خلال فترة الدراسة وما بعدها وصولا إلى عصرنا الحالي.

- مظاهر التهميش الذي اكتنف هجرة الأندلسيين الوافدين إلى المغرب الأوسط، من خلال قلة الدراسات والمقالات العلمية الجزائرية المُتخصصة.

- التنقيب عن تاريخ هؤلاء المُهجرين من وراء البحار، والذين كانوا شُهودا على ضياع وطنهم في أحداث أليمة ومريرة، والوقوف على شجاعتهم بعدم الاستسلام لليأس، واستئنافهم مسيرة الحياة والحضارة والرقي العلمي على أرض المغرب الأوسط رغم كل الظروف الصعبة التي أحاطت بمختلف مراحل حياتهم وهجرتهم وما أعقب ذلك من صراعات مقيتة ومؤامرات مميتة في أروقة البلاطات الجديدة التي استقبلتهم.

و في الطريق للإجابة عن إشكالية البحث الرئيسية وما تفرع عنها من التساؤلات، واجهت الباحث جُملة صعوبات مُتنوعة، أخرت وأثرت أحيانا كثيرة على البحث ومُجرياته، لكنها بالمقابل زادتني ولله الحمد شوقا وتطلعا لإنهائه وإخراجه عل أحسن وجه أكاديمي وعلمي.

ولم تخرج المصاعب غالبا عن النقص الكبير في المراجع والدراسات الجزائرية المُتخصصة.

- عدم تعاون بعض عمال المكتبات الجامعية مع الباحث، بمنعهم – غير المُبرر - استعارة الدراسات والرسائل الأكاديمية خارج أسوار الجامعة ، بالإضافة إلى منع تصوير بعض صفحاتها القلائل حتى بآلة التصوير الرقمية التي تحفظ للباحث وقته وجهده وتركيزه. وتحفظ الدراسات على الرفوف،رغم ما في هذه الاجراءات من تعسف ومُضاعفة لمتاعب الباحثين عموما، والعجيب توفر الكثير من الدراسات والأبحاث غير الجزائرية و حتى المصادر والمخطوطات الهامة على الشبكة العنكبوتية مجانا وبسهولة ويُسر.

يُضاف إلى ما تقدم الاهمال والنسيان الكبيرين الذين أصابا تلك الدراسات والأبحاث الجزائرية الجادة والمهمة، في الوقت الذي كان من الواجب المُتأكد على الجهات المعنية طبعها لتحصل الفائدة ولتُشكر جهود أولئك الباحثين الجزائريين.

- ضيق وقت الباحث و كثرة ارتباطاته المهنية والعائلية التي حالت دون تكرار السفر إلى الجامعات والمكتبات خارج وهران إلا قليلا.

ورغم الصعوبات السالفة الذكر فقد تمكنتُ من تجاوزها إلى بناء خُطة لبحثي تتصدرها **مقدمة** ويليها **الفصل الأول** الذي عنونته بــ**" أسباب هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7 هـ - 13 م "**، حاولت فيه الإحاطة بأبرز الدوافع التي أجبرت الأندلسيين على ترك أرض أجدادهم ومسقط رأسهم، والتوجه نحو المغرب الأوسط على وجه التحديد والخصوص .

ولقد شهدت فترة الدراسة الزمنية (7 هـ / 13 م) اختلال موازين القوى بين الدولة الموحدية التي لم تقم لها قائمة بعد هزيمة العقاب، وبين الممالك النصرانية التي استطاع

ملوكها توجيه جهودهم وضرباتهم لاحتلال أكبر رقعة ممكنة من أراضي الأندلس الإسلامية لا سيما الحواضر المُهمة، في ظل ضعف المسلمين وتناحرهم.

ثم خصصت **الفصل الثاني** لـــ: **" مظاهر الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7 هـ - 13 م "**، وفيه ميزتُ بين أهم المظاهر التي اتخذتها الهجرة الأندلسية والمتمثلة خصوصا في مظهرين أساسيين هما:

- البيوتات الأندلسية، سواء تلك التي بدأ تأسيسها على أرض المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة كبيت بني خلدون، أو تلك التي هاجرت بجميع أفرادها كبيت بني الملاح مثلا.

- الأفراد الذين هاجروا بمفردهم أو الذين اصطحبوا عائلاتهم دون أن يتمكنوا من تأسيس بيت أندلسي على أرض المغرب الأوسط. كما قُمت أيضا بتقسيم ظاهرة الأفراد إلى ثلاثة مظاهر جُزئية ممثلة في رجال السياسة و العلماء و عوام الناس.

ثم **أفردت الفصل الثالث** وهو الأخير لـ **" دور المهاجرين الأندلسيين الثقافي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7 هـ - 13 م "**، وفيه قُمت بتتبع أثر الأندلسيين – لا سيما نخبتهم – في الميدان الثقافي على أرض المغرب الأوسط الخصبة ، و انتقيتُ ثلاثة ميادين هي:

- تنشيط الحركة العلمية

- التعليم

- التصوف.

أما عن جانب المصادر المعتمدة في البحث فهي كثيرة ومتنوعة، ذلك أن طبيعة البحث تفرض الإطلاع على عدة أنواع من المصادر التاريخية بغرض جمع المعلومات المتناثرة فيها وغير المنظمة أحيانا لاستكمال الصورة عن المهاجرين الأندلسيين نحو المغرب الأوسط بين الإقامة المؤقتة والدائمة وظروف ذلك، بالإضافة إلى نتائج هذه الهجرة والإقامة بنوعيها.

فمن هذه المصادر ما يتعلق **بالطبقات والتراجم** على غرار:

- عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد البجائي الغبريني. (ت 704 هـ)، والذي يُعد من أهم المصادر التاريخية في هذا الباب لأنه يُترجم لستة وثلاثين شخصية علمية أندلسية حلت ببجاية بصفة مؤقتة أو دائمة خلال القرن السابع الهجري ودورهم العلمي والأدبي والسياسي.

- المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي لابن الأبار، وهو من أكمل المصادر التي تعرضت لترجمة كبار الأعلام الأندلسيين الذين تتلمذوا أو عاصروا القاضي أبي علي الصدفي، وقد أفادني هذا المصدر في التعريف بسير الأندلسيين الذين قُدر لهم أن يُهاجروا إلى المغرب الأوسط بالإضافة إلى التعريف بشيوخهم.

- الحلة السيراء لابن الأبار، وهذا الكتاب من أجل ما كتبه أهل الأندلس عن العدوتين الأندلسية والمغربية مع تراجم جليلة عن أعلامهما، وتمتد الفترة المتناولة من القرن الأول الهجري إلى منتصف السابع الهجري. ولا يخفى ما قدمه هذا المصدر النفيس لبحثي في ترجمة الأعلام من القادة والسياسيين والعلماء، وكذا الأحداث التي استجدت بعد هزيمة العقاب وتساقط حواضر المسلمين في الأندلس وما أعقب ذلك من الهجرة والتهجير، لا سيما وأن ابن الأبار كان شاهد عيان يكتب مباشرا للأحداث مما أضفى على كتاباته المصداقية والأهمية بما كان.

ومنها ما يتعلق بكتب **التاريخ العام** وهذا على غرار:

- تاريخ ميورقة لابن عميرة، وهو من أهم المصادر التاريخية في هذا الباب، لأنه يُمثل إفادة شاهد على سقوط بلده ميورقة بيد النصارى وظروف ذلك ونتائجه الوخيمة، والتي ستتكرر في سلسلة من الأحداث الأليمة التي لم تسلم منها الحواضر الأندلسية الأخرى المهمة .

- البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (بعد 712 هـ) بقسمه الذي خصصه لتاريخ دولة الموحدين، وهو ما أفادني عند الحديث عن معركة العقاب وتضعضع حكم الموحدين في الأندلس من جراء المشاكل السياسية الخطيرة في بلاط مراكش، والتنافس المقيت على كرسي الخلافة المنهارة بشتى السبل من الاغتيال والاحتيال وحتى التحالف مع النصارى.

- بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكريا يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي ابن خلدون (ت 780 هـ)، والذي أفادنا بشكل كبير من خلال جزئه الأول؛ الذي تصدرته مقدمة جليلة ضمت تراجم لجملة من الشخصيات العلمية الأندلسية – على وجه الخصوص - التي حلت وارتحلت إلى تلمسان.

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد بن إبراهيم الزركشي (ق 9 هـ)، وموضوع هذا الكتاب التأريخ الموجز للمغرب العربي في القرون الهجرية: 6 – 7 – 8 – 9 الموافقة للقرون الميلادية: 12 – 13 – 14 – 15، متناولا الدول الكبرى التي قامت على أقاليمه الثلاثة،خصوصا في مراكش وتلمسان وتونس. إلا أن الغرض الأساسي من هذا الكتاب تدوين تاريخ الدولة الحفصية على وجه الخصوص بتونس، وقد كان مؤلفه شاهد عيان لما عاصره وراوية ثبتا عن أئمة أعلام لما سبقه من أخبارها. ومن هنا ظهرت أهمية هذا المصدر لبحثي، إذ أنه أعانني على إماطة اللثام عن كثير من النقاط، كان من بين أبرزها:

- الحديث عن سياسة الخلفاء الحفصيين – لا سيما الأوائل – في تشجيع الهجرة الأندلسية النخبوية، ومظاهر العناية بها من خلال إسناد المناصب العليا في الدولة إليها سواء ببجاية – المحطة الأولى في طريق المهاجرين الأساسية – أو في تونس العاصمة.

- الحديث عن المؤامرات والفتن التي طبعت العلاقة بين حزب الموحدين – أهل الديار – وبين الأندلسيين الوافدين، وما نتج عنه من قتل واغتيالات طالت شخصيات علمية وسياسية وأدبية من المهاجرين الأندلسيين على غرار: ابن عصفور و ابن الأبار.

وأما كتب **الرحلات والجغرافيا** فأذكر:

- الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، والذي يُعد معجما جغرافيا مُهما للتعريف بأشهر البلدان والمدن. مع ذكر حدودها وشيء من تاريخها ومقوماتها الطبيعية .وقد جاء هذا المصدر المهم مُرتبا على حروف المعجم لتسهيل الوصول إلى كشف اسم الموضع المراد. وقد أفادني هذا المصدر من جهة التعريف بكل مدينة جاء ذكرها في بحثي، بالإضافة إلى اقتناص الفوائد عن الشخصيات والأحداث السياسية المتنوعة، لا سيما عند الحديث عن سقوط الحواضر الإسلامية في الأندلس.

- المُغرب في حُلى المغرب لأبي الحسن علي بن موسى الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي (ت 685 هـ) بجزئيه الأول والثاني.

ويُعد الكتاب المتقدم الذكر من أهم المصادر التي أفادتني في التعريف بالحواضر الأندلسية، إذ تعرض مؤلف هذا الكتاب لوصف مختلف ممالك الأندلس وكوره وبلدانه في الشرق والغرب والوسط والجنوب، مع التعرض لذكر أعلام وشخصيات كل منطقة وما خلفوه من الأشعار المتنوعة.

وأما كتب **النوازل والفتاوى** فأذكر على وجه التحديد:

- أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يُهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، لأبي العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني الونشريسي (ت 914 هـ). وهي جواب للونشريسي عن سؤال ورد إليه ونصه: هل تجوز إقامة المسلم في بلد غلب عليه النصارى ؟.

وهذا المصدر بالأهمية بما كان لبحثي، لأنه يؤرخ لفترة مهمة من تاريخ الأندلس شهدت تساقط حواضره الكبيرة بيد النصارى وطرد المسلمين منها أو تقتيلهم أو تنصيرهم أو تدجينهم، أي السماح لهم بالإقامة بشرط الخضوع والذلة.

لقد وقف الباحث على عدة كتابات مرتبطة بالموضوع من قريب ومن بعيد، تنوعت بين البحوث العلمية والمقالات المتخصصة. إلا أن ما كُتب لحد الساعة لم يوف – في نظر الباحث – الموضوع حقه ومستحقه.

وكان من بين ما اطلع عليه الباحث، رسالة ماجستير بعنوان:**" البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3 هـ إلى نهاية القرن 9 هـ "** لكاتبها **رفيق خليفي.**

هذه الدراسة على شموليتها وتوسعها في احصاء البيوتات الأندلسية التي قامت على أرض المغرب الأوسط خلال ستة قرون، إلا أنها لم توف موضوع بحثنا ولم تشف غليلنا.

ذلك أن هذه الدراسة لم تُفرق بين الأندلسيين الذين هاجروا خلال القرن السابع الهجري نحو المغرب الأوسط، وبين الذين تقدم دخول أجدادهم إليه فعاصر أحفادهم وذريتهم القرن

السابع الهجري وهم معدودون مغاربة ميلادا ونشأة، و لم يرتبطوا بالأندلس إلا من جهة النسب والأصل الأول فقط.

ولم تتعرض الدراسة المتقدمة الذكر إلى الأندلسيين الذين هاجروا بمفردهم، إلى جانب إغفال الحديث عن أثر الهجرة الأندلسية في الجانب العلمي والثقافي.

تلا ذلك استئناس الباحث بمقال عنوانه: " هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام " لكاتبته نصيرة عزرودي، والذي ذكرت خلاله ظروف الهجرة الأندلسية والعناية السياسية لحكام الدولتين الحفصية والعبد وادية بالمهجرين الأندلسيين، ثم تقييم التجربة الأندلسية على أرض المغرب الأوسط بشيء من الاختصار غير المُخل.

كما اطلعتُ في بحثي على كتاب " تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م " لروبار برنشفيك ،وهو في الأصل أطروحة ضخمة قدمها الباحث المذكور لنيل درجة دكتوراه الدولة في سنة 1939 م، ثم نُشرت في جزئين بإشراف معهد الدراسات الشرقية بالجزائر، فظهر الجزء الأول في سنة 1940 م، و تلاه الجزء الثاني في سنة 1947 م.

هذه الدراسة الضخمة تناولت جميع جوانب تاريخ الدولة الحفصية، من بداية القرن الثالث عشر الميلادي إلى نهاية القرن الخامس عشر، مبينا بالشرح والتوضيح كل الأطوار التي مرت بها هذه الدولة البربرية والتي بسطت سلطانها في وقت من الأوقات، على كامل المنطقة الممتدة من طرابلس شرقا غلى بجاية غربا.

كما سلط صاحب الأطروحة الضوء على مختلف مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في عهد سلاطين بني حفص. وقد أفادني هذا المرجع المهم كثيرا عند الحديث عن المهاجرين الأندلسيين الذين استوطنوا أو مروا بالمغرب الأوسط، وعن الاهتمام السياسي الذي أبداه سلاطين هذه الدولة بهم – لا سيما نُخبتهم -، رغم ما تسبب فيه هذا التفضيل من مشاكل ومؤامرات واغتيالات بين حزب الموحدين – المحليين – والوافدين الجُدد.

كما استفدتُ كثيرا من المقالات والبحوث التي نُشرت على صفحات مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد،والتي غطت جانبا مهما من البحث.

هذا و أسأل الله الكريم التوفيق والسداد في بحثي .والحمد لله رب العالمين.

الفصـــــل الأول

أسباب هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوســـط خـلال القــــرن 7 هـ - 13 م.

تمهيد:

لقد تعاقب على الأندلس الكثير من الدول التي حكمتها لفترات مُتفاوتة وكان من أبرزها الدولة الموحدية [1]،ورغم الجهود الكبيرة التي أداها خلفاء هذه الدولة المترامية الأطراف للحفاظ على بلاد الأندلس موحدة؛ إلا أن ذلك لم يكن ليفي بالغرض على ما يبدو في مواجهة هجمات الممالك النصرانية، والتي عرفت تصاعدا ملحوظا لا سيما بعد سقوط خطي الدفاع الأول والثاني في الثغرين الأدنى (طليطلة) والأعلى (سرقسطة) على التوالي في سنتي 487 و 512 هـ.[2]

ورغم سعي الموحدين لصد هجمات النصارى،و التي تكللت بإحرازهم لانتصارات حاسمة في بعضها كما حصل في معركة الأرك [3]؛ إلا أن الأمر أخذ يخرج عن نطاق السيطرة في

ظل اختلال ميزان القوى، ليُشكل بداية مرحلة جديدة بين النصارى الزاحفين بجيوشهم من الشمال وبين المسلمين أهل الديار، أولئك الذين أضحت مُدنهم وحواضرهم تحت رحـــــمة

1 وهي دولة من البربر قامت على أنقاض دولة المرابطين (454 -543 هـ / 1062 -1148 م)، أو دولة الملثمين البربرية أيضا، كان المؤسس لدولة الموحدين ومؤصل عقيدتها محمد بن تومرت المهدي(ت 524 هـ / 1130 م)، ثم قام بالأمر من بعده خليفته والمُقرب إليه، عبد المؤمن بن علي الكومي (ت558هـ/1163م)، وهو الذي قضى على دولة المرابطين، واكتسح عاصمتهم مراكش في سنة 543 هـ / 1148م،انظر، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان، ك 3، 1963، ص ص 245 -270.

2 لمزيد التفصيل يُنظر، حسين مؤنس، الثغر الأعلى في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، 1992 م – 1413 هـ ، ولأخذ صورة واضحة عن حدود الأندلس وتقلصها تدريجيا، يُراجع، شاكر مصطفى،الاندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص 108 -109، ويُراجع أيضا، فايزة بنت عبد الله الحساني، تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها(316 – 512 هـ ت 928 – 1118 م)، دراسة سياسية وحضارية، إشراف، سعد عبد الله البشري،بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي،1429 – 1430 هـ،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلايمة، جامعة أم القرى، مكة.

3 وذلك في 9 شعبان 591 هـ / 18 يوليو 1194 م ؛وقد دارت رحى هذه المعركة قريبا من حصن الأرك بالأندلس، وهو حصن منيع في مدينة رباح، محمد بن عبد المنعم الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس،مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1984، ص 27 .

ضربات النصارى.[1]

والذي يهمنا هو استقصاء أهم الأسباب التي شكلت مُنعطفا حاسما دفع بأهل الأندلس إلى مغادرة وطنهم وأرض أجدادهم إلى غير رجعة، وإيثار حياة الهجرة واللجوء رغم ما يُصاحبهما غالبا من البؤس والحرمان وخسارة كل شيء مع لوعة دائمة وكامنة على مفارقة الوطن.

ولعل أبرز ما دفع بالمهاجرين الأندلسيين إلى استبدال بلادهم بغيرها شرقا و غربا على وجه العموم، والمغرب الأوسط على وجه الخصوص مـــا يلـي:

1- هزيمة العقاب وانهيار الحكم الموحدي في الأندلس:

أ- معركة العقاب:

وهي المعركة التي شهدت انكسار جيوش الدولة الموحدية المُروع، هذه المعركة التي يُسميها النصارى (لاس نافاس دي تولوسا)، ويُسميها المسلمون بمعركة العِقاب – بالكسر- أو حصن العقاب.[2]

لقد دارت رحى القتال المرير بين المسلمين والنصارى بتاريخ الاثنين الخامس عشر من شهر صفر سنة 609هـ؛ وهو الموافق للسادس عشر من يوليو عام 1212 م،وهذا ما تأخذ

1 عبد القادر بوباية،"إسهام العلماء الاندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13م) " ، عصور الجديدة –العدد2- عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية 2011 م/ 1432 هـ ، ص 159.

2 العقاب جبل مطل على خارج غرناطة بينهما نحو ثمانية أميال، وهو مجاور لمدينة البيرة، وقد حصلت هذه المعركة الحاسمة بمديرية جيان الحالية على بعد خمسة كيلومترات شمال شرق لاكارولينا،وانظر، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة، تعليق، ابن أبي شنب و ألفريد بل، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1337 هـ - 1919 م، ص 123 – 124، الحميري، مصدر سابق، ص 416، يُنظر أيضا، علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1972، منفردا بالتسمية بالحصن ص 238.

به أغلب الروايات الاسلامية متفقة بذلك مع نظيرتها من الروايات النصرانية [1]. وينفرد ابن خلدون بوضع تاريخ المعركة أواخر صفر من سنة 609 هـ. في حين أن صاحب البيان المغرب يضعها في يوم الاثنين الثامن من صفر لعام 609 هـ.[2]

وقد جمع النصارى لقتال أعدائهم قوات هائلة لم يسبق أن اجتمعت لحرب المسلمين ، فقد كان فيها ملوك قشتالة وليون ونافار وأرجون ومعظم كبار فرسان إسبانيا النصرانية وقوات المانية وفرنسية وبرتغالية.[3]

وقد أسفرت هذه المعركة الطاحنة عن هزيمة قاصمة و خسائر مهولة في صفوف الموحدين. إذ قتل منهم خلق كثير لا يُحصى تجاوز عشرات الألـــوف، و فنيت جيوش

1 المراكشي، مصدر سابق ، ص 402 ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس، ص240، الحميري،مصدر سابق، ص 416، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، الطبعة الثانية – 1985، ج 2، ص 273، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي، السفر الأول من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة،القسم الأول،دار الثقافة- بيروت – لبنان، ص 562، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوســي المراكشي، السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة- بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1973، ص 168، حسين مؤنس ،معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، مكتبة الأسرة، 1992، ص233 حيث يرى الباحث أنها كانت في 17 يولية ؛ وهشام أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الأندلس، دار الفرقان،الطبعة الأولى، 1404 هـ - 1984 م، ص 290 يرى أنها كانت في 19 يوليو.

2 عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421 هـ-2000م، ج 6 ،ص 336، المصدر السابق نفسه، ج 4، ص 214 ، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب- قسم الموحدين-، تحقيق مجموعة من الأساتذة دار الغرب الاسلامي- بيروت- لبنان، الطبعة الاولى 1406- 1985 ،ص 263 .

3 حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 233 و ص 439 وما بعدها، شاكر مصطفى،مرجع سابق، ص109 ، يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق، محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1471 هـ - 1996 م، ج 2 ،ص ص109 – 120، رسائل موحدية، تحقيق، أحمد عزاوي، ج 2، منشورات كليــة الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة،سلسلة: نصوص ووثائق، رقم 2، الطبعة الأولى،1422 – 2001، ص 178 – 179، حيث عقد ألفونسو الثامن مجموعة تفاهمات واتفاقيات مع باقي القوى النصرانية ضد الموحدين.

المغرب والأندلس حتى أن الإنسان بعدها كان يجول في المغرب فلا يجد شابا قادرا على القتال.

كما أن جمعا كبيرا من العلماء والصُلحاء سقط في هذه المعركة بين قتيل ومفقود[1]. ووصف ابن الدباغ الاشبيلي[2]– الشاعر – هذه الموقعة وتوابعها الخطيرة أيما وصف فقال:

وقائلة أراك تطيل فكــرا   كأنك قد وقفت على الحساب

فقلت لها: أفكر في عقاب   وقد دخل البلا من كل بـــاب.[3]

ولقد تركت هذه الهزيمةُ القاسية آثارها البليغة على بلاد المغرب والأندلس و على الدولة الموحدية نفسها.

1 المراكشي،مصدر سابق، ص 401 وانظر الهامش 2 عن تقدير عدد القتلى ، علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، 1972، دار المنصور، ص 47، الحميري،مصدر سابق، صفحات، 6، 344 – 345، 416، 568، وراجع أسباب الهزيمة ملخصة عند محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411 هـ = 1990 م، ص 317 – 318، وانظر أيضا،رسائل موحدية، مصدر سابق ،ج2، ص ص 177 -181، أشباخ، مرجع سابق،ج 2، ص 121 – 122، عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ(711 – 1492 م)،دار القلم دمشق –بيروت،الطبعة الثانية 1402هـ -1981 م، ص 494- 495، وقد أورد ذكرا لبعض العلماء الذين شاركوا في المعركة وقتلوا، وحول مشاركة العلماء في هذه المعركة وغيرها من مختلف المعارك في الأندلس، يُراجع، عبد القادر علي أحمد الدرة، العلماء الشهداء في الأندلس (400-897 هـ = 1009 – 1492 م)، إشراف خالد يونس الخالدي، بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية، غزة، 1430 هـ - 2009 م، ص ص 81 -84.

2 هو محمد بن ابراهيم بن المفرج الأوسي المعروف بابن الدباغ الإشبيلي، كان واحد عصره في حفظ مذهب مالك، وفي عقد الوثائق، ومعرفة عللها، عارفاً بالنحو واللغة والأدب والكتابة والشعر والتاريخ. وكان كثير البشاشة، عظيم الانقباض طيب النفس، جميل المعاشرة، كثير المشاركة، شديد الواضع، صبوراً على المطالعة، سهل الألفاظ في تعليمه وإقرائه. أقرأ بجامع غرناطة لأكابر علمائها، الفقه وأصوله، وأقرأ به الفروع والعقائد للعامة مدة. وأقرأ بجامع باب الفخارين، وبمسجد ابن عزرة وغيره. توفي برندة يوم الجمعة أول يوم من شوال عند انصراف الناس من صلاة الجمعة من عام ثمانية وستين وستمائة ، لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق،محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة، الطبعة الثانية، 1975 م، مج 3، ص 68 - 69.

3 أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، مج 4، ص 464.

فأما بالنسبة للدولة الموحدية، فقد شكلت بداية فصل جديد – وهو الأخير – في حياة تلك الامبراطورية المترامية الأطراف التي استطاعت جمع بلاد المغرب والأندلس تحت راية واحدة. وسُرعان ما طفت الصراعات الداخلية حول أحقية كرسي الخلافة بوضوح، مما حول بلاد المغرب والأندلس إلى مسرح للمواجهات الدموية ،يُضاف إلى ذلك تفجر الحركات الثورية ذات النزعة الاستقلالية الأندلسية منها والمغربية على حد السواء.و كل ذلك لم يكن خافيا بطبيعة الحال عن الممالك النصرانية المتربصة.

ولم تطل الحياة بالخليفة الناصر (595 – 610 هـ / 1199- 1213 م) بعد المعركة إلا يسيرا ليموت في عاصمته مراكش في يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر شعبان من سنة 610 هـ ودُفن يوم الخميس، مع اختلاف الروايات في تحديد سبب الوفاة الحقيقي .[1]

و أما بلاد المغرب فقد فقدت زهرة شباب رجالها ومُقاتليها المنحدرين من تلك القبائل البربرية التي كانت تُمثل خزانا فعالا يمول العمليات العسكرية فيما وراء البحر. وعجزت بالتالي الدولة الموحدية أن تجدد العهد مع تلك الحملات المتوالية والجرارة. [2]

و أما في الأندلس فقد شكلت هزيمة العقاب سببا رئيسا لتقهقر الاسلام فيها بصورة مروعة وعلى الرغم من أن دولة الموحدين استمرت بعد ذلك لفترة من الزمن.إلا أن معركة العقاب كانت بمثابة " النهاية الفعلية لدولة الموحدين،بل وللعرب والمسلمين في سائر الأندلس ماعدا منطقة غرناطة وما حولها في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الايبيرية".[3]

1 راجع المراكشي،مصدر سابق، ص403، الهامش ، أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ، ص 152، وأن وفاة الناصر كانت في 21 شعبان 610 هـ / 25 ديسمبر 1213 م، وانظر أيضا،رسائل موحدية، تحقيق، أحمد عزاوي، القسم الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة،سلسلة: نصوص ووثائق، رقم 2، الطبعة الأولى، 1416 – 1995، ص 269، أين يورد المحقق رسالة الخليفة الناصر التي يعتذر فيها للمسلمين عن هزيمته في العقاب.

2 أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، مج 1 ، ص 446.

3 محمد زكريا عناني،تاريخ الادب الاندلسي،دار المعرفة الجامعية،1999، ص27، محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الرابعة، 1416 هـ - 1997 م، ص 17 - 18 ، المرجع السابق نفسه، ع 3- ق 2، ص 320.

وسُرعان ما شجعت هذه الهزيمة النصارى. فاندفعت "على أثرها حركة الاسترداد ونشطت نشاطا لم تشهده من قبل وتكالبت على قواعد الأندلس قوى النصرانية وازداد ضغط الممالك الأسبانية المسيحية على ثغور المسلمين و حواضرهم في الأندلس". [1]

لقد تمكنت قوات النصارى في الأيام الأولى لنصرها الكبير ذاك من الاستيلاء على مدينتي بسطة [2] وباغو[3] وما جاورها من القرى والحصون ، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية [4].، كما استولى ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، على غنائم هائلة من أموال ومتاع المسلمين[5] ، ثم قصد مدينتي بياسة [6] وأُبذة [7] ؛فأما بياسة فوجدها أو أكثرها خالية [8] فحرق أدرؤها وخرب

1 كمال السيد أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز اسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2006، ص 212 ، المقري، مرجع سابق، ج 1، ص 446، عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ع 3- ق 2، ص 320، رسائل موحدية، مصدر سابق ، ج 2، ص 182،194

2 تقـع بالقرب من وادي آش، وهي متوسطة المقدار حسنة الوضع، بينها وبين مدينة جيـــان ثلاث مراحل، الحميري،مصدر سابق،ص113، ابن سعيد المغربي، المُغرب في حُلى المغرب، تحقيق، شوقي ضيف،دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1953م، ج 1 ، ص ص77 – 80.

3 ويقال لها أيضا (بيغو)، من عمل غرناطة، الحميري،مصدر سابق ، ص 122، ابن سعيد، مصدر سابق، ج 1، ص ص 154 – 156.

4 الحميري،مصدر سابق ، ص 416.

5 ومن ذلك العلم الموحدي الذي لا يزال محفوظا في إسبانيا، أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ، ص 122.

6 بينها وبين جيان عشرون ميلا، وكل واحدة منهما تظهر من الأخرى. وبياسة على كدية من تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي مدينة ذات اسوار و أسواق ومتاجر وحولها زراعات، ومستغلات الزعفران بها كبيرة ، الحميري،مصدر سابق،ص 121، ابن سعيد، مصدر سابق، ج 1، ص ص 71 -74، وانظر أيضا،محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1417 هـ = 1997 م، ص ص 228 – 232.

7 بينها وبين بياسة سبعة أميال وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير، الحميري،مصدر سابق، ص 6 ، ابن سعيد المغربي،مصدر سابق، ج 1، ص 75 – 76 عنان، الأثار الأندلسية، ص 230.

8 راجع، المراكشي، مصدر سابق، ص 402، الهامش الاول حيث يذكر محقق الكتاب؛ أن الذين تخلفوا في هذه المدينة عن الهروب والنجاة بأنفسهم من بطش النصارى؛ كانوا من المرضى والضعفاء الذي اعتصموا =

مسجدها الأعظم ونزل على أُبذة وقد اجتمع فيها من المسلمين عدد كثير من المنهزمة و أهل بياسة و أهل البلد نفسه. فأقام عليها ثلاثة عشر يومــا ثم اقتحمها عنوة فقتل وسبى وغنم وعاد هو وأصحابه. فكانت هذه أشد على المسلمين من الهزيمة !.[1]

ولم يوقف هذا الزحفَ المتواصلَ على مدن المسلمين إلا مصاعبُ التموين، وانتشار الفوضى بين جنود النصارى الذي أخذت بعقولهم تلك الغنائم المُظفرة. ومع انتشار الوباء بينهم من جراء اشتداد الحرارة وتعفن الجثث التي غصت بها تلك الوديان " ارتد الملوك النصارى في قواتهم نحو الشمال، ودخلوا طليطلة عاصمة قشتالة في موكب ملوكي ضخم، وأقيمت صلوات الشكر ابتهاجا بالنصر، وتقرر أن يغدو يوم 16 يوليه، وهو اليوم الذي تحقق فيه النصر، عيدا قوميا يحتفل به في طليطلة وسائر أنحاء قشتالة، ويسمى عيد (ظفر الصليب) ".[2]

وازدادت عزيمة النصارى وارتفعت معنوياتهم لانتزاع المزيد من أراضي المسلمين وحصونهم تباعا في الوقت الذي ضعف فيه الموحدون، وتنافسوا حول الوصول إلى الحكم وتناسوا أحوال الأندلس. فسقطت البلاد الأندلسية في أيدي النصارى تباعا ودون كبير مقاومة [3] ؛اللهم إلا من أهالي المدن المحاصرة وقد يئسوا من أي نجدة خارجية. وهذا ما سيأتي الحديث عنه لاحقا في موضعه.

=بالمسجد منتظرين مصيرهم الذي انتهى بالقتل بأبشع الصور على يد النصارى وتخريبهم للمسجد، أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ، ص 123.

1 راجع ،المراكشي،مصدر سابق، ص402 -403 ، وقُدرت خسائر المسلمين في أبدة بزهاء ستين ألفا بعد غدر النصارى ونقضهم العهد؛ وسبي مثل ذلك العدد، الحميري، مصدر سابق، ص 6، عنان،دولة الإسلام في الأندلس، ع 3- ق 2، ص 323، أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ، ص 124.

2 عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ع 3- ق 2، ص 224 ، أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ، ص 124، رسائل موحدية، مصدر سابق،ج2 ، ص 183، وطليطلة هي مركز لجميع بلاد الأندلس، الحميري،مصدر سابق، ص 393، عنان،الأثار الأندلسية، ص ص 80 – 92،.

3 عصام الدين عبد الرؤوف الفقى، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق ، ص 276،عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 3- ق 2، ص 320.

وتعددت أوصاف المؤرخين لهزيمة العقاب المفصلية:

- فمنهم من وصفها بالهزيمة العظمى.[1]

- وآخرون بأنها " التي أفضت إلى خراب الأندلس بالدائرة على المسلمين فيها، وكانت السبب الأقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها ". [2]

- وبأنها " الحادثة الشنعاء ".[3]

- وبأنها الواقعة " التي كانت السبب في هلاك الأندلس...".[4]

- و بكونها " أول وهن دخل على الموحدين، فلم يقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة ".[5]

ب- انهيار الحكم الموحدي في الأندلس:

لم تكن هزيمة العقاب في الواقع إلا نذيرا بانحلال الدولة الموحدية وانهيارها لا سيما في بلاد الأندلس الفسيحة ناهيك عن بلاد المغرب، فسُرعان ما تورط أبناء البيت الحاكم في الخصومات والنزاعات حول من يمتلك الحق في الحكم في هذا البناء المتهاوي المُسمى الخلافة. و"انتزى السادة بنواحي الأندلس كل في عمله وضعف ملكهم بمراكش".[6]

1 محمد لسان الدين بن الخطيب، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، صححه، السيد البشير الفورتي، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم، تونس، د ت، ص 122.

2 ابن الأبار، الصلة، ص 124، 234، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 – ق 1 ، ص 562.

3 ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 – ق 1،ص 562 .

4 ابن عذارى،مصدر سابق،ق م، ص 263 .

5 الحميري، مصدر سابق، ص 416 .

6 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص ص 214 -216، راجع أيضا، محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الاسلامي إلى نهاية العصر الحديث، الجزء الأول،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط،1404 هـ، 1983 م،الذي يُقسم العصر الموحدي إلى ثلاثة عصور متمايزة، وأن عصر انحطاط الدولة يبدأ من مفتتح عام 630 هـ إلى فاتح 668 هـ ، ص39.

ودخل الوزراء و أشياخ الموحدين هذا الصراع ، فصاروا يولون ويعزلون حسب ما تقتضيه مصالحهم وأطماعهم المتعلقة بالحكم والنفوذ؛ بل و تورطت الطبقة الحاكمة إلى أبعد من ذلك من خلال الاستعانة بالنصارى – الأعداء - على بعضهم البعض وإسلام حصون المسلمين إليهم .[1]

و لقد أفرز هذا الوضع المتعفن والخطير نتائج خطيرة ووخيمة، لم يكن أولها سفك الدماء لأجل تولية خليفة أو عزل آخر، و الذين كانوا في أكثرهم من الصبية القصر أو الفتيان أو غير القادرين على الحكم في تلك الظروف الدقيقة. ولا آخرها ميل مُجمل الخلفاء إلى الدعة والسكون والانغماس في الشهوات .[2]

وهكذا عم " الانحلال في جبهات سياسية و إدارية وعسكرية ورافق ضعف هذه الجبهات ثورات وفتن وتقلصٌ في أراضي الدولة آل إلى سقوطها بعد أن انهار اقتصادها ".[3]

وقد تعاقب على سُدة الحكم ثمانية من خلفاء الموحدين في الفترة الممتدة من (610 هـ /1213 م) إلى غاية (668 هـ/ 1269م)؛ لم يُعمر بعضهم على كرسي الخلافة إلا بضعة أشهر حتى ينزل به الموت غيلة ممن كان من حاشيته وبطانته كما أسلفنا.

وكان فاتحة هذا العقد من خلفاء – ما بعد هزيمة العقاب - أبو يعقوب يوسف المستنصر بن محمد الناصر) ، و الذي جلس على عرش الخلافة الموحدية بعد وفاة أبيه الناصر المهزوم

1 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4 ، ص ص 214 – 216.

2 أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ، ص 153، عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1403 هـ - 1983 م، ص ص 82 - 86، و الذي يرى أن الصراع على السلطة تجلى بوضوح، لأن أبناء المنصور وأحفاده يرون أنهم أحق بالأمر من سائر بني عبد المؤمن وأحفاده. ويريد أبناء الناصر من بين أبناء المنصور الاستئثار بالخلافة دون سواهم.

3 عز الدين ،مرجع سابق،ص 79 ،راجع، نصيرة عزرودي،" هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7هـ -13 إلى القرن 8هـ - 14م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 04، ديسمبر 2009، ص41 -42.

في معركة العقاب، وامتد حكم المستنصر هذا خلال سنوات (610 – 620 هـ / 1213 – 1224 م) .[1]

كان سن هذا الخليفة الجديد يوم توليه زمام السلطة ست عشرة سنة. قال عنه المراكشي المعاصر للدولة الموحدية:

" لا أعلم له ولدا لحداثة سنه "، مُضيفا بأنه لم يكن محمود السيرة عند والده الناصر" لما كان يسمع من سوء أخباره " .[2]

ونظرا لسنه الصغيرة فقد وقع تحت ضغط الأشياخ، وهم الذي تزايد نفوذهم بعد هزيمة العقاب وصاروا هم المسيطرين فعليا على الدولة.ولم تكن أوامر المستنصر هذا تُمتثل ولم يشهد عهده غزوة "وكل من ولي بلدا عمل فيه برأيه واستبد فيه بأمره ؛ فضعفت دولة الموحدين في أيامه واعتراها النقص وأخذت في الادبار ".[3]

هذه الأوضاع السياسية غير المستقرة ألقت بظلالها – بطبيعة الحال - على استقرار الأندلس وسلامة أراضيه، والتي لم تسلم من عدوان الممالك النصرانية المضطرمة بنار الحماسة الصليبية المتتالية من كل الجهات.

و على الرغم من معاهدة السلام التي انعقدت بين المستنصر وبين مملكة قشتالة في سنـــــة

1 ينفرد صاحب روض القرطاس بتسميته بالمنتصر بالله، ص 241 وما بعدها.

2 المراكشي، مصدر سابق، ص 404، وبعد توليه انغمس فعليا في اللهو والشهوات تاركا الحكم لأقوياء الدولة، يُراجع، أشبـاخ، مرجـع سابق،ج 2، ص 155.

3 ابن أبي زرع، روض القرطاس، مصدر سابق، ص242 ، ابن عذارى،مصدر سابق، ق م، ص 265، و ص 291، أين يذكر تلكأ ابي محمد عبد الواحد الحفصي عن مبايعة المستنصر الحفصي،كمقدمة لما ستؤول إليه الأمور من استقلال أولاد الحفصي بحكم تونس بعد سنوات قريبة، و ظهر في عهد المستنصر أيضا طلائع بني مرين بجهات فاس سنة ثلاث عشرة وستمائة وذلك مقدمة للأحداث السياسية التي ستُلقي بظلالها على بلاد المغرب والأندلس في المستقبل القريب، أنـظر، ابن خلدون،تاريـخ ابن خـلدون، ج 6، ص 337 ، ابن عذارى ،مصدر سابق،ق م، ص ص 266 - 269 ، و يُراجع وصف بني مرين عند، ابن خلدون، مصدر سابق، ج 7، ص 221 وما بعدها، ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ص 11 – 38، و ص 49 -50.

612 هـ / 1215 م؛ ثم جُددت في سنة 618 هـ / 1121 م، إلا أن ذلك لم يحل دون استيلاء النصارى على كثير من معاقل المسلمين ومدنهم في الأندلس.[1]

وعموما فإن الدولة الموحدية مالت شمسها إلى المغيب وآذنت بالسقوط في زمن المستنصر. والذي توفي في شوال أو ذي القعدة من سنة 620 هـ ؛ الموافق للسادس من يناير سنة 1224 للميلاد ؛ وبوفاته اضطرب الأمر واشرأب الناس للخلاف. [2]

ثم اختار أصحاب السلطة والنفوذ في البلاط الموحدي : أبا محمد عبد العزيز بن أبي يعقوب الأول " المخلوع "(620 – 621 هـ / 1223 – 1224 م)،وقيل أبا عبد الواحد بن يوسف والذي كان يومئذ شيخا كبيرا " فكانت خلافته منسوخة ". [3]

ولم يكن اختيار أصحاب القرار و المتنفذين لهذا الشيخ ليتولى الخلافة اعتباطيا ؛ بل كان لغايات وأهداف غير مُعلنة لا سيما مع السرعة في اتخاذه. فشيخوخة هذا الخليفة معناها قُرب وفاته، وإلى حين تحقق ذلك يقوم أهل النفوذ بتصفية خلافاتهم وتوحيد مواقفهم وتقاسم حكم الدولة،فكانت هذه المرحلة أشبه ما تكون بالفترة الانتقالية. بالإضافة إلى سهولة التأثير على هذا الشيخ وتوجيه قراراته. فيستمر الحكام الحقيقيون في تسيير شؤون البلاد حسب هواهم من وراء الأستار كما فعلوا مع سلفه الصبي، لا سيما و أن هذا الشيخ عُرف ببُعده

1 رسائل موحدية، مصدر سابق، ج 2 ، ص ص 182 – 186، المصدر السابق نفسه، ج 1 ، ص ص289 – 306، رسائـــل رقم 77، 78،79،80،81،82،83،84،85، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص ص333 – 334، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار،الحلة السيراء،تحقيق، حسين مؤنس،دار المعارف،الطبعة الثانية، 1985، مقدمة التحقيق، ص 22 – 23،عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين: تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668 – 869 هـ/ 1269 – 1465 م)، إشراف عدنان ملحم، أطروحة مقدمة استكمالا للحصول على درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ،نابلس، فلسطين، السنة الجامعية، 1424 هـ /2003 م، ص 53.

2 المراكشي، مصدر سابق، ص ص 404 -411، ابن عذارى ، مصدر سابق، ق م، ص 269، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصـاري الأوسي المراكشي،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، القسم الأول، تحقيق، محمد بن شريفه، مطبوعـات أكاديمية المملكة المغربية،1984، ص ص 174 -177.

3 ابن أبي زرع، روض القرطاس ،ص 244.

عن المهمات السياسية وقلة دربته فيها فكان أقرب إلى الصلاح والزهد منـه إلى الدهاء السياسي .[1]

واستمرت أيام هذا الخليفة – الشيخ - إلى يوم السبت المُـوفي عشرين من شعبــان احدى وعشرين ثُم تم خلعه، وأشهد على نفســه بذلك قبل أن يتم اغتياله صـبرا ليكون أول قتيل غدرا من بني عبد المؤمن .[2]

ثم قُدم ابن أخ الخليفة المغدور: العادل بن المنصور(621 - 624 هـ / 1223 - 1227م) وهو يومئذ بمرسيــة [3] .

ولم يـكن قد مضى شهران على تـولي عمه - الشيخ عبد الواحد الخلافة، حتى خرج العادل هذا و دعا إلى نفسه، واستدعى أشيـــاخ الموحدين والفقهاء والأعيان بمرسية و أحوازها، ودعاهم إلى مبايعته فلبوا دعوته وتسمى بالعادل، و ذلك في يوم 13 صفر سنة 621 هـ" .[4]

1 رسائل موحدية، مصدر سابق،ج 2 ، ص 201 -202، محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1406 هـ - 1986 م، ص 108 ، عنان، دولة الاسلام في الاندلس،ع 3 – ق 2، ص 349، أشباخ،مرجـع سابق،ج 2 ، ص 156 عز الدين ،مرجع سابق، ص 88.

2 انظر اضافات محقق كتــاب المعجب للأحداث ص 414 – 415، الهامش، حيث يضع تاريخ الخنق في ليلة الاربعاء الخامس من شهر رمضان المعظم سنة احدا وعشرين وستمئة / 20شتنبر 1224 م، ص416 ، وابن خلدون يضعها في ربيع سنة احدى وعشرين وستمائة، ج 6، ص 338 ،أنظر، أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ، ص 156، الذي يضع تاريخ خلعه في 13 صفر سنة 621 هـ / 8 سبتمبر 1224 م، وأنه قُتل بعد ثلاثة أيام من ذلك.

3 بناها الأمير عبد الرحمان بن الحكم سنة 216 هـ، وهي على نهر كبير كنيل مصر، الحميري،مصدر سابق، ص 539 -540، عنان،الأثار الأندلسية، ص ص 99 – 102، ابن سعيد، مصدر سابق، ج 1، ص ص 254 – 261.

4 ابن عذارى، مصدر سابق، ق م ،ص 270.

وعقب ذلك سار العادل إلى اشبــيلية [1] ،واستطاع أن يحصل على تأييد سائر قواعد الأندلس كــلها ولم يشُذ عن طاعته إلا بعض مدنهـــا على غرار:

- بلنســية [2]
- دانيـــة [3]
- شاطبـــة [4]
- جــزيرة شقــر .[5]

وأما في المغرب فلم يُخالف عليه إلا أهل افريقية الساعين حينها للاستقلال بحكم ما تحت أيديهم .[6]

ورغم قصر مدة حكم العادل إلا أن أحداثا جساما استجدت، وألقت بظلالها القاتمة السواد على الخلافة الموحدية لا سيما في الأندلس فسرعان ما اشتعلت بثورة والي جيان- السيد أبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن – الذي أعلن التمرد على العادل ودعـــا

1 مدينة جليلة بالأندلس، وهي مدينة قديمة أزلية، الحميري،مصدر سابق، ص ص85 -60، و ص 175 ابن سعيد،المُغرب في حُلى المغرب، تحقيق، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الرابعة،1955، ج2، ص ص 237 – 278،عنان، الآثار الأندلسية، ص ص 45 – 69.

2 تقع في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما وعلى الجادة ثلاثة عشر يوما، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس، الحميري،مصدر سابق، ص 97،ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج 1، 295 -303،الآثار الأندلسية، ص ص 93 – 98.

3 مدينة في شرق الاندلس، على البحر عامرة حسنة، ولها قصبة منيعة جدا، الحميري،مصدر سابق،ص 231-232،ابن سعيد ، مصدر سابــق، ج 1، ص ص 399 - 416، عنان، الآثار الاندلسية،ص ص 93-98.

4 مدينة جليلة متقنة حصينة لها قصبتان ممتنعتان، وهي كريمة البقعة كثيرة الثمرة عظيمة الفائدة طيبة الهواء، الحميري،مصدر سابق، ص 337،ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 1، ص ص 379 – 392،عنان، الآثار الأندلسية، ص ص 139 – 144.

5 جزيرة بالأندلس، قريبة من شاطبة، وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا. وهي حسنة البقعة كثيرة الشجار والثمار والأنهار ،الحميري، مصدر سابق،ص 350،ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 1، ص ص 363 – 374.

6 ابن أبي زرع،روض القرطاس، ص 246،عنان، دولة الاسلام في الاندلس، ع 3 – ق 2،ص 356.

إلى نفسه وتسمى بالظافر،وأطاعته عدة قواعد أندلسية منها جيان[1] و أبدة و بياسة وغيرها واشتهر بالبياسي.

فشل جيش العادل في اقتحام بياسة مرتين بعد حصارها، و شهدت المحاولة الثانية هزيمة نكراء للجيش الموحدي بعد رؤيتهم لمئة من فرسان البياسي يؤازرهم الجنود النصارى ، وكان البياسي قد أسكنهم في قصــبة المدينة المنيـعة .

و " بقي صاحب بياسة ببلده ولا أحد يرومه إلى أن تملك قرطبة [2] ومالقة [3] وغيرهما وكاد يستولي على الأمر لو ساعده المقدار".[4]

ولم يتوان هذا الموحدي المنشق في الاستعانة بالنصارى، والتنازل عن الأرض والعز وحتى الدين مقابل حكم زائل رغم شناعة ذلك، فقد عقد اتفاقا مع الملك فرناندو الثالث ملك قشتـــالة مُعلنا التبعية الرسمية له.[5]

لقد كان هذا التحالف المخزي موجها إلى تحقيق المآرب الشخصية رغم ما سعتريه من سفكٍ لدماء المسلمين – أبناء الدين والجِلدة والوطـن-، وذلك يُذكرنا بمهازل الطوائف التي فتحـت عيون النصارى قبل القرن السابع الهجري بكثير على حقيقة الخلاف بين المسلمين ومنشئه

1 بينها وبين بياسة عشرون ميلا وهي على سفح جبل،كثيرة الخصب رخيصة الاسعار، لها قصبة حصينة ، الحميري، مصدر سابق، ص 183 -184،ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 1، ص 49 – 50.

2 قاعدة الأندلس وأم مدائنها، الحميري،مصدر سابق، ص ص 456 -459، ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 2، ص ص 35 – 178، وقد اختلف في كيفية تملك البياسي لقرطبة، لأن ابن عذارى يجعل تولي البياسي لقرطبة عن تكليف من العادل سنة 622 هـ، ثم نكث البيعة واستعان بالنصارى، ص 270 -271 ، وصاحب روض القرطاس يقول أن أهل قرطبة هم الذين انضموا إليه، ص 246.

3 مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قبليها، الحميري،مصدر سابق، ص 517- 518.

4 الحميري،مصدر سابق، ص121، ابن أبي زرع،روض القرطاس، ص 246، الذي يصفه بأنه أول من سن اعطاء البلاد والحصون للروم، ابن خلدون، مصدر سابق،ج6 ، ص 337.

5 ابـن الأبار، الحـــــلة السيـراء،مقدمة التحقيــق، ص 24، ابن عذارى يتحدث عن ردة البياسي، ق م، ص 271، والملك فرناندو الثالث،هو الملك الذي قُدر له أن يستولي على كُبرى حواضر المسلمين في الأندلس،وسيأتي بيانه في موضعه.

وكيفية استثماره. ولم يتأخر الملك النصراني بطبيعة الحال عن تلبية دعوة البياسي والتي كانت بمثابة الفرصة الذهبية له – ولغيره من الملوك النصارى – لاستكمال المشروعات الحثيثة لتصفية الوجود الإسلامي في الأندلس، من خلال احتلال المزيد من الأراضي وتهجير أهلها منها طوعا أو كرها.[1]

واستمرت فتنة البياسي هذا حوالي السنتين . صحيح أنها كانت فترة قصيرة لكن عواقبها كانت وخيمة على الوجود الإسلامي في الأندلس، إذ استولى النصارى بمعية البياسي هذا على الكثير من أراضي المسلمين والتي مهدت لسقوط العواصم الكبرى بعدها بزمن يسير، ويُمكن إجمال أهم أحداث هذه الفترة بإيجاز في النقاط الآتية:

* تعهدَ البياسي بتسليم ما يطلبه ملك قشتالة من الأراضي، ولإبراز حسن نواياه قدم ابنه لفرناندو كضمان وأسكن جنود النصارى قلعة بياسة المنيعة **!.**

* كانت أول مدينة تجرعت مرارة خيانة البياسي هي مدينة قيجاطة [2] ، وذلك في أواخر سنة 622هـ / سبتمبر1224 م . فدخلها بالسيف وقتل فيها بمعاونة نصارى قشتالة خلقا وأسروا آخرين وكان حديثها تنفر منه الأسماع والقلوب.[3]

* تعرضت أراضي جيان للإفساد،وقتل البياسي رفقة حلفائه من أهلها نحو ألف وخمسمائة،

وفي العام الموالي أعني سنة 623 هـ / 1225م هُوجمت مرة أخرى و شُدد حولها الحصار. ولم ينفعها إلا منعتها ورغم ذلك أُصيب في الاشتباكات الكثير من أهلها، فقُتل مائة وثمانون وأسر نحو ألفين وانتهى الأمر برفع الحصار عنها. [4]

1 أشباخ،مرجع سابق،ج 2 ، ص 156، عز الدين،مرجع سابق، ص 84.

2 وهي من عمل جيان، الحميري، مصدر سابق، ص 488 ،ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 1، ص 63 – 64.

3 الحميري،مصدر سابق، ص 488 ، ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 271.

4 عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 357 – 358.

* تواصل نزيف المدن والأراضي الإسلامية بسقوط حصن القبذاق [1]،ثم جاء الدور على لوشة [2] ،فقاتل البياسي أهلها و قاتلوه وأسمعوه ما غاظه فسلط عليهم النصارى ففتكوا فيهم أشد الفتك.[3]

* تعرضت غرناطة [4] نفسها لحصار القشتالي ،ولم يتنه الأمر إلا بعد الوساطات ، برحيله عنها مقابل تسلمه الفا وثلاثمائة أسير من النصارى .[5]

* سار البياسي الذي اغتر بقواته وحلفائه -عشرين ألفا - صوب اشبيلية، واستطاع أن يهزم مرة أخرى جيوش الموحدين، فأوقع بأهل المدينة سنة 622 هـ وقتل منهم نحو ألفي رجل .[6]
.[6]

وبسبب انتصارات البياسي تلك، دانت معظم البلاد والحصون الواقعة شرقا بين اشبيلية وقرطبة لطاعته. بل إن أهل مدينة قرطبة ذاتها لما رأوا تفوق البياسي على جيوش الموحدين على هذا النحو الحاسم، خلعوا طاعة حاكمهم الموحدي السيد أبي موسى أخي العادل، وأعلنوا طاعتهم للبياسي.[7]

---

1 وهو من حصون قلعة بني سعيد التابعة لمملكة إلبيرة، ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 1، ص ص 182 – 184.

2 وهي من عمل غرناطة وبينهما مرحلة من احسن المراحل بين أنهار وظلال وأشجار في بساط ممتد، الحميري،مصدر سابـق، ص 488، ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 2، ص 157.

3 المقري،مرجع سابق،ج 4 ، ص 361 أين يضع تاريخ سقوطها في 622 هـ .

4 أو أغرناطة، وهي مدينة أندلسية بينها وبين وادي آش أربعون ميلا موصوفة بالحسن والحصانة، الحميري، مصدر سابق، ص 45 -46، ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 1، ص ص 182 – 184.

5 راجع،عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 359.

6 الحميري، مصدر سابق، ص 121.

7 ابن عذارى، مصدر سابق،ق م، ص 273، الحميري، مصدر سابق،ص 80،عنان، دولة الاسلام في الأندلس،ع 3 – ق 2، ص 359 – 360.

* لاحت للبياسي بارقة طمع في نيلها ألا وهي الاستيــلاء على اشبيلية نفسها، والقضاء المُبرم على الموحدين- أبناء عمومته !- و الذين استعدوا جيدا هذه المرة.

ونزل البياسي محاصرا لها وأبو العلاء – حاكمها وهو أخو العادل - فيها ، وخرج اليه بعسكر المسلمين للقائه، فهزمه الله مع من كان معه من الكافرين في الخامس والعشرين لشهر صفر من سنة 623 هـ، وهو يوافق الرواية النصرانية وذلك في 25 فبراير سنة 1226 م، وكتب أبو العلاء إلى أخيه العادل من اشبيلية يخبره بهزيمة البياسي.[1]

لقد أجبرت فتنة البياسي ونتائجها الخطيرة العادل على الفرار من الأندلس نحو مراكش، لا سيما بعد هزيمته الشنيعة أمام النصارى في "طلياطة "[2] ،ثم في "عفص" [3] من جهة وشغور وشغور كرسي الخلافة من جهة أخرى.

وفوض العادل أخاه أبا العلاء ادريس حاكما عاما باسمه على الأندلس الذي كان يتداعى يوما بعد يوم، و قد أضحى مسرحا للعدوان النصراني ، واشتداد الفتن الداخلية وكان من أخطرها على ما يبدو ثورة البيـاسي الآنفة الذكر والتي استطاع القشتاليون أن يخرجوا منها بأوفر الحظ والنصيب. إذ تيسر لهم وضع أيديهم على طائفة كبيرة من القواعد و الحصون

1 ابن عذارى ،مصدر سابق،ق م، ص ص 271، 273 ، غير أن المفهوم من سياق رواية ابن خلدون أن استيلاء البياسي على قرطبة ومنازلته اشبيلية ثم هزيمته ومصرعه على يد وزيره ميورك الذي غدر به، واحتمال رأسه إلى العادل باشبيلية يدل على أن البياسي بقي حيا إلى ولاية هذا الأخير بعد مقتل أخيه العادل في مراكش، وفي هذا مخالفة لبقية الروايات،تاريخ ابن خلدون، ج 6 ، ص 340، ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 24. عنان، دولة الاسلام في الأندلس،ع 3 – ق 2، ص 360.

2 بينها وبين اشبيلية محلة من عشرين ميلا، ومن طلياطة الى لبلة محلة مثلها، الحميري،مصدر سابق، ص395 ، لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق،محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة، الطبعة الثانية، 1393 هـ - 1973 م، مج 1، ص 531، الهامش 3.

3 بالقرب من مرسية ، الحميري، مصــدر سابق،ص 415.

الأندلسية الهامة في منطقة جيان،وأن يقتربوا من قرطبة عاصمة الخلافة القديمة التي كان الاستيلاء عليها من أعز أمانيهم.[1]

ولم يكتمل عهد العادل حتى انقلب عليه أخوه أبــو العـــــلاء إدريس بن يــعقوب المنصور

وتلقب بالمأمون (624- 629 هــ / 1227 - 1232 م)، وهو والي اشبيلية وقرطبة. وقد كان له الفضل في اخماد ثورة البياسي ودفع النصارى عن أراضي المسلمين، لكنه عاد آخر زمانه وثار مُستعينا بالنصارى في حادثة مخزية ومفصــلية.[2]

وكان خلع المأمون هذا لطاعة أخيه والدعوة لنفسه عقب خطوات ترتيبية واتصالات مع شيوخ الموحدين في اشبيلية [3] ، وذلك في الثاني من شهر شوال سنة 624 هـ/ 15 سبتمبر 1227 م [4] ، وجاءته بيعة أكثر أهل الأندلس منهم السيد أبي زيد صاحب بلنسية وشرق الأندلس .

كما عمل المأمون هذا على إفساد الدولة في بلاد المغرب في الخفاء ، وراسل الموحدين بمراكش يعلمهم باجتماع بلاد الأندلس ومن بها من الموحدين على بيعته. وأمرهم بطاعته والتخلي عن أخيه وخلعه ، وهو ما آل إليه الأمر فعلا في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين لشوال من سنة أربع وعشرين وستمئة، وهو يوافق الخامس من أكتوبر سنة 1227 ، وبأبشع صورة كما سبق وأن انتهت حياة عمه – الشيخ المخلوع -.[5]

---

4 عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 363.

2 عز الدين ،مرجع سابق، ص 82 – 83.

2 ابن عذارى ،مصدر سابق،ق م، ص ص 275 - 276 .

3 يوم الخميس حسب ابن عذارى، مصدر سابق،ق م، ص 274 ،ابن أبي زرع، روض القرطـاس، ص 250 ابن الخطيب،الحلل الموشية، ص ص 123 - 125.

5 ابن عذارى ،مصدر سابق،ق م، ص ص 270 – 274، الحميري، مصدر سابق، ص127، 174- 175 ، ابن أبي زرع،روض القرطاس، ص ص 244 – 247، ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون، ج 6 ، ص 340 ،ابن عبد الملك،مصدر سابق، س 8 – ق 1 ، ص 191.

وكتب الأشياخ إلى المأمون بالبيعة، وخطبوا له على منبر المنصور ثم تراجعوا ونكثوا بيعته، وقدموا ابن أخيه يحي بن الناصر؛ مما دفع بالدولة إلى المزيد من سفك الدماء. فلم يعد بغريب على المغرب و الأندلس ظهور أكثر من خليفة، في تكرار أليم لحوادث مرت وتكررت وسطرتها النكبات على صفحات التاريخ تعكس انهيار سلم القيم الأخلاقية والوازع الديني والتساهل في دماء المسلمين. إذ دخلت الدولة الموحدية زمن هذين المتقاتلين طورا جديدا عجل بنهايتها وسقوطها.[1]

و هكذا غدت بلاد الأندلس معزولة أكثر فأكثر، عن حاميتها – أعني الدولة الموحدية – لاسيما في خلافة المأمون الذي تفجر غضبه من غدر الأشياخ به، فعزم على الانتقام منهم فأخذ كل ما استطاع من القوات الإسلامية في الأندلس، وترك البلاد بدون حماية وعبر إلى العدوة المغربية طلبا للخلافة وذلك في أواخر سنة 626 هـ / 1228 م.[2]

وزاد المأمون هذا بأن استعان بأعداء الأمس- أعني النصارى- إذ أبرم مع الملك فرناندو الثالث – المحظوظ بانتكاسات بعض قادة المسلمين-، تحالفا بغرض الحصول على قوة نصرانية تعبر معه إلى مراكش للجلوس على كرسي الخلافة ! ،واستطاع الملك القشتالي أن يفرض شروطا مُذلة على المأمون، وقد نصت باختصار على:

1- أن يتنازل المأمون لملك قشتالة عن عشرة حصون يختارها القشتالي !.

2- رد من أسلم من النصارى إليه ليحكموا فيه بحكمهم، ومن تنصر من المسلمين فليس لأحد سبيل عليه.

---

1 ابن أبي زرع،روض القرطاس ، ص ص 248 - 250، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 6 ،ص 339، الحميري،مصدر سابق، ص175، ، ابن الخطيب،الحلل الموشية، ص 123،ابن الخطيب،الاحاطة،ج 1 ، ص 411، وستشهد الأندلس ظهور المزيد من الساعين للحكم كابن هود وابن الأحمر وغيرهما.

2 وهذا ما كان سببا في سقوط كبار الواصم وانهيار خط الوادي الكبير،راجع،حسين مؤنس،معالم،ص 234 ، وانظر ابن عذارى،مصدر سابق،ق م ،ص 284،الذي يجعل تاريخ العبور في سنة 625 هـ، ابن الخطيب، الاحاطة ،ج 1، ص 411، ابن خلدون،تاريخ ابن خـــلدون، ج 6 ،ص 340 .

3- أن يبني المأمون للنصارى الوافدين معه كنيسة بمراكش، يضربون نواقيسهم،ويمارسون عبادتهم في العلن. فأسعفه في جميع ما طلب منه.[1]

وبعبور هذا الخليفة خرجت بلاد الأندلس عن حكم الموحدين في وقت عصيب استوجب عملا سريعا من أهلها لمواجهة مختلف التحديات والأخطار، والتي أضحت على مرمى حجر منها في ظل تأهب الممالك النصرانية الكبير لاقتطاع أراضي المسلمين.

وتترجم الأمر بظهور زعامات محلية أندلسية،استطاع بعضها أن يُمثل أغلب الشعب الأندلسي وأن يُكون دولة أندلسية مستقلة عن الموحدين. وكان أولهم ظهورا ابن هود الجذامي (625 – 635 هـ / 1228 – 1238 م)[2] ؛ الذي ظهر بشرقي الأندلس وسرعان ما بويع بالإمارة عليها في شهر رجب سنة 625 هـ / يونيه 1228 م ؛ وأعلن التبعية للدولة العباسية التي أقرته وقلدته حكم البلاد ووصله كتابها في سنة 629 هـ/ 1232 م أو سنة 631 هـ/ 1234 م،وصار الحاكم الفعلي للأندلس مُعلنا الحرب على الموحدين وعلى النصارى معا .[3]

---

1 ابن ابي زرع،روض القرطاس، ص250-252، ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 6، ص 341، ،ابن الخطيب،الحلل الموشية، ص124، ابن عذارى ،مصدر سابق،ق م، ص 276 ، و ص 285، ابن عبد الملك،مصدر سابق، س 8 – ق 1 ،ص 190 - 191، ابن الخطيب،الاحاطة ،ج 1 ،ص 411.

1 فهو محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العليم بن أحمد المستعين بالله بن يوسف المؤتمن بن أبي جعفر المقتدر بالله بن أبي أيوب سليمان بن محمد بن هود، وللإطلاع بشيء من التفصيل عن حياة ابن هود، يُراجع،ابن عذارى، مصدر سابق، ق م،ص ص 276 - 288، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ص 274 - 276،لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1394 هـ - 1974 م،مج 2، ص ص 128-132،ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 4، ص ص 215 - 218،ابن الأبار، الحـلة السيراء،ج 2 ،ص 303 - 304 مع الهامش.

2 هشام، مرجع سابق، ص ص213 – 216،عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2 ،ص 411 -412، وقد شهد عهد ابن هود سقوط كبار عواصم المسلمين على غرار قرطبة. فرغم جهوده الكبيرة إلا أن قوة النصارى من جهة وانشغاله بمن ثار عليه من جهة أخرى انعكس على مسيرته سلبا وشتت قوته، وانتهى الأمر به غيلة على يد وزيره ابن الرميمي ، يُنظر ابن عذارى، مصدر سابق،ق م، ص 278، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 217.

ثم شهدت الأندلس ظهور ثائر آخر لا يقل حماسة عن ابن هود وهو ابن مردنيش[1] ، والذي كان وزيرا لوالي بلنسية الموحدي السيد أبو زيد[2]، والتي سُرعان ما سرت فيها روح الثورة والاستقلال بعد هزيمة واليها الموحدي على يد ابن هود. فبايع أهلها وزيره ابن مردنيش في أوائل ربيع الأول من سنة 626 هـ / 1229 م، ورغم أن نار الحرب اشتعلت بينه وبين ابن هود إلا أن ذلك لم يكن بنفس التأثير والزخم الذي أحدثه ظهور ثائر جديد، سيكون له ولأسرته شأن في بلاد الأندلس ما يزيد عن قرنين ونصف من الزمن.

هذا الثائر الجديد هو ابن الأحمر[3] الذي استطاع في بداية مسيرته،أن يجمع حوله الأتباع ويحصل على طاعة عدة مدن، لا سيما في وسط الأندلس وهذا قبل سنة 630 هـ.وقد تواجه

---

3 هو الأمير أبو جميل زيان بن ابي الحملات مدافع بن الرئيس بن يوسف بن سعد بن مردنيش، وجده يوسف هو أخو محمد بن سعد بن مردنيش أمير شرقي الأندلس في أواخر عهد المرابطين وأوائل عهد الموحدين بالأندلس، والذي ظلت أسرته زهاء ربع قرن في صراع مع الموحدين إلى أن ظهر أبو جميل. وهذا الأمير هو الذي قُدر له أن يَسقط ثغر بلنسية العظيم على عهده، يُراجع للمزيد، ابن الخطيب، الاحاطة ، ج 2 ،ص 98،ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4 ، ص219، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 3 – ق 2، ص ص 393 - 398.

1 الذي سيضطره ضغط أحوال بلنسية الثائرة عليه إلى الخروج منها بأهله وولده ومعه وزيره و وزير أبيه، ابن الأبار، إلى بعض الحصون القريبة من المدينة، وذلك في أوائل صفر سنة 626 هـ / يناير 1229 م ، ثم سيلتجأ إلى الملك الأراجوني خايمي الأول طالبا للعون، ولكنه سرعان ما يرتد عن الإسلام- نعوذ بالله -،وأمام هذا الوضع سيفارقه ابن الأبار ليعمل وزيرا له، وسيكون من تلك اللحظة شاهد عيان على مـأساة بلنسية، أنظر، ابن عذارى، مصدر سابق، ق م ص 289، أبو عبد الله محمد ابن الأبار القُضاعي البلنسي، ديوان ابن الأبار،قراءة وتعليق، عبد السلام هراس،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 1420 هـ - 1999 م، صفحات، 56،68،189،209.

2 هو أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي. يرجع نسبه إلى سعد بن عُـبادة الأنصاري، أحد كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفاضلهم،كانت وفاته في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين، أنظر، لسان الدين بن الخطيب ،اللمحة البدرية في الدولة النصرية،تصحيح، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347، ب ر ط،ص 21 – 22، و ص ص 30 -36، ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 27 – 28، محمود المصري، أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، مراجعة أبو اسحاق الحويني، دار الإمام مالك، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م، ج 2،ص ص45 - 50.

ابن الأحمر مع ابن هود الذي عده خارجا عن الطاعة،لكنه – أي ابن هود - هُزم من أمامه ثلاث مرات آخرهـن سنة 633 أو 634 هـ .[1]

وبمقتل ابن هود في سنة 635 هـ / 1238م، خلا الجو لابن الأحمر وأطاعته غرناطة واستدعاه أهلها.

وكان دخوله لها في أواخر رمضان من سنة 635 هـ/ مارس 1238م ، وصارت حاضرة لمملكته وانضمت إليها مناطق أندلسية أخرى جنوبي الجزيرة وشرقيها .[2]

وبقيام مملكة غرناطة ثم اشتداد عودها، يُسدل الستار بصفة نهائية على حكم الموحدين في الأندلس، والتي سيتردد أهلها بين المُقام في هذه المملكة، وبين مُفارقة الوطن إلى مشارق الأرض ومغاربها عموما وإلى المغرب الأوسط خصوصا.

2 - سقوط الحواضر الإسلامية في الأندلس:

لقد تعرضت بلاد الأندلس الاسلامية وحواضرها الشهيرة ؛ خلال القرن السابع للهجرة- الثالث عشر الميلادي - إلى هجمات الممالك النصرانية المُركزة؛ مما أدى إلى سقوط مُعظم قواعدها التالدة في نحو ثلاثين عـاما فقط (627 – 655 هـ). وذلك في سلسلة مروعة من الاحداث والفتن والمحن.

وكانت النتيجة تقلص رقعة الدولة الاسلامية التي كانت قبل قرن فقط تشغل نحو نصف الجزيرة الأيبيرية إلى رقعة متواضعة هي مملكة غرناطة.

وفي الوقت الذي انشغل به زعماء الأندلس المتناحرون بالصراع على الحكم، كان النصارى يسيرون وفق خطة محكمة لاحتلال أراضي الأندلس الجريح في ثلاث مناطق [1] :

---

3 ابن الخطيب،الاحاطة ،ج 2 ، ص ص 92 – 101،ابـن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص ص 215 - 219.

1 ابن الخطيب، الاحاطة ،ج 2، ص 100-101.

المنطقة الأولى:

وجهتها غرب الأندلس ويسيطر على مصيرها كل ملك ليون - القوي - ألفونسو التاسع، بالإضافة إلى مملكة البرتغال الناشئة التي كانت تعمل على التوسع في هذه المنطقة على حساب الوجود الإسلامي.

المنطقة الثانية:

وجهتها وسط الأندلس ويسيطر على مصيرها ملك قشتالة فرناندو الثالث- وهو ابن ملك ليون-. وما لبثت المملكتان أن اتحدتا عقب وفاة ألفونسو التاسع سنة 1230 م، وأضحت مملكة قشتالة بهذا الاتحاد أقوى الممالك الاسبانية وأوسعها رقعة وأغناها مواردا واستطاع فرناندو الثالث أن يحرز التفوق على المسلمين.

المنطقة الثالثة:

اختص ملك أراجون بمصير الوجهة الثالثة وهي شرق الأندلس.

و رغم ما كان يسود هذه الممالك من خلاف وما يقع بينها من حروب إلا أنها كانت تنبذ ذلك وتقف صفا واحدا إذا تعلق الأمر بحرب مع المسلمين. وبلغ من ضعف المسلمين يومئذ أن عجزوا عن حماية أراضيهم حتى من هجومات مملكة البرتغال المتواضعة، التي كانت تسعى لتوطيد استقلالها وتوسيع رقعتها الصغيرة في ولايات الغرب.[2]

2 أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق، محمد بن معمر، دار الأديب، وهران، د ت، مقدمة التحقيق، ص 35 ، عنان، عنان،دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 399،المرجع السابق نفسه، ع 4، ص 88.

1 عن الممالك النصرانية وشيء من تاريخها، يُراجع،المراكشي، مصدر سابق، ص 453 ، ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 2، ص 473،ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 4 ص ص 229 – 236، ابن الخطيب،اللمحة البدرية، ص 35 ،الحجي، مرجع سابق، ص ص 524 – 533، أشباخ، مرجع سابق،ج 1 ، ص ص 10 – 28، و ص ص 125 – 260، المرجع السابق نفسه،ج 2 ، ص ص 200 – 231، محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب الإسلامي،1982، ص 235،عمر سعيدان، علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م، منشورات سعيدان، سوسة، تونس،الطبعة الأولى، 2002،محمد محود النشار،تأسيس مملكة البرتغال،عين للدراسات والبحوث الانسانية

يُضاف إلى ذلك أن الممالك النصرانية رُزقت منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر إلى منتصف الثالث عشر الميلادي نُخبة ملوك، تمتعوا بالقُدرة والكفاءة السياسية اللازمة لإدارة دفة الحكم، مع تصميم على مواصلة حرب المسلمين مصطبغ بروح صليبية متوقدة.

وقد طالت إلى جانب ما تقدم أعمار الكثيرين من ملوك النصارى، ما فسح المجال أمامهم للعمل المتكرر واكتساب الخبرات والتجارب وتعويض الهزائم. ففي المدة الممتدة من سنة 465 هـ / 1072 م إلى سنة 611 هـ / 1214 م، وهي مدة طويلة استمرت حوالي القرن ونصف توالى على حكم مملكة قشتالة مثلا ثلاثة ملوك فقط !. ولم يتخلل هذا التسلسل إلا خمس عشرة سنة حكمتها الملكة أوراكا بعد ألفونسو السادس، وهؤلاء الملوك وهم ألفونسو السادس والسابع والثامن، وهذا الأخير حكم وحده 56 سنة (1158 – 1214 م). عاصر خلالها أربعة من خلفاء الموحدين،هم يوسف ويعقوب المنصور والناصر والمستنصر.

واستطال حكم خليفتهم – فرناندو الثالث – 35 سنة (1217 – 1252 م)،وكان شديد الحرص على احتلال أراضي المسلمين وهو ما تحقق له من خلال استيلائه المتواصل والمنظم على حواضر الأندلس الإسلامية تباعا.

كما حظي ملك أراغون خايمي الأول – المعروف بالفاتح – بحكمٍ امتد لثلاث وستين سنة (1213 – 1276 م)، تكللت بالاستيلاء على كُبرى حواضر الأندلس الشرقية.

<u>أ - شرق الأندلس:</u>

والاجتماعية،الطبعة الأولى، 1995،مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة، محمد رضا المصري،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،الطبعة الثانية، 1998علي حســن الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء، القاهرة،2001، هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة بين بني الأحمر وبني مرين، 670 - 783 هـ / 1271 – 1381 م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس،اشراف، بـحاز ابراهيم،جامعة منتوري،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،السنة الجامعية، 2008 – 2009 م، ص ص 46 – 51، محمد بن ابراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين(483 هـ / 1090 م – 640 هـ / 1242 م)، رسالة دكتوراه، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1419 ه / 1998 م، عامر احمد عبد الله حسن،مرجع سابق، ص ص 133 – 157، شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثــار الأندلسية،الطبعة الأولى، 1355 هـ - 1936 م، المطبعة الرحمانية، ج 1، ص 317 وما بعدها.

لقد كانت الناحية الشرقية الأندلسية أضعف نواحي الثغر منذ سقوط سرقسطة في سنة 512 هـ / 1118 م،ورغم التماسك الذي بدا إلى حين على هذه الجهة إلا أن تناحر الموحدين على الحكم عجل بتصدعها النهائي. ورغم الاستقرار النسبي الذي لاح في الأفق مع ظهور ابن هود في مرسية ،إلا أن الحرب المفتوحة التي دارت رحاها بينه وبين المأمون الموحدي،قضت على كل أمل في الحفاظ على هذا الجناح الأندلسي المهم.[1]

وازداد الأمر سوءا بعبور المأمون إلى العدوة تاركا الأندلس لمصير مجهول.

ومع استقرار الأوضاع الداخلية لمملكة أراجون عمد ملكها (خايمي الأول) إلى السيطرة على أراضي الأندلس الشرقية،خاصة بعد انتهاء الحرب الأهلية التي اشتعلت في المملكة بين المتنافسين على العرش ، بعد مقتل ملكها (بيدرو الثاني) – والد الملك خايمي الأول - في سنة 610 هـ / 1213 م،وظل الصراع قائما إلى أن افتك خايمي الأول العرش سنة 624 هـ / 1227 م .[2]

وعمد هذا الملك الأراغوني بمباركة الكنيسة إلى تسديد أولى ضرباته المُميتة إلى أهم حواضر المسلمين الشرقية

ومنـــــهـــا:

<u>1 - جُزر البـــليـــار(الجــزائــر الشرقيـــة):</u>

وهي جُزر تقع في شرق بلاد الأندلس،وتضم كلا مــن:

1 ابن الأبار،الحلة السيراء، ج 2، ص 303 – 304، الهامش.

1 أشباخ ، مرجع سابق،ج 2، ص ص 167 - 170 ، وعن ظروف اعتلاء خايمــي العرش، يُنظر، ابن الأبار، الحلة السيراء،مقدمة التحقيق، ص 32 - 33.

2 هي جزيرة في البحر الزقاقي(المتوسط)، تسامتها من الجنوب مدينة بجاية في المغرب الأوسط، ومن الشمال مدينة برشلونة شرق الأندلس، ومن الشرق إحدى جزيرتيها منرقة، وشرقي ميورقة هذه جزيرة سردانية، وغربيها جزيرة يابسة. وميورقة ام هاتين الجزيرتين وهما بنتاها، وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي 3640 كلومتر مربع، وعاصمتها ميورقة، يُنظر عــلى التـــوالي: ابن سعيــد ، مصـــدر سابـق،ج 2، ص ص 465 -470،الحميري،مصدر سابق، ص567، و ص 616، عنان،الأثار الأندلسية، ص ص 124 – 135.

*- ميـــورقة. [1]

*- منــــورقة.[2]

*- يابسة.[4]

خرجت الحملة النصرانية قاصدة ميورقة في 14 شوال سنة 626 هـ الموافق للخــامس من سبتمبر سنة 1229 م بقوات ضخمة ضمت ألفا وخمس مائة فارس، وعشرين ألف راجل وستة عشر ألفا من رجـال البحرية وعسكر الماء .[1]

وتواجه المسلمون والنصارى في قتال مرير، ثم ضُرب الحصار الخانق حول المدينة، وكان الدفاع عشوائيا غير منظم مع تصدع الجبهة الداخلية تحت وطأة الخلافات والخيانات وهذا في أحلك الظروف .[2]

ولما اشتدت وطأة الضربات النصرانية، بعث والي المدينة [6][3] يعرض التفاوض لأجل التسليم مُقابل السماح لأهلها بالخروج منها سالمين، وأن يخرج هو بأهله وولده إلى بلاد المغرب رفقة شروط أخرى. لكن النصارى الصليبيين رفضوا ذلك كله، وحينها استعدت المدينة للمُواجهة الأخيرة الفاصلة وقد تُركت لمصير محتوم في غياب النجدة.

---

3 ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 2، ص 469 ،عنان،الأثــار الأندلسية، ص 124.

4 ابن سعيد ، مصدر سابق، ج 2، ص 470 ، الحميري،مصدر سابق، ص 616 .

1 محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515 – 686 هـ / 1121 – 1287 م)، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري،دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996، ص ص 198 - 200.

2 ابن عميرة، مصدر سابق، ص ص 74 - 88 .

3 هو أبو يحي التينمللي، صار واليا على ميورقة سنة 606 هـ / 1209 م، وقيل سنة 607 هـ من طرف الناصر الموحدي المهزوم في العقاب، راجع، ابن عذارى، مصدر سابق،ق م، ص 256، ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج 6 ،ص 332 وص 379،ابن سعيد، مصدر سابق،ج 2، ص 467.

وفي يوم السبت 12 صفر سنة 627 هـ / 29 ديسمبر 1229 م، اقتحم النصارى مدينة ميورقة والتحم المسلمون معهم في قتال مرير استمر إلى يومي الأحد والاثنين[4] . ورغم صنوف الشجاعة التي أبداها المسلمون إلا أن ميورقة سقطت بيد النصارى بعد قرابة أربعة شهور من الحصار، واعتلى النصارى المسلمين قتلا وأسرا. فبلغ عدد القتلى أربعة وعشرين ألفا، وقيل ثلاثون ألفا، وقيل خمسون ألفا .[5]

ودخل ملك أراغون خايمي الأول المدينة يوم الثلاثاء 15 صفر 627 هـ / الفاتح من يناير 1230 م [3] ، واستقر في قصر الولاة المسلمين وجيء إليه بوالي ميورقة وسُئل عن الكنوز والثروات فأنكر علمه بها فأسلموه إلى العذاب المهين، وعاش خمسة وأربعين يوما في النكال الشديد والهول المذيب للحديد. و أحضر النصارى ولدا له سنه ستة عشر عاما، فضربوا عنقه نكالا بأبيه و إرغاما .ثم أحضروا آخر ليقتلوه فتنصر فكُف عنه وأما الوالد فمات تحت العذاب .[4]

وعلى الرغم من قيام حركة مُقاومة اعتصمت بالجبال على يد ابن شيري[5] ،والذي جمع حوله ستة عشر ألفا مواصلين المقاومة طيلة سنة من سقوط العاصمة. إلا أن أمرهم في النهاية اختل بمصرع قائدهم في ضُحى يوم الجمعة العاشر من ربيع الثاني من سنة 628 هـ الموافق للثالث عشر من فبراير 1231 م .[6]

---

4 ابن عميرة، مصدر سابق، ص ص 123 – 127.

5 المصدر السابق نفسه، ص 128، عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 407.

1 ابن الأبار، الحلة السيراء،ج 2 ، ص 318 ، ابن الأبـار ،التكــملة ، ص 190 جاعلا تاريخها الاثنين 14 صفر، الحميري، مصـدر سابق،ص 568، ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 4 ،ص 219، ابن عميرة،تاريخ ميــورقة، مقدمة التحقيق، ص 45.

2 ابن عميرة، مصدر سابق،ص 129 – 130، الحميري،مصدر سابق، ص 568، 549.

3 عند المقري، ابن سيري، مرجع سابق،ج 4 ،ص 471.

4 ابن عميرة،مصدر سابق، ص ص 132 – 137 ، أشبـاخ، مرجع سابق، الذي يذكر تردد الملك خايمي مرتين إلى الجزيرة لمحاربة الخارجين عليه في سنتي 1232 – 1233 م، ج 2 ،ص 173 – 174.

وفي مطلع شهر شعبان من سنة 629 هـ الموافق لأوائل جويلية من سنة 1232 م، أصدر الملك خايمي الأول كتابا بتقسيم أراضي الجزيرة إلى إقطاعيات له ولكبار قادته في الحملة. ويُعرف هذا الكتاب بالمخطوط اللاتيني العربي حول تقسيم جزيرة ميورقة، ويتألف من جزئين:

- الجزء الأول:

وهو باللغة اللاتينية وقد نشره المؤرخ الميورقي (خايمي بوسكيتس موليت) في مجلة جمعية القديس لوليو للدراسات الأثرية في بالما سنة 1953 م.

- الجزء الثاني:

وهو باللغة العربية و تم نشره ضمن مجموعة من الدراسات في برشلونة سنة 1954 م.

ثم جُمع كلا النصين في كتاب واحد تعليقا عليهما بالإسبانية وهما يُكملان بعضهما البعض وموضوعهما تقسيم جزيرة ميورقة بعد الاستيلاء عليها من أهلها .[1]

و ظلت باقي الجزر تحت رحمة الغُـزاة الذين نزلوا جزيرة يابسـة وهي صُغرى الجزائر الثلاثـة في أوائل محرم من سنة 632 هـ / أوت 1235 م .

وبعد مُصادمات مع أهل يابسة استمرت لخمسة أشهر وقيل أربعة أشهر، استسلمت للنصـارى.

1 ابن عميرة، تاريخ ميورقة، مقدمة التحقيق، ص 46 -47، وانظر أيضا،صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد،مج 4، العدد، 1 – 2، 1375 هـ - 1956 م، ص 217 – 219، وعن النص العربي يُراجع، عنان، الآثار الأندلسية ، ص ص 133 - 136 ، عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 408، أشباخ ، مرجع سابق،ج 2، ص 171، عصام سالم سيسالم، جزر الأنـدلس المنسية،التاريخ الإسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين،الطبعة الأولى، يناير 1984، الملحق الثاني، ص ص 615 – 627.

على أن معلومات أخرى تُفيد بأن النصارى استطاعوا اقتحام المدينة والاستيلاء عليها، إلا أن المُحزن أن الذي سهل عليهم اقتحام أسوار جزيرة يابسة الحصينة، هو خيانة أخو حاكمها الحاقد على أخيه.

ولما تم لهم المُراد من حملتهم اقتسم النصارى أراضي الجزيرة وحتى سُكانها في فاجعة أخرى للمسلمين في الأندلس .[1]

في حين حافظ الأندلسيون على وجودهم لزمن آخر تحت حكم إسلامي خالص استمر زهاء نصف قرن، وهذا في جزيرة منورقة التي تُعد ثاني أكبر جزر البليار، قبل أن تلقى مصير

أختيها بعد هذه المدة الطويلة نسبيا .[2]

ويعود سبب محافظة جزيرة منورقة على استقلالها طيلة هذه المدة العاصفة من تاريخ المغرب والأندلس إلى شخصية فريدة جمعت شتى تناقضات ذلك العصر، ونعني بالحديث واليها الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكم بن عبد الغني القرشي (601 – 680 هـ / 1204 – 1281 م).

وقد تقلبت بهذا الأميرالأحداث، وتنقل في مختلف ربوع الوطن الأندلسي الذي تقاسم أراضيه الغزاة، عقب انهيار حكم الموحدين هناك.

ولم يجد سعيد هذا من بد ليُغادر نحو العدوة المغربية. وكان مقصده أول الأمر إلى بجاية في بلاد المغرب الأوسط وبقي بها مدة، ثم تحول عنها إلى تونس ومنها إلى ثغر ميورقة

2 في شرقيها جزيرة ميورقة بينهما مجرى،الحميري،مصدر سابق، ص 616،ابن سعيد، مصدر سابق،ج 2 ،ص 470.

2 تُقابل منورقة مدينة برشلونة، وهي إحدى بنتي جزيرة ميورقة، وهما منرقة ويابسة ، الحميري،مصدر سابق، ص 549، ابن سعيد، مصـدر سابق،ص 469.

مستبدا، حيث ولاه أبو يحي التنملي أمر جزيرة منورقة في شهر رمضان من سنة 624 هـ / أوت 1227 م.[1]

ولما استولى نصارى أراغون على ميورقة،توجه سعيد بن حكم إلى ملكهم فيها وعقد معه تفاهما يتعهد بموجبه الملك خايمي الأول بعدم التعرض للمسلمين في جزيرة منورقة.

وفي المُقابل يتعهد المسلمون بأن يدفعوا له الجزية السنوية ، وإعلانهم الخضوع والطاعة لمملكة قطلونية و أراغون.[2]

وكان لهذا التفاهم بين سعيد – والي منورقة – والنصارى، أعظم الأثر على ثورات أهل ميورقة التي تم إخمادها بعد أن تفرغ الغزاة لها لتتوجه الأنظار مباشرة بعدها إلى ثغرٍ

عظيم من بلاد الأندلس. أعني – بلنسية -.

وجدير بالذكر ايجابية التفاهم المتقدم الذكر لصالح النصارى، كونه يوفر المردود الاقتصادي السنوي الأكيد لهذه المملكة القوية.[3]

وإبان حكم سعيد عرفت منورقة الأمن والأمان، وانتشار العدل وهابه جيرانه النصارى.

ولقد عرف الأدب والعلم ازدهارا كبيرا في هذه الجزيرة في عهد حاكمها المتقدم الذكر، لأنه كان يُقدر العلماء ويُجلهم. بل كان هو نفسه عالما نحويا، أديبا، شاعرا، محدثا، فقيها ،وأصبحت منورقة مركزا علميا هاما حفظ التراث الاسلامي من الضياع طيلة خمسين عاما.

---

2 أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، الطبعة الثانية، أبريل، 1979،ص 303 - 304 ،ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 2، ص 318 .

3 محمد أحمد، مرجع سابق، ص 202، و ص 218 - 219،عصام سالم، مرجع سابق،ص ص 447- 449.

1 ابن الأبار،الحلة السيراء، ج 2 ، ص ص 318 -320، وانظر الهوامش، الحميري،مصدر سابق، ص 549، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، الذيل و التكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1964، بقية السفر الرابع ص ص 28 - 33.

وكانت وفاة سعيد بن حكم في يوم السبت 27 رمضان من سنة 680 هـ / 1281 م [1]. فخلفه ابنه حكم والذي لم يستطع اكمال مسيرة أبيه لعدة عوامل داخلية وخارجية، لعل أخطرها عزم النصارى على الاستيلاء النهائي على الجزيرة.

وقد تحقق للنصارى هدفهم ذاك – بعد أحداث مريرة يطول ذكرها - في سنة 686 هـ / 1287 م ، وغادر أبو عمر بأهله و برفاة أبيه إلى مدينة سبتة ثم قصد تونس، لكنه غرق في البحر بمن معه [2]، لتطوى بذلك صفحة منيرة من صفحات الوجود الإسلامي في الأندلس إلى غاية عصرنا الحاضر.

2 – بـلنسيــة:

وهي من أهم قواعد الأندلس الشرقية أيضا مُتمكنة الحضارة جليلة القدر [3] .هاجمتها جيوش النصارى في حملة صليبية كبيرة أعلنتها الكنيسة؛فهرعت القوات والأمداد الضخمة للمسير إليها يُعاونهم واليها السابق الموحدي - المرتد -.

بدأت الحملة النصرانية على بلنسية في أواخر سنة 631 هـ / أوائل سنة 1233 م من خلال الاستيلاء على القواعد الأمامية للمدينة بهدف اطباق الحصار عليها؛وقد وقف المسلمون لرد المعتدين يؤازرهم العلماء ويشدون عزمهم. وكان النصارى بقيادة ملكهم خايمي قد

2 الغبريني،مصدر سابق، ص 303،ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 4، ص ص 31 – 33، عصام سالم، مرجع سابق، ص ص 449 – 451.

3 عصام سالم، مرجع سابق، ص ص 449 – 451، محمد أحمد، مرجع سابق، ص 219 – 220.

1 راجع وصفها المستفيض عند، ابن سعيد ، مصدر سابق،ج 2 ، ص ص 297 -342،الحميري، مصدر سابق، ص ص 97 -101، عنان، الأثار الأندلسية، ص ص93 -98.

عسكروا بجيل قريبا من بلنسية يُعرف بجيل أنيشة أو عقبة أنيشة، والذي يقع على مسافة 20 كيلومترا شمالي بلنسية .[1]

وانتهز والي المدينة أبو جميل زيان فرصة ابتعاد الملك خايمي عن معسكره. فخرج مهاجما له في جموع من المقاتلة والعلماء والفقهاء، لكن النصارى أعملوا الحيلة إذ تنادوا بينهم أن الملك عاد بجيش كثيف، وهو ما فـت في عضد المسلمين و انهزموا وكَثُر فيهم الفرار . وفي خضم هذه الفوضى تدافع العلماء لرد الناس إلى القتال وبث روح الجهاد فيهم للظفر بالشهادة وكان على رأسهم شيخ المحدثين بالأندلس:

أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الذي كان في السبعين من عمره يومها، ولكنه ظل في الميدان يحث الناس على القتال ويصيح فيهم " أعن الجنة تفرون " حتى خر صريعا في يوم الخميس 20 ذي الحجة من سنة 634 هـ وهو يوافق 14 من شهـــــر أوت

من سنـــــة 1237 م .[2]

2 أنيشة هو موضع على مقربة من بلنسية، وعلى جبل أنيشة هذا كانت الوقيعة بين المسلمين من أهل بلنسية وبين النصارى، وراجع، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1397 هـ - 1977 م، مج 4 ، ص 303، الحميري، مصدر سابق، ص 32 و 41.

1 أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار، إعتاب الكتاب، تحقيق، صالح الأشتر،الطبعة الأولى، 1380هـ - 1961 م،مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص ص 249 – 253،ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، ص ص 288 – 294 ،ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق، ابراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري،القاهرة،الطبعة الثالثة، 1410 هـ - 1989 م، ص ص 191 – 194،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المستملح من كتاب التكملة،تحقيق، بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي، تونس،الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ص ص 376 – 378، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي، غاية النهاية في طبقات القراء،تحقيق، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، 2006 م – 1427 هـ، ج 1 ، ص 286، ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2 ، ص 316، ابن عبد الملك المراكشي، مصـــدر سابــق، س 4، ص 89 – 90،ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 285 .

لقد مثل سقوط أنيشة النذير بسقوط بلنسية وشرق الأندلس كله، فسرعان ما بادر النصارى إلى تنفيذ مخططهم ذاك من خلال الاستيلاء المتوالي والمنظم على جميع القلاع والحصون الواقعة حول بلنسية، وذلك بهدف إطباق الحصار الخانق عليها. وبدأ الحصار فعليا على المدينة في الخامس من شهر رمضان من سنة 635 هـ / أبـريل سنة 1238 م واستمر إلى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة 636 هـ / أكتوبـر من سنة 1238 م .[1]

واشتدت هجمات النصارى الذي استخدموا المنجنيقات، واعتزم أهل بلنسية الدفاع عن مدينتهم إلى اللحظة الأخيرة، ووجه أميرها أبو جميل زيان صريخه إلى القواعد الإسلامية في الأندلس" ولكن الأندلسيين كانت تشغلهم الحروب الأهلية، ويهددهم نصارى قشتالة، فلم يكن بوسعهم أن يلبوا النداء ".[2]

ووصل رسوله ابن الأبار إلى افريقية طالبا عون الحفصيين،الذي قام بين يدي السلطان مُنشدا قصيدته السينية الفريدة المُبكية والتي مطلعها:

أدرك بـــــخــيلك خــيل الله أندلســا   إن السبيل إلى منــجاتها درســا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست   فلم يزل منك عز النصر ملتمسـا.[3]

ورغم أن أبا زكريا الحفصي (625 - 647 هـ / 1228 – 1249 م)، أرسل على الفور أسطولا مُحملا بالمؤن والمساعدات الثمينة التي بلغت قيمتها مائة ألف دينار، إلا أن ذلك لم يمنع عن بلنسية المُحاصرة منذ خمسة أشهر السقوط بيد النصارى، إذ مع تعاظم البلاء

2 ابن الأبار، التكملة ، ص 147 – 148،ابن الأبار، الحلة السيراء،ج 2 ، ص 127، أشباخ، يضع تاريخ الحصار على المدينة في 17 رمضان 635 هـ، ويُمكن الجمع بين التاريخين بأن يُجعل الخامس من رمضان تاريخ بداية الحصار، والسابع عشر منه تاريخ إحكام إطباق الحصار.

3 أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ،ص 176 ، الحجي، مرجع سابق،ص 475.

1 ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، ص ص 408 – 412، ، ابن خلدون، مصدر سابق،ج 6 ، ص ص 386 – 388، المصدر السابـق نفسه،ج 4 ، ص 215، المقري،مرجع سابق،ج 4 ، ص ص457 - 460، ابن الأبار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص 10 – 11.

والكرب على أهلها راسل أميرهم – سرا - الملك الأراجوني بغرض المفاوضة والتسليم بعد استنفاذ كل سبل رد العدوان.[1]

وبدأت المفاوضات النهائية في يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة 636 هـ ،ووصف أطوارها ابن الأبار وهو شاهد عيان يومها قائلا:

" وفي هذا اليوم خرج أبو جميل زيان ابن مدافع بن يوسف بن سعد الجُذامي من المدينة – وهو يومئذ اميرها – في أهل بيته ووجوه الطلبة والجند، وأقبل الطاغية وقد تزيي بأحسن زي في عظماء قومه، من حيث نزل بالرصافة أول هذه المنازلة. فتلاقيا بالولجة واتفقا على أن يتسلم الطاغية البلد سلما لعشرين يوما، ينتقل أهله أثناءها بأموالهم وأسبابهم. وحضرت ذلك كله، وتوليت العقد عن أبي جميل في ذلك.

وابتدئ بضعفة الناس، وسيروا في البحر إلى نواحي دانية، واتصل انتقال سائـــــرهم برا

وبحرا. وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور كان خروج أبي جميل بأهله من القصر في طائفة يسيرة أقامت معه، وعند ذلك استولى عليها الروم أحانهم الله ".[2]

وفي صبيحة يوم الجمعة السابع والعشرون من شهـر صفر سنة 636 هـ، الموافق للتاسع

2 ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 6 ، ص 388، أشباخ،مرجع سابق،ج 2 ،ص 176، والذي يرى أن الأسطول صغير وأنه فشل في مسعاه للعواصف الشديدة، وحصار البحرية النصرانية،في حين أن الأسطول كان يتكون من 18 سفينة كبيرة وصغيرة، حسب الحجي،مرجع سابق، ص 477 والذي يرى أن فشل هذه النجدة سببه شدة الحصار المضروب حول بلنسية، عنان،دولة الاسلام في الأندلس،ع 4 ،ص 36، المطـوي، السلطنة الحفصية، يبرر فشل أبي زكريا الحفصي في إنجاد المسلمين، بأنه كان من الواجب اقتحام الأندلس وقطع دابر الفتنة بين المسلمين وتوحيد الجبهة لمحاربة النصارى، وهو مالم يكن في مقدور الحفصي يومها، ص ص 138 -140، وانظر تفصيل المفاوضات السرية عند، ماهر زهير جرار، ابن الأبار الأندلسي الأديب (595 – 658 / 1198 – 1259)، رسالة مقدمة إلى الدائرة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت لنيل درجـة الماجستير في الأدب العربي، حزيران، 1983 ، ص 82، وهو ينقل من مذكرات الملك خايمي.

1 ابن الأبار، الحلة السيراء،ج 2 ، ص 127، و ص303، ابن الأبار، التكملة ، ص 147 – 148،الحميري، مصدر سابق، ص 97،ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 4 ، ص 215.

من أكتوبـر سنة 1238 م، دخل خايمي الفاتح ملك أراجون بمن معه إلى المدينة، وحولت مساجدها في الحين إلى كنائس بل وطمست قبور المسلمين،وهي السيرة المتبعة من النصارى كلما دخلوا مدينة إسلامية وبلغ عدد النازحين من بلنسية زهاء خمسين ألف نفس في نحو خمسة أيام.[1]

وعقب استيلائه على هذا الثغر العظيم، تابع الملك خايمي حربه الضروس على أراضي المسلمين المُجاورة لبلنسية فاستولى على:

- جزيرة شقر[2]

- ثم جاء الدور على دانية،ورغم دفاع أهلها البطولي إلا أنها استسلمت بعدما ضربتها المنجنيقات برا وبحرا ودخلتها جيوش النصارى في مستهل ذي الحجة سنة 641 هـ / ماي 1244 م.[3]

- ثم سقطت شاطبة أواخر صفر من سنة 644 هـ / 1246 م صلحا ومالبث النصارى أن عادوا فنقضوا بنود الاتفاق، وطردوا المسلمين – وهم ألوف – منها في شهر رمضان من

2 ابن الأبار،الحلة السيراء،ج 2 ، ص 127، ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 6 ، ص 388، المـصدر السابق نفسه، ج 4 ، ص 215، الحميري،مصدر سابق،ص ص 97 – 101. وقد حفظت لنا المصادر التاريخية صفحاتٍ مُطولة من رثاء الكتاب والشعراء البلنسيين لمدينتهم الضائعة، أنظر، ابن الخطيب، الاحاطة ،ج 1، ص 176 – 177 ، ابن الأبار،ديوان ابن الأبار الذي تفجرت قريحة صاحبه على وطنه حزنا وشوقا، صفحات، 307،140،186،187،189،210،212،336 -337، 406،413، وراجع أيضا نفس المصدر في محاولة ابن الأبار استنهاض الحفصيين لاسترجاع بلنسية والأندلس عموما، ص ص، 161 –163 ،و ص ص 216 – 219،و ص ص 281 – 285،راجع بعض رسائل ابن عميرة، المقري،مرجع سابق،ج 1 ، ص ص305 -310،وراجع الكتب المتبادلة بين ابن الابار وصديقه ابن عميرة عن سقوط مدن الأندلس ووصفها خاصة بلنسية،الحميري، مصدر سابق، ص ص97 -101، المقري،مرجع سابق،ج 4 ،ص ص 490 – 499.

3 راجع في وصفها، الحميري، مصدر سابق، ص 349 - 350، ابن سعيد ، مصدر سابق،ج 2 ، ص ص 363 – 374.

1 ابن الأبار،الحلة السيراء،ج 2 ، ص 303 ،الحميري، مصدر سابق، ص 231 – 232،ابن سعيد المغربي، مصدر سابق،ج 2، ص ص 399 -402.

سنة 645 هـ .[1]

- ثم سقطت مدينة لقنت في سنة 644 هـ / 1246 - 1247 م .[2]

وهكذ فقد توالى سقوط قواعد الشرق بيد الأراجونيين بالتعاون مع القشتاليين بعد بلنسية خلال أعوام معدودات، وهو ما أسبغ على ملكهم خايمي لقب الفاتح [3] ،و لم تتخلف إلا مرسية التي تقلبت بها الأحوال، وتطلعت إليها عيون ابن الأحمر ومملكة أراغون ومملكة قشتالة، وانتهى أمرها بالسقوط في يد الأراجونيين صُلحا بعد محاصرتها . ودخلها الملك خايمي الأول في 664 هـ / فبراير 1266 م.[4]

ومع ضياع شرق الأندلس أضحى المسلمون الذين آثروا البقاء تحت حكم النصارى مُدجنين،تعصف بهم إرادة السادة الجدد وتسلبهم حقوقهم ومميزات شخصيتهم الإسلامية التي سرعان ما اضمحلت واندثرت.[5]

وأمام هذه الأوضاع العسيرة اندفع المسلمون إلى النزوح اتجاه البقية الباقية من قواعد الأندلس، في الشـــرق والجنوب والوسط.ومنهم من فضل المغادرة فعبر البحر نحـــــو بلاد

---

1 ابن الأبار،الحلة السيراء،ج 2 ، ص 303، ابن الأبار، التكملة، ص 152.

3 بينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلان لها قصبة منيعة جدا، الحميري، مصدر سابق، ص 511 – 512، ابن سعيـــد ، مصـــدر سابـــق،ج 2، ص 274، عنان،الأثار الأندلسية، ص ص 148 -150.

4 أشباخ، مرجع سابق،ج 2 ، ص 179،عنان، دولة الاسلام في الأندلس،ع 3 – ق 2، ص 464، يُراجع عن الاتفاق القشتالي الأراغوني على تقسيم أراضي المسلمين في الأندلس، ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 37 – 38.

5 بينما يشير ابن خلدون وغيره إلى تاريخ آخر هو سنة 668 هـ، ويمكن الجمع بين التاريخين بأن يكون الأول شهد دخول خايمي المدينة مـع إبقائه لواليها الخاضع له ويكون التاريخ الثاني هو الذي أرغم واليها الخروج النهائي منها، ابن الأبار، الحلة السيراء،ج 1 ، ص 63 الهامـش، وأن ذلك في جمادى الأولى،عنان، دولة الاسلام في الأندلس،ع 3 – ق 2، ص 463، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 218 .

1 عنان، دولة الاسلام في الأندلس،ع 3 – ق 2، ص ص 52- 63،وص 464.

المغرب لا سيما الأوسط منه .[1]

ب - وسط الأندلس وغربه:

لقد شهدت هذه المنطقة الفسيحة من الأندلس سقوط أهم الحواضر الإسلامية الباقية. وكان لذلك الأثر البالغ على بقاء المسلمين ومصيرهم – مع ما كان يحصل في منطقة الشرق أيضا - ،بل إن حركة الهجرة إلى خارج الجزيرة تحددت ملامحها و توضحت أكثر من ذي قبل مع سقوط هذه المدن الكُبرى ، وكان مما ضاع في هذه الجهة:

1 – قرطـــبـــة:

لقد كان ملك قشتالة وليون " فرناندو الثالث "، يطمح ويُمني النفس منذ أن وحد المملكتين بالاستيلاء على عاصمة الخلافة القديمة، لمكانتها التاريخية والحضارية والعسكرية.

و في سبيل تحقيق هذه الرغبة عمد إلى اقتطاع أراضي المسلمين شيئا فشيئا مستغلا الحرب الأهلية بين ابن هود وابن الأحمر على الحكم، فصار يضرب أحدهما بالآخر من خلال عقد اتفاقيات الهدنة، فإذا خلا لفرناندو الجو ، لم يتأخر حتى يزحف بقواته المتحمسة على مدن المسلمين.[2]

---

2 ابــن الأبار،الحلة السيراء، ج 2 ،الهامش، ص ص 303 – 306، يُراجع أيضا،ظهير الرشيد الموحدي من إنشاء كاتبه أبي المطرف بن عميرة، لأهل بلنــسية وجزيرة شقر وشاطبة وأهل الشرق ومن شاركهم الُمصاب، بالنزول في رباط الفتح، وهو في الحقيقة خير دليل عن عجز الموحدين يومها عــن الدفاع عن الأندلس والقيام بأي عمل منظم وجريء لاستعادة حواضر المسلمين، راجع، أحمد عزاوي، رسائل ابن عميرة الديوانية القرن السابع الهجري،جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة،الطبعة الأولى، 1429 هـ / 2008 م، ص 106 – 107، يُراجع أيضا ظهير السلطان يغمراسن بن زيان في توطين أهل بلنسية وشرق الأندلس، عــبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،(دراسة سياسية،عمرانية،اجتماعية، ثقافية)،موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج 1، ص 175 – 176، المرجع السابق نفسه، ج 2، ص 319 – 321، الطاهر توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين،ديوان المطبوعات الجامعية، 2010 م، ج 1، ص ص 261 - 265.

1 أنظر، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 4 ، ص 219، ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 275 -276، ابن عذارى، مصدر سابق، ق م، ص 303.

وقد تحرك النصارى صوب قرطبة في أواخر ربيع الثاني من سنة 633 هـ / أوائل سنة 1236 م[1] ، وتمكنت فرقة من الجند القشتالي - بخيانة بعض أهل المدينة- اقتحام احدى مناطق قرطبة الخمسة والمُسماة بالشرقية، وذلك تحت جُنح الظلام وهطول الأمطار. وسرعان ما سار الملك القشتالي بقوات ضخمة نحو المدينة ، وضرب الحصار الخانق حولها بُغية دفعها للاستسلام .[2]

كانت قرطبة يومها مُنضوية تحت طاعة الأمير ابن هود الذي سارع إليها بقوات كبيرة.

لكن المُحير تصرف ابن هود الغامض، إذ وقف بجنوده على مقربة من المدينة ومن العدو جامدا لا يُحرك ساكنا، بل إنه انسحب بما معه من القوات المتأهبة للقتال من موقعه تاركا وراءه قرطبة لمصير مجهول !.

واختلفت الروايات – بطبيعة الحال - في تفسير سبب احجام ابن هود عن الاشتباك مع النصارى وتخليه عن فك حصار قرطبة. فقيل أنه سارع لإنجاد بلنسية المحاصرة؛ وأن أحد فرسانه المرتزقة من النصارى خادعه في وصف الجيش المُحاصر لقرطبة وصوره أكبر عددا وأكثر عُدة. فخشي ابن هود هزيمة أخرى أمام فرناندو الثالث، بعد هزيمة سابقة في أوائل سنة 627 هـ / 1229 م، وتسببت حينها في سقوط مدينتين أندلسيتين هما:

- مـــاردة [3]

2 عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 418، أشباخ،مرجع سابق، ج 2 ، ص183، وعن وصف قرطبة، يُراجع، ابن سعيد، مصدر سابق،ج 2، ص ص 35 – 178، المقري،مرجع سابق،ج 1 ، ص ص 153 – 156، وعن مكانة قرطبة ووصفها، يُراجع،صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد،مج 29، عدد خاص بمدينة قرطبة، مدريد،1997 م، ص ص 9 - 22.

3 عند أشباخ أن الذين ساعدوا الجند القشتالي هم من الأسرى المسلمين الذين تحول بعضهم إلى خونة ،مرجع سابق، ج 2،ص 183،الحميري،مصدر سابق، ص183،عنان، دولة الاسلام في الأندلس،ع 3 – ق 2، ص 420 – 421.

1 مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلى المغرب قليلا، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل فكثرت بها آثارهم،أنظر، الحميري،مصدر سابق، ص 518 وما بعدها، ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2، ص ص 361 -362، عنان، الأثار الأندلسية، ص ص 380 – 386.

- بطليوس.[1] .

واشتد وقع الحصار على قرطبة واستطال أشهرا عدة. ورغم بسالة أهلها المُدافعين عنها وصبرهم، إلا أن نفاذ الأقوات والقوات بعد انسحاب أو تخاذل أميرهم ابن هود، شكل منعطفا حاسما وسببا رئيسيا لفشل حركة مقاومة الأهالي على المدينة. فخبت شجاعتهم وحل الخور واليأس مكان القوة والبسالة.[2]

وانتهى الأمر أخيرا - وكعادة جُل مدن الأندلس في هذا القرن - إلى التفاوض بشأن تسليم المدينة إلى السادة الجدد مُقابل الخروج بأمن وسلام فقط.

وفارق أهل قرطبة المفجوعين مدينتهم التالدة ومسقط رؤوسهم في يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر شوال سنة 633 هـ الموافق للتاسع والعشرين من شهر يونيو سنـــة 1236 م، بعد أن ظلت منارة للخلافة الإسلامية و مشعلا للحضارة الإنسانية زمنا امتد خمسمائة وعشـرين عاما.

جاء في ترجمة آخرِ قضاة مدينة قرطبة، وهو ربيع بن عبد الرحمان بن ربيع الأشعري لدى مغادرته قرطبة نحو اشبيلية ما نصه:

" أنه ما هاله عظيم الرزء في مفارقة المال والوطن، عند الحاجة إليه مع سن الشاخة، ولا بلغ لديه شيء من ذلك مبلغ الرزء فيما تلف له من كتبه ".[3]

---

2 هي من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلا، وهي مدينة جليلة في بسيط من الأرض ولها ربض كبير،ومن بطليوس الى اشبيلية ستة أيام ومنـها إلى قرطبة ست مراحل ، الحميري،مصدر سابق، ص 93، ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2، ص 360، وراجع ما قيل فيها عند المقري،مرجع سابق، ج 1، ص 186، المرجع السابق نفسه، ج 4، ص 466، عنان، الأثار الأندلسية، ص ص 372 – 379.

3 أشباخ،مرجع سابق، ج 2، ص 186 ، عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ع 4 ، 34، الحجي، مرجع سابق، ص 514.

1 أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس، وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستـحق القضاء والفتيا، تحقيق، لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1403 هـ / 1983 م، ص 118.

وهكذا عادت إلى قرطبة – عاصمة بني أمية - كلمة الكفر من جديد. [1]

فإن النصارى ما كادت أقدامهم تطأ المدينة الخالدة ، حتى رُفع الصليب على قمة صومعة جامعها الأعظم ،وحُول في الحال إلى كنيسة ،وهي سيرة النصارى الغُزاة المُتبعة اتجاه كل مدينة إسلامية يستولون عليها.[2]

2 - اشبـــيــليـــة:

لقد عمل الملك القشتالي على إسقاطها بالاستيلاء على قواعدها الأمامية،نظرا لأهميتها الكبيرة والدلالة الرمزية التي تعنيها بحكم أنها كانت عاصمة للموحدين في الأندلس. وسدد النصارى خلال ذلك ضرباتهم صـوب جنوب الأندلس – معقل ابن الأحمر -، حتى أنهم حاصروا غرنــاطة نفسها ، لأنها أضحت تؤوي وتستقبل الفارين من جحيم المعارك، فمن مُستقر ومن مغادر نحو المغرب الأوسط وغيره.

كما حوصرت جيان واشتد الخناق عليها ، واضطر ابن الأحمر –رغبة في توطيد أركان مملكته المتواضعة وحمايتها من عدوان النصارى- لمصالحة الملك فرناندو الثالث سنة 643 هـ / 1245 م.

ونصت بنود **الهُـدنـــة** على الآتي:

- أن يحكم ابن الأحمر باسم الملك القشتالي مع أداء الجزية والمقدرة بخمسين ألف مثقال من الذهب.

---

2 ابن الأبار ، التكملة، ص 147، ابن سعيد، مصدر سابق،ج 2 ، ص57،ابن خلدون، تاريخ ابن خـلدون،ج 4 ، ص ص 217 - 219.

3 عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 424 – 425، و ص 450،المرجع السابق نفسه، ع 4 ، ص 34، أشباخ،مرجع سابق،ج 2، ص 186 – 187،عنان، الآثار الأندلسية، ص ص 20 -25، يُراجع أيضا، السيد عبد العزيز سالم، المساجد والقصـور في الأندلس،مكتبة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986، ص ص 8 – 29.

- تعهد ابن الأحمر بمعاونة الملك النصـــراني ضـــد أعدائه – طبعا من المُسلمين - !.

- توفير قوة من الفرسان الغرناطيين لتنفيذ بنود الاتفاق.

كما سلم ابن الأحمر جيان المنيعة كعربـون صدق ووفاء،وفي المُقابل ينعقد الصلح عشرون عاما مع قشتالة التي يُقر ملكها ابن الأحمر على ما بيده مـن القواعد والحصون.[1]

وتفرغ فرنـــاندو الثـالث عقب ذلك إلى الاستعداد الحثيث لإنزال ضربتـه المـمُيتة باشبيلية.

ولم تأت أواسط سنة 645 هـ / 1247 م حتى كـــان ملك قشتالة، قد استولى على جميع

الحصون الأمامية لهذه المدينة[2] ،و أسهم ابن الأحمر من جانبه بفاعلية في حصار المدينة بخمسمائة فارس غرناطي حسب بنود الاتفاق السابق !. [3]

واستطاع أمير غرناطة هذا أن يحمل – بالنصح والإقناع – عدة حصون على التسليم؛ وأن يحصل من الملك فرديناند على وعد بألا يستعمل العنف حيث لا ضرورة لاستعماله من جهة، وأن يقدم النصارى شروطهم إلى كل مدينة وقلعة قبل أن يبدأ حصارها من جهة أخرى. وبذلك استطاع ابن الأحمر أن يحقن كثيرا من دمـــاء المسلمين.

وبدأ النصارى فعلا في تطويق اشبيلية منذ سنة 644 هـ / 20 أغسطس 1247 م برا وبحرا. واستمر الحصار ثمانية عشر شهرا قدم فيها ابن الأحمر نصائح جليلة للنصارى لإحكام السيطرة على المدينة وتطويقهـــا !.[1]

---

1 راجع ما قاله بعض أهل جيان عند مفارقتها ، الحميري،مصدر سابق، ص184، ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 36، ،عنان،دولة الإسلام في الأندلس، ع 4، ص ص 43 - 46، تسبب صلح ابن الأحمر في انعكاسات خطيرة بسقوط كُبرى الحواضر الإسلامية، واستمرار حصول نزيف الأراضي الاسلامية حتى بلغت في سنة 665 هـ، 105 بلدا مـن بلاد الأندلس، تنازل عـنها للقشتاليين، عنـان،دولـة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2، ص 433 – 434، و 468 - 469 ،وقد رثى الفقيه أبو محمد صالح بن شريف الرندي حينها الأندلس،ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ص 112 – 114.

2 عنان،دولة الاسلام في الأندلس، ع 4 ، ص 44.

3 أشباخ،مرجع سابق، ج 2 ، ص 194، عنان،دولة الاسلام في الأندلس، ع 3 – ق 2،ص 474، و 480.

ولما أيس أهل المدينة من النجدة الخارجية [2]،اضطروا إلى التفاوض لتسليم المدينة إلى عدوهم اللدود وذلك تبعا لمجموعة من الشروط و أهمـــهـــا:

- أن يكون المسلمون أحرارا في البقاء في المدينة متمتعين بممتلكاتهم لا يؤدون إلا الضرائب أو أن يهاجروا منها إلى حيث أرادوا بعد أن يبيعوا أملاكهم.

- أن تُعطى مهلة شهر لمن قرر المغادرة.

- أن يسُهل النصارى للمسلمين النقل البري والبحري الآمن.

و هكذا فتحت مدينـــة اشبيلية العظيمة أبوابها للسادة الجدد بعد مُضي سنتين من الحصار الخانق. وذلك في السابـــع والعشرين من شهـر رمضان المُعظم من سنة 646 هـ الموافق 23 نوفمبر 1248 م.[3]

و دخل النصارى يتقدمهم ملكهم فرناندو الثالث في موكب ملوكي فخم، وتوجه هذا الموكب إلى المسجد الجامع رأسا، فقام الأحبار بتحويله إلى كنيسة فورا.

وارتفع في الوقت نفسه علم النصرانية وعلم ملك قشتالة عاليا، مُرفرفا على قمة البرج الأعلى للكنيسة الجديدة وهو الذي سمي لاحقا بالجيرالدا.[1]

وطويت بذلك صفحة حكـم المسلمين لإشبيليـة إلى يومنا هـذا بعدما استمـر خمسمـائة وسبــعة وثلاثين عاما. وخرج من أهلها نحو ثلاثمائة ألف مسلم، وقيل أربــــع مئـــة ألف،

---

1 أشباخ،مرجع سابق،ج 2 ، ص 196 -197، عنان،دولة الاسلام في الأندلس،ع 4 ، ص 44- 45.

2 انظر قصيدة ابراهيم ابن سهل الاشبيلي في استصراخ أهل العدوة لإنجاد اشبيلية، ابن سهل الأندلسي، ديوان ابن سهل الأندلسي، دراسة وتحقيق، يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002 م – 1424 هـ، ص 35 ، أشباخ،مرجع سابق،ج 2 ،ص 198، عنان،دولة الاسلام في الأندلس،ع 3 – ق 2، ص ص 484 – 487.

3 الحميري،مصدر سابق، ص 60، ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 4 ،ص 219، ابن عذارى والمقري يريان أن الحصار ظل على المدينة حولا كاملا وخمسة اشهر أو نحوها، أنظر على التوالي: ق م، ص 384،ج 1 ، 448، ج 4 ، ص 472 ، ابن أبي زرع،روض القرطـاس،ص 276 .

وقيل نصف مليون نازح ولاجئ .[2]

وهكذا فقد تمكنت مملكة قشتالة القوية من تحقيق أحلامها في بسط سيطرتها وسلطانها على سائر الأراضي الاسلامية الواقعة غربي ولايـــة الأندلس.

و لم يأت منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى والغربية قد تساقطت بيد إسبانيا النصرانية.

ولم يبق من تراث وميراث الدولة الإسلامية المترامية الأطراف في الجزيرة الأندلسية المنكوبة – خلال هذه الفترة الحزينة والقصيرة من السنوات - سوى بعض الولايات الصغيرة في الطرف الجنوبي لاسبانيا، والتي اجتمع شملها تحت حكم مملكة بني نصر المتواضعة في غرناطة. [3]

3 - المغرب الأوسط أرض استقبال للمهاجرين الاندلسيين:

لقد شكل سقوط الحواضر الإسلامية في الأندلس بيد النصارى، مُصيبة كبرى على أهلها والذين اضطرتهم الظروف القاهرة إلى الهجرة والنزوح داخليا وخارجيا.

فأما داخليا فنحو المُدن التي بقيت سالمة إلى حين وبوجه أخص إلى مملكة غرناطة. وأما خارجيا فنحو المشرق والمغرب بحثا عن الملاذ الآمن الذي يُنسيهم ولو قليلا فاجعتهم بوطنهم.

1 أشباخ،مرجع سابق، ج 2 ، ص 198، عنان، دولة الاسلام في الأندلس، ع 4 ، ص 45.

2 الحجي،مرجع سابق، ص 482، وانظر وصف ابن عذارى لحال أهل اشبيلية المفجوعين في بلدهم ص ص 380 - 384 ،عنان،دولة الاسلام في الأندلس،ع 3 – ق 2، ص 486،الذي يذكر أن مئة الف منهم عبروا إلى سيتة، والباقي تفرقوا بين المغرب والأندلس، محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، صفحات، 168، 212،245.

3 عامر أحمد، مرجع سابق، ص55، الحجي،مرجع سابق، ص483، عـنان،دولة الاسلام في الأندلس،ع 4 ، ص ص 20 – 21، ص 46،و ص234، شاكر مصطفى،مرجع سابق، ص 110.

ولقد فتحت مدن المغرب الأوسط المجال الواسع لهؤلاء المهاجرين للاستقرار وبداية حياة جديدة بها في ظل الأعداد الكبيرة الوافدة من الأندلس والتي لم يكن من السهل أبـــدا استيعابها. وكان من أمثلة أمواج الوافدين بكثرة، الذين قدموا من مـدينة اشبيلية بعد سقوطها وكانت وجهتهم شمال افريقيا.[1]

كما كان للمُقومات الطبيعية والسياسية التي تمتعت بها بلاد المغرب الأوسط المُترامية الأطراف، أبلغ الأثر على قرار الأندلسيين بتفضيل الاستقرار به. واتخاذ أرضه موطنا أو معبرا،بالإضافة إلى سهولة الاندماج مع السُكان المحليين المغاربة،مما كان له الدور البارز في التمازج والتفاعل الحضاري والعلمي على هذه الأرض الإسلامية.

فالنسبة للمقومات الطبيعية لبلاد المغرب الأوسط، فقد تمثلت في أمرين مُهمين همـــا:

** قرب بلاد المغرب الأوسط من نظيرتهـا الأندلسية من ناحية المسافة فمثلا:

مدينة بجاية [2] تُقابلها جزيرة ميورقة.

- مـــدينة وهــــــران [2] تُقابلـــها المدن الأندلسية الآتيــة:

* لقنـــت

---

1 مـحمـد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، صفحات، 168، 212،245، عمر سعيدان، مرجع سابق، ص 35 – 36، الذي يتحدث عن لجوء مسلمي ميورقة إلى تلمسان على وجه الخصوص،و انظر بخصوص هجرة الشاطبيين ، ابن الأبار، الحلة السيراء،ج 2 ، ص 303، ابن الأبار، التكملة، ص 152.

2 قـاعـدة المغرب الأوسط، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها،وهو يُحيط بها من ثلاثة جهات. وهي على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى أمسيول، وهو جبل صعب المرتقى، أنظر الحميري، مصدر سابق، ص ص 80 – 82، وانظر أيضا، مارمول كربخال، إفريقيا،ترجمة، مجموعة أساتذة،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،مطابع المعـــارف الجديدة، 1408 - 1409 هـ / 1988 – 1989 م، ج 2، ص ص 376 – 380.

1 مدينة ساحلية بناها جماعة من البحارة الأندلسيي،و قيل أنها أسست في سنة 290 هـ، ثم أحرقت في فتنة وقتال، ثم أعيد بناؤها إلى خير مما كانت عليه. وهي مدينة موصوفة بكثر البساتين والثمار والعيون والأنهار، واشتهرت بمرساها الكبير وهي تُقابل مدينة المرية في ساحل بر الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها أكثر ميرة الأندلس، وأهل وهران موصوفون بعظم الخلق وكمال القامة وفيهم غرة انفس و نخوة، الحـميري، مصدر سابق، ص 612 – 613، مارمول، مرجع سابق، ج 2، ص ص 329 – 332.

* مرسيـــة

* المـــرية [1]

* قرطاجنـــــة . [2]

في حين أن جزر البليار الأندلسية تقع في مُقابل مجموعة من مدن المغرب الأوسط الساحلية الأخرى على غرار:

- تنـــس[3]

- شرشال[4]

- مدينة الجزائر[5]

---

2 بناها الأمير عبد الرحمان الناصر في سنة 344 هـ ، لتكون مرقبا للساحل الجنوبي الشرقي للأندلس وقاعدة بحرية للأسطول الأموي، راجع، محمد أحمد أبو الفضل، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري،دار المعرفة الجامعية، 1996، ص ص 31 - 34، السيد عبد العزيز سالم،تاريخ مدينة ألمرية الاسلامية قاعدة أسطـول الأندلـس،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكنـدرية، ص ص 13 – 33، الحميري، مصدر سابق، ص 537 – 538.

3 وهي من كورة تدمير، وهي فرضة مدينة مرسية، وهي مدينة قديمة أولية بها ميناء ترسو فيه المراكب الكبار والصغار، وهي كثيرة الخصـب والرخاء المتتابع، الحميري،مصدر سابق، ص 462.

4 مدينة بينها وبين البحر ميلان، ومنها قديمة وأخرى حديثة بناها البحارة الأندلسيون في سنة 262 هـ، موصوفة بوفرة الطعام ورخص الأسعار، الحميري، مصـدر سابـق، ص 138،مـارمـول، مرجع سابـق،ج 2، ص 354.

1 مدينة متحضرة بها مياه جارية وآبار عذبة وفواكه كثيرة، وبها آثار للأول ستسقبل وفود المهاجرين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة النهائي في سنة 1492 هـ، الحميري مصدر سابق، ص 340،مارمول، مرجع سابق، ج 2، ص ص 355 – 357.

2 تُعرف بجزائر بني مزغنة وهي هي مدينة جليلة قديمة البناء فيها آثار للأول تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم، وهي على ضفة البحر ولها أسواق عامرة ومسجد جامع ومرساها مأمون به عين عذبة يقصدها

- دلس[1]

** التشابه الحاصل بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس من ناحية طبيعة المناخ المعتدل لا سيما في المناطق الساحلية التي شجعت الأندلسيين على اتخاذها مقرا ومستقرا.

ويتبين لنا بعد هذا أن المغرب الأوسط لم يكن بغريب على الأندلسيين. فقد ساهموا بقسط وافر في بناء وتعمير الكثير من مدنـــه – سواء قبل فترة الدراسة أو أثناءها أو بعدها-.

ولما اشتدت بهم الظروف القاسية في بلادهم الأندلس وانبعثت صيحات الرحيل، نرى أن الحنين عاودهم إلى هذا الاقليم الذي استقبلهم وأكرمهم.

ويُضاف إلى ما تقدم توفر الارادة السياسية المُرحبة بهؤلاء الوافدين ، تلك التي قامت ممثلة في الحفصيين الذين كانوا يسيطرون على شرقي المغرب الأوسط مُتخذين مدينة بجاية حاضرة لهم فيه.

بالإضافة إلى مملكة بني عبد الـواد الذين سيطـروا على ما تبقى من الأراضـي متخذين مدينة تلمسان[2] حاضرة لهم. ولم يسـلم الطرفان من المُواجهة العسكرية الرامية إلى السيطرة على أكبر جزء من هذا الإقليم .[3]

أصحاب السفن من افريقية والأندلس وغيرهما، الحميري، مصدر سابق، ص 163، مارمول، مرجع سابق، ج 2، ص 362 -363، عصام سالم،مرجع سابق، ص 15.

3 عُرفت في المصادر بتدلس، وهي مدينة كبيرة بحرية بين الجزائر وبجاية.وهي على شرف متحصنة لها سور حصين و آثار ومتنزهات موصوفة برخص الفواكه والأسعار و بها من المطاعم والمشارب ما لا يوجد بغيرها، الحميري، مصدر سابق، ص 132، مارمول، مرجع سابق، ج 2، ص 372.

1 قاعدة المغرب الأوسط وهي مدينة عظيمة قديمة لها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وبينها وبين وهـران مرحلتان، وهي موصوفة بالخصب والرخـاء كثيرة الخيرات والنعم، الحميري، مصـدر سابق، ص 135 – 136،مارمـول، مرجـع سابـق، ج 2، ص 298 – 299، وليم و جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، ترجمة، مجموعة من الأساتذة،شركـة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م، ص ص 32 – 36.

2 بورملة عربية ، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (7 – 8 هـ / 13 -14) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية،إشراف، محمد

وكثيرا ما اتخذت المواجهات و تطورت إلى التنافس الحامي الوطيس على تشجيع الجانب العلمي والثقافي والتجاري للمملكتين من خلال استقطاب هؤلاء الوافدين الجدد من الأندلس وتوفير فرصة العمل للكفاءات منهم لتولي المناصب الحساسة في الدولة والاستفادة بالتالي من خبراتهم ومواهبهم في خدمة الجانب السياسي. وكان الأندلسيون بطبيعة الحال على رأس هؤلاء وفي مُقدمتهم.

من هنا كان لا بد لنا - في بحثنا هذا- من وقفة مع تلك القرارات السياسية الحاسمة التي كانت تخرج من بلاطي تلمسان و بجاية، نظرا لكون هاتين المدينتين من أهم الحواضر السيــاسية والعلميــة في المغرب الأوسط في هذه الحقبة التاريخية المهـمة من تاريخ الإقليم. تلك القرارات التي كانت ترمي إلى تشجيع الهجرة الأندلسيــة إلى المغرب الأوسط والاستفادة منها.

1- بنو عبد الواد:

لقد شهدت مدينة تلمسان نهضة علمية وعمرانية وسياسية ملحوظة منذ القرن الخامس للهجرة لموقعـها المتميز،كونه يُشكل همزة وصل بين مسالك التجارة الصحراوية والأندلسية من جهة، وبين افريقية والمغرب الاقصى من جهة أخرى.

وقد انعكس ذلك كله بالإيجاب على حياة المجتمع برفاهيته والمدينة باتساعها وعلى الملك باستحكام الأبهة والسلطان. وقد كان الأندلسيون يُشكلون الكثرة الكاثرة من الوافدين على تلمسان سواء للتجارة أو لطلب العلم والتعبد، لينتهي المُقام بالكثير منهم إلى استيطانها لضياع حواضرهم من جـهة ولتشجيع ملوك بني عبد الواد لهم من جهة أخرى، وذلك بفتح

بن معمر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الاسلامية،السنة الجامعية، 1430 – 1431 هـ / 2009 – 2010 م، ص ص 28 -35، عبد الحميد حاجيات،" تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط "، مجلة الحضارة الإسلامية، عدد خاص بالملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الاسلامي، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الاسلامية، وهران، السنة الأولى، 1414 هـ / 1993 م، ص ص 39 -40،محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1984، ص ص 80 -97.

الأبواب أمامهم لتولي مناصب الدولة الراقية كالكتابة والقضاء والخطابة والتدريس والجندية، فلا غرابة إذن أن يكون أكثر الوافدين من الأندلس على تلمسان.[1]

وكان أشهر ملوك بني عبد الواد السلطـــان يغمـــراسن بن زيـــان(633 -681هـ / 1236 – 1283م)، و هو الذي انصب شُغله طوال فترة حكمه الطويلة على توطيد استقرار ممـلكتـــه الفتية، وتحصينها و رد هجمات الأعداء المتربصين بها وباستقرارهـــا

إلى جانب الاهتمام بنشر الثقافة والعلم وتشجيع رجال الأدب.[2]

ولقد كان لهذه العوامل و المجهودات الدور الفعال في تفضيـل الأندلسيين الهجرة اتجاه الحاضرة العبد وادية تلمسان ،خاصة بعد أن أصدر هذا السلطان ظهيرا سلطانيا في حوالي

1 رفيق خليفي،البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3 هـ إلى نهاية القرن 9 هـ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، إشراف نجيب بن خيرة،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريـــخ، قسنطينة، السنة الجامعية،1428 = 1429 هـ / 2007 – 2008 م،ص 138، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 6 ، ص 391، أبو زكريا يحي بن خلدون، بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق، عبد الحميد حاجيات،المكتبة الوطنية، الجزائر،1400 – 1980، ج 1،ص 204، محمد بن عبـــد الله التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق، محمود بوعياد،المؤسسة الوطنية للكتـاب، الجزائر، 1405 – 1985، ص ص 126 -128 عبد الحميد حاجيات،" تطور العلاقـات بين تلـمسان و غرناطة في العصر الوسيط "، عصور الجديدة، العدد 2- عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011 م / 1432 هـ، ص 39، راجع في وصف تلمسان راجع،يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج 1، الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعـات الجامعية، الطبعة الثانية، ص ص 210 – 216، وفي ص 222 يتحدث عن رجال الأندلس الذين وفدوا على يغمراسن، فيلالي، " الأحـوال الصحية لسكان تلمسان في عهد بني زيان(تأثير الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية والأزمات السياسية على السكان)" =التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال ملتقى دولي في التاريخ، 23 – 24 نيسان – أفريل سنة 2001 ، منشورات مخبر الدراسات التـاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 157 -158.

1 يحي ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج 1 ،ص ص 204 - 206، التنسي، مصدر سابق، ص ص 125 – 128، مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج 1، الأحوال السياسية،منشورات الحضارة، 2005، ص 7 - 8،المرجع السابق نفسه، ج 2، الأحوال الاقتصادية والثقافية،منشورات الحضارة، طبعة 2009،ص 268 - 269،المرجع السابق نفسه،ج 3، الأحوال الاجتماعية،منشورات الحضارة، طبعة 2009، ص 90، و ص 95، و ص 97، و ص ص 221 – 228.

سنة 677 هـ ،وذلك لتسهيل توطين أهل بلنسية وشرق الأندلس بالحاضرة والعناية بهم ومراعاة ظروفهم وحمايتهم من كل اعتـــــداء.[1]

ولم يتخلف السلطان العبد وادي الثاني، أعني عثمان بن يغمراسن بن زيان(681 – 703 هـ / 1283 – 1303 م)، عن هذه السياسة فاستخدم المهاجرين والأنصار – على حد تعبير يحي ابن خلدون -.[2]

2- بنو حفص:

لقد عرفت الأجزاء الشرقية من المغرب الأوسط التي خضعت لسلطان الحفصيين لا سيما بجاية تطورا ملحوظا. وكان عدد الوافدين من بلاد الأندلس يزداد من قرن إلى آخر، فظهر بهــا لأول مرة مصطلح (رأس الجماعة الأندلسية).[4]

وقد دخلت هذه المدينة تحت حكم الحفصيين الذين ارتقوا بها لتنافس العاصمة تونس،وكان من أشهر حُكام هذه الأسرة المؤسس للدولة الأمير أبي زكريا(625 -647 هـ/ 1228 – 1249 م) الذي ضم مدينة بجاية إلى مملكته في سنة 627 هـ.[3]

2 أحمد عزاوي، المغرب والأندلس في القرن السابع / 13 م، دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة،الطبعة الأولى، 2008، ص 159، الطاهر توات، مرجع سابق، ج 1،ص ص 261 – 265.

3 يحي ابن خلدون، مصدر سابق،ج 1، ص 208.

4 خليفي، مرجع سابق،ص 245، ، يحي بوعزيز، "مركز بجاية الحضاري و دوره في اثراء الحضارة العربية الاسلامية و في نهضة ايطاليا و جنوب غرب أوروبا "، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الاسلامية، وهران، السنة الأولى، 1414 هـ / 1993 م، ص 8،ناصر الديـن سعيدوني،دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجـود الأندلسي بالجزائر،دار الغرب الإسلامي،الطبـعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م، ص 104.

1 أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق،محمد ماضور،المكتبة العتيقة، 1966،ص 24 – 25، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج 6 ، ص ص 381 – 402، سعيدوني، مرجع سابق، ص 104، الذي يرى أن بجاية تتفوق على تونس من جانب الحصانة الطبيعية،وارتباطها بالأندلس مباشرة، ومن جهة الإمكانات الاقتصادية. لذلك صارت تُحكم من طرف ولاة

وقد شهدت المدينة في زمانه توافد الكثير من أهل الأندلس الفارين من جحيم الحملات النصرانية ،خاصة فيما تـعلـق بمأساة مدينة بلنسية والتـي لم يتيسر انقـــاذها لتسقط بعد الحصار الخانق .[1]

ولا شك أن مرد هذا التوافد الكبير للاجئين الأندلسيين هو ما لمسوه من التسهيلات والترحاب من هذا الأمير الحفصي، والذي عمـل على إشراكهم في ادارة دفة الحكم والاستفادة من تجاربهم،و في الوقت ذاته الحد من نفوذ حزب الموحديـن.[2]

هـذه السياسة ظلت معالمـها قائمة في عهد ولده وخلفه من بـعده السلطان المستنصر(647 – 675 هـ / 1249 – 1277 م) ،من خلال العمل بجد على تقريب أبناء الجالية الأندلسية الوافديـن ،مع تعيينهم في المناصب التي لم يكن يشغلها – في السابق - إلا الموحـدون أعني المحليون من أهل البلاد المغربية، كالـوزارة مثلا. بل وأقدم على أكثر من ذلك عندما ضم إلى بلاطه عددا كبيرا من الأدباء الأندلسيين، رغم ما تسببت فيـه هـذه السياسة مـن تفجرٍ للأحقاد والمؤامرات بين العنصرين الفاعلين في المملكة :**الموحدون والأندلسيون**.[3]

العهد المُتعاقبين، لا سيما المستنصر والواثق وأبي اسحاق وعمر المستنصر وهم الذين تولوا السلطة خلال الفترة الممتدة من 647 – 694 هـ / 1249 – 1295 م.

1 الزركشي،مصدر سابق، ص 27 -28،ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 6 ، ص 388.

3 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج 6 ، ص 402 – 403،محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين،مجلة الأصالة،العدد 26 ، مطبعة البحث،قسنطينة،1975،ص 57، سعيدوني، مرجع سابق، ص 104 -105، روبار برنشفيك،تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ترجمة،حمادي الساحلي،دار الغرب الاسلامي،الطبعة الأولى، 1988، ج 1، ص 68.

1 ومن ذلك المحاولة الانقلابية على الأمير الشاب بعد اقل من سنة من جلوسه على العرش، وكان السبب وراءها ما اضحى الموحدون يضمرونه من الحقد المتزايد للأندلسيين المتنفذين في حكم الدولة،ولكن المحاولة فشلت فشلا ذريعا وانتهت بمقتل الموحدين وتشريدهم،بـــرنشفيك، مرجع سابق، ج 1، ص ص 69 -72، المطوي، السلطنة الحفصية، ص 175 – 177، و ص 213 -214.

ولم يختلف الوضع بمجيء الواثق ابن المستنصر(675 – 678 هـ / 1277 – 1279 م)، الذي سار على نهج سالفيه في تقريب العنصر الأندلسي وتعيينه في مناصب الدولة العليا سواء بالحاضرة تونس أو بجاية، والتي علت في مراكز النفوذ حتى سيطر بعض أفرادها على السلطان نفسه.[1]

ثم افتك أبو اسحاق عرش المملكة(678 – 682 هـ/ 1279 – 1283 م)، فعمل على توزيع المناصب الكبرى بين الاندلسيين والمحليين ، لكنه عاد عن ذلك لأنه القادم من الأندلس والمحب لهم، فخصهم بأعلى المناصب كالحجابة وخطة الأشغال. وتلا ذلك اشتعال الفتنة والتناحر الذي كان ينعكس يوما بعد يوم على علاقة بجاية بتونس.[2]

ولما استعاد أبو زكريا دفة الحكم (683 – 700 هـ / 1284 – 1292 م)، نزل مدينة بجاية، وضاهى بها تونس – الحاضرة - في سنة 684 هـ / 1285 م.

كما عمل هذا الأمير أيضا على تقريب الأندلسيين منه في الحجابة الذين استبدوا بالحكم. وكان لذلك الأثر البالغ في استقلال هذا الأمير الحفصي بحكم بجاية، وجعلها مملكة مستقلة عن تونس سياسيـــا.[3]

2 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 6 ،ص 433- 434 ، الزركشي، مصدر سابق، ص 41 – 42، ابن قنفذ،الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق،عبد المجيد التركي،الدار التونسية للــنشر،1968،ص ص 134 -136، المطوي، السلطنة الحفصية، ص ص 230 - 234، الذي يرى أن التطاحن والتآمر الذي ميز العلاقة بين الوافدين والمحليين كان من أهم أسباب انحدار الدولة نحو الضعف، وأن فترة حكم الواثق مثلت ذروة استفحال الخطر الأندلسي، بحيث صار السلطان ألعوبة في أيديهم.

3 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 6، ص ص 437 – 439،الزركشي، مصدر سابق، ص 44، ابن قنفذ، الفارسية، ص 138.

1 ابـن خلدون، تـــاريخ ابــن خلدون،ج 6 ، ص ص 448 -453، روبار برنشفيك،تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ترجمة،حمادي الساحلي،دار الغـــــرب الاسلامي،الطبعة 1 الأولى، 1988، ج 1، ص 111 – 112، سعيدوني، مرجع سابق، ص 105 -106، محمد بن عبد الله بن محمد إبن بطوطة،تُحفة النُظار في غرائب المصار وعجائب الأسفار، تحقيق، محمد عبد الرحيم،دار الفكر،الطبعة الأولى، 1430 هـ / 2009 م، ص 10.

و بعد هذا العرض يتبين لنا أن العناية النابعة من الإرادة السياسية الحاسمة للحفصيين وبني عبد الواد، قد عادت بالأثر الفعال والإيجابي على تفضيل الأندلسيين الاستقرار على أرض المغرب الأوسط وما عاد به من النتائج الايجابية على مملكتيهما في الحاضر وفي المستقبل وهما اللتان كانت كل منهما تبحث لنفسها عن خير موقع في ظل الواقع الجديد والمتمثل في اختفاء الدولة الموحدية وضياع أكثر الأندلس، وهذا رغم كل ما صاحب هذا الاستقرار الاندلسي من سلبيات ونقاط سوداء في بعض مراحله وأطواره.

وقد حفظت المصادر التاريخية لنا أخبار الأندلسيين الذين اشتهر ذكرهم ودورهم الريادي في مختلف المجالات والأصعدة، فقد كان منهم :

كُتاب الدولة وقادة الجيش ورجال الاقتصاد والوزراء و الأدباء و الخُطباء والفقهاء بمسائل الشريعة والمتصوفة.

الفصـــــل الثـــاني

تمهيد:

لقد شهد القرن السابع الهجري سقوط أكثر مدن المسلمين في الأندلس وحواضرهم الخالدة بيد النصارى.ولم يكن أمام الأندلسيين في ظل هذا الوضع الجديد والخطير إلا الأخذ بأحد ثلاثة حلول:

- توحيد الجهود والقوى لمواجهة النصارى واستنقاذ الأندلس مجددا وهو ما لم يتم تحققه إلا على نطاق ضيق ونعني بذلك قيام مملكة غرناطة على رقعة متواضعة أو كما تُسمى بالأندلس الصُغرى.

- القبول بحكم النصارى والانضواء تحت رايتهم مع المحافظة على الدين الاسلامي ما أمكن. ومن هنا جاء لفظ (الدجن) و (المدجنون)، وهو مشتق من دجن أي أقام خاضعا وقد أطلقه المسلمون على إخوانهم الذين بقوا في بلادهم بعد استيلاء النصارى عليها، في ظل هجرة الأغنياء والأعيان والرؤساء ورجال الدين، الذين مضوا مخلفين وراءهم الضعاف من الزُراع والعمال وأهل المدن.[1]

- الهجرة والنزوح عن الوطن إلى أرض الله الواسعة شرقا وغربا عموما، ونحو المغرب الأوسط على وجه التحديد والخصوص. وأمام تلك الأوضاع المأساوية للأندلس وأهلها يومئذ،اندفعت وفود اللاجئين والمهاجرين إلى النزوح وحمل ما أمكن انقاذه،لا سيما وقد انطلقت فتاوى العلماء يومها تحرم المُقام بين ظهراني النصارى.[2]

إن الذي يُستشف ويُلاحَظ على حركة الهجرة الأندلسية نحو المغرب الأوسط خلال القرن السابع للهجرة، أنها تميزت واتسمت بمظاهر واضحة المعالم و متعددة الجوانب نذكر منها:

1 ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 37، أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني الونشريسي، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يُهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تحقيق، حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية،الظاهر، 1416 هـ - 1996 ،مقدمة التحقيق، ص ص 14 – 17، ويُلاحظ القارئ انتقاد المحقق الشديد للونشريسي في فتواه المتضمنة تكفير من رضي بالبقاء تحت حكم النصارى،وأن ذلك الحكم جائر غير مستند لدليل عقلي ولا نقلي، ثم ساق المحقق جملة من الأسباب والدواعي التي رأى أنها تشفع للمدجنين المعذبين بالبقاء تحت حكم النصارى، راجع،مقدمة التحقيق، ص ص 17 – 21.

2 الونشريسي، مصدر سابق ، ص ص 22 - 65.

1 - أن أول الجاليات التي نزحت وهاجرت إلى المغرب الأوسط كانت من شرق الأندلس، و يعود سبب ذلك إلى تقدم سقوط الجناح الشرقي من الجزيرة بيد النصارى خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري.

ثم حلت جالية غرب الأندلس، والتي تأخر نزوحها إلى غاية سقوط الحواضر الكبرى في الجناح الغربي للجزيرة أيضا لاسيما سقوط اشبيلية في سنة 646 هـ. [1]

2 - أن هذه الهجرة الأندلسية لم تقتصر على مدينة بعينها، بل شملت مختلف الحواضر الأندلسية و ضمت جميع شرائح المجتمع الأندلسي،لاسيما أهل العلم والأدب والسياسة ممن قدموا مع جالية شرق الأندلس وغربه.[2]

3 - أن وفود المهاجرين كانت كثيفة وكثيرة، بحيث وصفها عبد الرحمان ابن خلدون في أكثر من موضع من كتابه بالجاليــة [3] ؛وتجلت هذه الكثرة في تكويـن الأندلسيين لمجتمـع خاص بهم بين أهل المــغرب الأوسط، وظهور مصطلح (الجماعة الأندلسية) لأول مــرة.[4]

و من خلال التتبع والاستقراء للمصادر والمراجع التي عُنيت بالهجـرة الأنـدلسية إلــــى المغرب الأوسط خلال القرن السابـــع الهجري (13 م)،حـــاول البـــاحـث تصنـــيـف المهاجرين الأندلسيين في: **البـُـيـــوتـــات والأفـــراد.**

1 يُراجع مبحث سقوط الحواضر الإسلامية، وانظر،كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص 222 – 223.

2 بوباية، مقال سابق، ص ص 161 - 167، حاجيات، تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة، ص ص 41 – 42، عزرودي، مقال سابق، ص ص 50 – 52.

3 ابـن خلدون، تاريخ ابن خـلدون، ج 6 ، صفحات، 452، 456، 463 – 464، المصــدر الســابق نـفسه، ج 7، ص 106، و ص 140 - 141 ، الطالبي، مقال سابق، ص ص 54 - 56

4 الغـبـــريني، مصدر سابـق، ص 287، و ص 294، ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج 6 ،ص 438،ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 5 – ق 1،ص 658 ،خليفي، مرجع سابق، ص 259.

أ – البُـيـــوتـــات:

ونعني بها تلك الأسر الأندلسية التي اختارت الهجرة بجميع أفرادها، أو التي هاجر مُؤسسها الأول من موطنها الأصــلي بالأندلس نحو المغرب الاوسط.

عرف ابن خلدون البيوتات بأنها:

" أن يعُد الرجل في آبائـه أشرافا مذكورين تكون له بولادتهم إيـاه والانتساب إليهم تجـلة في أهـل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلة سلـفه وشرفــهم بخلالهم ".[1]

ولأن فترة الدراسة في هذا البحث اقتصرت على القرن السابع الهجري فقط، فإنه لم يكن ممكنا التطــرق لكل الأسر والبيوتات الأندلسية التي استقرت بالمغرب الأوسط، سواء قبل القرن السابع الهجـري أو بعده، رغم الكم الهائل من المعلومـات المتوفرة عن هذه البيوتات، التي دخلها مؤسسوها مثلا قبل فتـرة الدراسـة فعاصرت ذريتهم المتلاحقة القرن السابـع الهجري. لكنهم عُدوا من أبناء المغرب الأوسط ميلادا ونشأة ولم ينتسبـوا إلى الأندلس إلا من ناحية الأصل الأول من مــثــل:

- بيت ابن جبل الهمداني الذين استقروا بوهران، وكان أول ظهور لهم في سنة 511 هـ أو سنة 512 هـ. ومن عقب هذا البيت الفقيه أبي عبد الله محمد بن مروان وابنه الحسن علي، واللذان توليا في زمن يغمراسـن وابنه أبي سعيد.[2]

- وبيت ابن أبي العيش الخزرجي الاشبيلي، الذي خرج مؤسسه " عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش بن خلف بن عبد الله " والمُكنى بأبي بكر من موطنه قبل سنة 535 هـ، وكان

1 ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون، ص 137، خليفي، مرجع سابق، ص ص 14 -17.

2 أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،تحقيق، محمود علي مكي،دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية،1990، ص 76 - 77، يحي ابن خلدون، ج 1، ص 205، خليفي، مرجع سابق، ص ص 138 – 148.

ولده الذي تربى في تلمسان هو المؤسس الحقيقي لهذا البيت. ومن عقب هذا البيت مجموعة من الأعلام الأفذاذ الذين اختصوا بالخطابة والفقـــه في تلمسان ردحا من الزمن.[1]

تلك كانت عينة من البيوتات الأندلسية التي استوطنت المغرب الأوسط قبل فترة الدراسة والبحث (القرن السابع الهجري) .والتي لم يكن بالإمكان أن نُدرجها في قائمة المهاجرين الأندلسيين، ذلك أن جُلهم هاجرت أصوله من موطنها قبل سقوطها بسنوات طويلة وصلت في بعض الأحيان القرن من الزمان.

وبالعودة إلى البحث والتنقيب استطاع الباحث أن يجد بيوتات أندلسية خالصة دخلت الى المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة، هربا من ويلات الحروب وضياع المال والوطن. ومن هذه البيوتات:

<u>1 - بيت بني الملاح:</u>

لقد اكتنف الغموض أصل هذا البيت ومراحل تأسيسه،إلا أن الذي يعني بحثنا أن بني الملاح احترفـوا في قرطبـة الســكة وسبــك الدنانير والدراهم وهي من الوظائف السامية في الدولة.

والسكة هي:

" الحديدة يُطبع عليها الدينار والدرهم ".[2]

وفي لسان العرب: "سبـك الذهـب والفضة ونحوه من الذائب يسبُكه ويسبِكه سبكا وسبكه:

---

1 ابـــن الأبـار، المعجـم في أصحاب القاضي الصدفي أبي عــلي حسين بن محمد،تحقيق، ابراهيم الابياري،دار الكتاب المصري، القاهرة،الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1989 م، ص 250 – 251،العباس بن إبراهيم السملالي،الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعـــلام، راجعه، عبد الوهاب ابن منصور،المطبعة الملكية، الرباط،الطبعة الثانية، 1413 هـ - 1993 م،الجزء الثامن، ص 151 – 152 ،و راجع، خليفي، مرجع سابق، ص ص 149 – 155.

2 أبو الحسن علي بن يوسف الحكم الكومي، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة،تحقيق، حسين مؤنس، <u>مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية</u>، مج 6،مدريد، 1378 هـ - 1958 م،العدد 1 – 2، ص 110.

ذوبه وأفرغــه في قالب ".[1]

وصارت حرفة سك النقود سببا لشهرة أهل هذا البيت، وسببا آخر لالتفات المؤرخين إلى تسجيل ميـراثه. بما يدل على أنهم لم يكونوا مُجرد موظفـين عاديين في دار الضرب أو السكة وإنما مشرفين عليــها.[2]

ويُعد العمل في سك النقود مسؤولية لا بد من القيام بها على الوجه الأتم " ولما كان هذا الذهب والفضة من أشرف الأشياء كان النظر في أمورهما من أشرف الأمور.وكما يُعتبر في إمام الصلاة أن يكون عالما بما لا تصح الصلاة إلا به قراءة وفقها. وكما يعتبر فيمن أراد أن يتحمل شهادة أن يكون عالما بوجوه التحمل، كذلـك ينبغي أن يكون الناظر في هذا المفراد هو الواجب على كل من قُدم على أمر أن يعلم الحكم فيه، ويستكمل له النظر حتى يستوفيه ولا يأخذ برأيه فيه على البديهة ولا على الظن وما يُشبهه بل يشعر في نفسه أن الثواب لمن علم فاقتدى والعقاب لمن ظلم فاعتدى" [3] ؛ويجب على من أقبل على هذه المهمة الخطيرة أن تتوفر فيه شروط صارمة ودقيقة من بينــها:

- أن يكون معروف الأمـــانة.

- أن يكون له بهذه الصناعة الجارية علم و معرفة، كتمييز النقود وأوصاف المعادن وما يُصلحها وما يُفسدها وأسباب غشها وما يُزيله.

1 ابن منظور، لسان العرب،تحقيق، نخبة من الأساتذة، دار المعارف،1401 هـ - 1981 م،، مادة سك، ص 1929.

2 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1 ، ص 213، خليـفي، مرجع سابق، ص 183 -184،بطيب الهوارية، السوق في الدولة الزيانية، 646 هـ - 1248 م / 952 هـ - 1545 م، إشراف عبد المجيد بن نعمية، بمساعدة،محمد بن معمر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، وهران، السنة الجامعية،2002 / 2003 م، ص 52، و ص 62 – 63.

3 أبـو الحسن الكومي، مصدر سابق، ص 112.

- أن يكون ذا دِربة بأنواع خطوط الطوابع وأشكال الفتح، وتصنيفه والخط وهمزته.

- أن يكون متصفا بالنزاهة والديـــانة.[1]

وتكون نتيجة التزام أصحاب الحرفة بالشروط السالفة الذكر أن يستوثق الناس بسكتهم و تكثر الفــوائد والعوائد.[2]

ومن الخطر بما كان أن يشتغل بهذه المهنة المتطفلون والجُهال " وإذا دخل فيها من ليس من أهلـها ولا عُد من رجالهــا، لا سيما مع إهمال دقائقها والإغفال عن وجوه البحث في حقائقها، عادت بالخُسران وعــدم الرجحان، وتعطل فايدها وقل عايدها ".[3]

يتبين مما سلف مكانة بيت بني الملاح القرطبي، فما اختارهم الحُكام في قرطبة ولا في المغرب الأوسط بعد هجرتهم إليه. إلا وقد طارت شهرتهم بأنهم أهل الثقة والإتقان والاختصاص في مجال ســك النقــود.

وبالعودة للحديث عن دخول هذا البيت الأندلسي إلى المغرب الأوسط، فإن المصادر التاريخية لا تُفيدنا بمعلومات كثيرة عن ذلك.

ولكن المقطوع بثبوتـه وصحـته أنه بعد سقوط قرطبة بيد القشتاليين في سنة 633 هـ،اختار بيت بني الملاح المغرب الأوســط كوجهة أساسيـــــة ونهائية.

واستقر المُقـام ببني الملاح في تلمسان ،وهناك سيشتهر أعلامه ويبلغون أرقى المناصب في بلاط بني عبد الواد لمدة تربو عن سبعين عاما بسبب صنعتهم وكفاءتهم.[4]

1 أبو الحسن الكومي، مصدر سابق، ص 112 – 113.

2 المصدر السابق نفسه، ص 112 – 113.

3 المصدر السابق نفسه، ص 113.

4 يحي ابن خلدون، مصدر سابق ،ج 1 ،ص 212 - 213،ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ،ج 7 ،ص 140 – 141.

2 - بيت بني سيد الناس:

ينتسب هذا البيت إلى " يعمر بن مالك بن بهثة بن حرب بن وهب بن حلى بن أحمس بن ضبيعة ابن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان"، وكان موطنهم في منبج بالشام، ثم دخلوا مع الفتح الاسلامي للأندلس واستقروا بكورة جيان وتحديدا بأبذة لمشابهتها لموطنهم الأصلي.[1]

ولقد مر هذا البيت بتاريخ طــويل مستوطنا اشبيلية.وكان أشهر من وُلد لهذا البيت أبو بكر محمد بن أبي العباس أحمد ، والذي اشتهر بلقب – ابن سيد الناس - وهو أول النازحين إلى العدوة المغربية وهو الداخل إلى بجـــاية.

أخبر أبو بكر هذا عن نفسه بأن مولده بقرية من قرى اشبيلية عمل حصن القصـر بالشرق تسمى الحجيرة لعشر ليال بقين من شهر أكتوبر سنة 597 هـ، وهذا يوافـق شهـر محــرم من سنة 1200 م.[2]

و حظي أبو بكر بنشأة علمية في كفالة أسرته فحفظ القرآن الكريم والحديث ولازم العلماء. وأجازه ثلة منهم من المغرب الأوسط.[3]

و يعود سبب هجرة هذا البيت الاندلسي إلى العلاقة الطيبة التي كانت تجمع بين الاشبيليين

---

1 الغبريني،مصدر سابق، ص 291، ابن عبد الملك، مصدر سابق،س 1 - ق 1 ،ص 183،أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي،الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق، إحسان عباس،القسم الأول، دار الثقافة، بيروت، أبريل، 1965، صفحات، 653 – 654،659، خليفي، مرجع سابق، ص 256، ومنبج هي مدينة قديمة من مدن الشام بينها وبين حلب عشرة فراسخ، راجع، الحميري، مصدر سابق،ص 547.

2 الغبريني، مصدر سابق،ص ص 291 - 294 ،ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 5 – ق1 ، ص ص 654 - 655، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،1177 هـ، ج 4، ص 1450 -1451، والذي يضع تاريخ ميلاده في سنة 557 هـ.

3 أنظر تفصيل ذلك عند، الغبريني، مصدر سابق،، ص ص 291 – 293، ابن عبد الملك ،مصدر سابق،س 5 – ق 1، ص ص 654 - 658.

وبين الأمـير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص وبنيه مُذ ولي غرب الأندلس.

فلما تكالب الطاغية (فرناندو الثالث) على العدوة، والتهم ثغورها واكتسح بسائطها وأشف على قواعدها وأمصارها، أجاز الأعلام وأهل البـيوت إلى أرض المغربين وافريقية، وكان من جملة الذين أجمعوا أمرهم على الهجرة أبو بكر قـاصدا بجـاية كوجـــهة نهائية بـــعد أن مـــر بشريـــش[1] فطنجة [2] ،وهي التي مكث فيها مقرئا وإماما خطيبا بجامعها، ثم انتقل إلى سبــتة [3] وصولا إلى بجاية كما كانت عادة العلماء القادمين من الأندلس.[4]

وفي بجاية الحفصية عمل الأصلاء من النزلاء الأندلسيين، خاصة من اشبيلية وغيرهم على التعريف بأبي بكر وبكفاءته وعلمه عند ولاة الحفصيين.

وتم بالفعل تولية أبي بكر الأندلسي الصلاة بالناس والخطابة بالجامع الأعظم إلى جانب التدريس والإقراء الذي لم يتنازل عنه ابن سيد النـــاس.[5]

ويبدو أن شهرة ابن سيد الناس في مدينة بجاية قد وصل صداها إلى السلطان المستنصر بالله الحفصي(647 – 675 هـ)[6]، الذي استدعاه إلى الحاضرة تونس للمُقام بها وهو ما

---

1 من كور شذونة بالأندلس،وهي على مقربة من البحر، وهي مدينة متوسطة حصينة حسنة الجهات، الحميري، مصدر سابق،ص 340.

2 مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر، فيها آثار كثيرة للأول وقصور وأقباء.بينها وبين سبتة ثلاثون ميلا في البـر، الحميري،مصـدر سابق، ص 395 – 396.

3 مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق، والبحر يحيط بها شرقا وجوفا وقبلة، الحميري، مصدر سابق، ص 303 – 304.

4 ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 8 – ق 1،ص 27.

5 ابــن خـــلدون،تاريخ ابن خـــلدون،ج 6 ،ص 438،الغبريني، مصدر سابق، ص 294،ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 5 – ق 1،ص 658 .

6 راجع كلام ابن خلدون عن السلطان الحفصي، تاريخ ابن خلدون،ج 6 ،ص 432 – 433.

حصل في سنة 654 هـ. ولما دخل ابن سيد الناس على المستنصر أمره أن يقرأ بين يديه آية من كتاب الله تعالى، فاستفتح بالاستعاذة ثم قرأ مـن قول الله تعالى:

﴿ **فبما رحمــة مـن الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حـولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فـإذا عزمت فتوكل علـى الله إن الله يحـــب المتوكلين** ﴾.[1]

فاستحســن المستنصر بالله قراءته وقصده، وكان ذلك سببا في حظوته فقرب منزله، وأجزل عطيته وجائزته، ووفر جرايته، وكان من أخص الحاضرين من الطلبة بمجلسه. وكانت وفاة أبي بكر بن سيد الناس بتونس يوم الثلاثاء الثالث والعشرين- وقيل الثالث عشر – لجمادى الآخرة سنة 659 هـ.[2]

وقد خلف الحافظ أبو بكر هذا ثلاثة من الولد: أحمد و أبو الحسين و محمد. فأما أحمد و أبو الحسين فقد سمت بهم المراتب في بجاية إلى أعلى المناصب الحساسة في الدولة، والتي دفعت الناقمين عليهم إلى التآمر، ما أودى بحياة أحدهما وهو أحمد بن سيد الناس يوم الأحد 20 ربيع الثاني 679 هـ، في زمن الأمــير أبي اسحاق(678 -682 هـ) .[3]

1 ســورة ءال عمـران: الآيــة 159.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 294 – 295ابن عبد الملك،مصدر سابق،س 5 - ق 1 ،ص ص 658 - 661،أحمد بابا التنبكتي، نيـل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم،عبد الحميد عبد الله الهرامة،ج 1- 2،كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلـس، ليبيا،الطبعة الأولى، 1403 هـ / 1989 م، ص 381، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، الوفيات، تحقيق، عادل نويهض،دار الآفاق الجديدة، بيروت،الطبعة الرابعة، 1403 هـ / 1983 م، ص 326 – 327.

3 لمزيد التفصيل يُراجع، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج6 ، ص ص 433 – 438، ابن قنفذ، الفارسية، ص 138، الزركشي، مصـدر سابق، ص 44 ،برنشفيك، مرجع سابق،ج 1 ، ص104 ، و112، المطوي، السلطنة الحفصية، ص ص 232 -241، خليفي، مرجع سابق، ص 264،صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات،تحقيق أحمد الأرناؤوط، دار احياء التراث العربي،بيروت،الطبعة الأولى، 1420 هـ - 200 م، ج 2، ص 86.

ولـــم تــأت المصادر التاريخية على سيرة أبي الحسين مُــجــددا ،إلا خلال الفترة الممــتــدة من سنة 682 هـ إلى سنة 690 هـ.حيث شهدت الدولة انقساما خطيرا بعد أحداث يطول ذكرها ،سيكون لها أعظم الأثر علـى بلاطي تونس وبجاية، في المراحل القادمة من عمر الدولة.

غير أن الذي يهمنا من كل ذلك هو ظهور بيت اشبيلي جديد في بجاية بالتزامن مع بيت بني سيد الناس و هو: بيت بني خلدون ؛إذ كان لهما الفضل في حماية الدولة الحفصية من الاندثار.

أما أبو الحسين فقد أثبت جدارته في إدارة شؤون بجاية في منصب الحجابة الذي كان يرجوه ويؤمله وذلك زمن أبي زكريا (683 – 700 هـ)، واستطاع بحنكة وذكاء أن يُقصي منافسيه من مشيخة الموحدين،وكانت وفاته في سنة 690 هـ.[1]

و أما محمد – الأخ الثالث - فإنه سلك طريقا آخر ليؤسس أسرة علمية نابغة، بعيدا عن أضواء السيـاسة وحياة القصور.بعد أن تفقه على أبيه وثلة من علماء بجاية ومشايخها كابن الأبار وابن السراج وغيرهما. ثم اختار مغادرة المغرب الأوسط عن طواعية ليبدأ حياة جديدة في مصر التي كانت بها وفاته سنة 705 هـ.[2]

3 - بيت بني خلدون:

ينتسب هذا البيت إلى أحد الصحـابة الأجلاء وهو: وائل بن حجر الكندي الحضرمي اليمني، وهو الذي قدم علـى النبي صلى الله عليه وسلم زعيما على قومـه في عام الوفـود في السنة العاشرة للهجرة.

وبسط **النبي صلى الله عليه وسلم** ردائــه الشريف لوائل وأجــلسه عليه وقال:

1 ابــن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 6 ، ص ص 439 -453،الزركشي، مصدر سابق، ص 48،برنشفيك، مرجع سابق،ج 1، ص 140.

2 خـــليـفي، مرجـــع سابق، ص 26.

(اللهم بـارك في وائل بن حـجر وولـده وولـــد ولـــده إلى يـــوم القيـــامـة).[1]

ودخل الحفيد السابع لهذا الصحابي الجليل بلاد الأندلس، وهو خالد بن عثمان وسُمي خالد هذا عـلـى الطـريقة الأندلسية بخلدون.[2]

استقر بيت بني خلدون باشبيلية منذ النصف الأول من القرن الثالث للهجرة ولم يُبارحها إلا قُبيل سقوطها بيد النصارى في سنة 646 هـ.

وكان أول الداخلين إلى العـدوة المغربية الحسن بن محمـد (الجد الثالث للمؤرخ عبد الرحمان).

وقد كانت العلاقات طيبة بين هذا البيت الأندلسي وبين الشيخ أبي حفص زمن ولايته لاشبيلية مـن قبل الموحدين ، ثم مع من جاء بعده من خلفائه والتي وصلت إلى حد المصاهرة.

ذلك كله كان يُسهل لبيت بني خلدون الاستقرار قريبا من السلطة الحاكمة والانتظام في سلكها،فلا غرابة أن نجد الحسن بن خـلدون يخرج إلى مـدينة بونـــة [3]، التي كـان فيها الأمير أبو زكريا والذي أكرم وفادته وفرض له الأعطيات حتى توفي في سنة 647 هـ .

---

1 أبــو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،تحقيق،عادل مرشد، دار الأعلام،الأردن، الطبعة الأولى، 1423 هـ / 2002 م،ج 1، ص 756، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،تحقيق، محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي،دار الفكر،ج 62 ،ص ص 388 – 391،عبد الرحـمـان بن خلدون،رحلة ابن خلدون،مراجعة، محمد بن تاويت الطنجي،دار الكتب العلمية،بيروت،الطبعة الأولى، 2004 م – 1425هـ، ص 28.

2 ابــن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 29، خليفي،مرجع سابق، ص 273.

3 مــن بلاد افريقية قريبة من فحص قل، وهي مدينة قديمة من بناء الأول وبها آثار كثيرة، وهي على ساحل البحر، وأكثر تجارها أندلسيون، وتسمى بونة بلد العناب لكثرة العناب بها (عنابة الجديدة)، الحميري، مصدر سابق، ص 115، مارمول كربخال،إفريقيا،ترجمة، نخبة من الأساتذة،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط،1408 – 1409 هـ / 1988 – 1989 م، ج 3 ،ص ص 7 – 9.

والعجيب أن الأمير الحفصي – المُتقدم الذكر - لم يلبث أن توفي في نفس السنة.[1]

وعلى كلٍ فإن الحسن خلف وراءه ابنه محمد أبي بكر، والذي تعاهده الامراء الحفصيون المتعاقبون المستنصر ثم يحي الواثق، إلى زمن الأمير أبي إسحاق والذي جعل أبا بكر هذا في منصب صاحب الأشغال في ذي الحجة من سنة 678 هـ.[2]

ولما فوض السلطان أبو اسحاق ابنه وولي عهده، الأمير أبي فارس إدارة بجاية في سنة 679 هـ عين لحجابته ابن صاحب أشغاله وهو محمد بن أبي بكر بن خلدون، والذي سيكون له في هذه الرقعة المهمة من المغرب الأوسط شأن كبير. خاصة مع علو مرتبته وأسبقيته من جهة ومن جهة أخرى تفجر الفتن والصراعات والثورات التي كادت تقضي على الحكم الحفصي، والتي أثبت ابن خلدون – الحاجب – قدرة وكفاءة عالية في معالجتها.[3]

4 - بيت الآبلي:

ينتسب هذا البيت إلى عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة إحدى قبائل قريش، وقصي هذا هو أحد أجداد **النبي صلى الله عليه وسلم** .

فـــإن سـلسلـــة النــسب الشريـف **للنبي صلى الله عليه وسلم** تبـتـدئ مــن:

---

1 ابن خلدون، رحلة ابن خلدون ، ص ص 29 - 34، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 6 ،ص 400، الزركشي، مصدر سابق، ص32، ابن قنفذ، الفارسية، ص 114 ،الحميري، مصدر سابق، ص 115،خليفي، مرجع سابق، ص ص 274 – 277.

2 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج6 ،ص 436، ابن خلدون، رحلة ابن خلدون ، ص 34، برنشفيك، مرجع سابق،ج 1 ،ص 111.

3 كثورة صاحب قسنطينة في سنة 680 هـ، والتي استطاع الحاجب محمد أن يتسور البلد رفقة فرسانه. و تمكن من اختراق دفاعات العدو الذي لقي حتفه،وكثورة الدعي المسيلي بعدها في سنة 681 هـ، انظر عن ذلك كله، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج 6، ص ص 438 – 445، ابن خلدون، رحلة ابن خلدون ، ص 34 – 35، الزركشي، مصدر سابق، ص ص 44 – 50، ابن قنفذ، الفارسية، ص ص 139 -145،برنشفيك، مرجع سابق،ج 1 ، ص ص 111 -114، المطوي،السلطنة الحفصية، ص ص 241 -246، لمزيد التوسع، يُراجع،يحي بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط،دار البصائر للنشر والتوزيع،طبعة خاصة، 2009 ، ص ص 145 – 217.

" **محمد – صلى الله عليه وسلم -** بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان ".[1]

كان موطن هذا البيت في الاندلس في آبلة [2] ،التي تداول المسلمون والنصارى السيطرة عليها إلى أن سقطت نهائيا بيد النصارى في سنة 483 هـ / 1090 م.[3]

وفي هذه المرحلة نفقد المعلومات الدقيقة عن بيت الآبلي ومصيره وأعلامه،و الذين سيتأخر ظهورهم من جديد على مسرح الأحداث إلى غاية القرن السابع للهجرة و في تلمسان تحديدا، من خلال عمل بعضهم في الميدان العسكري فقد وصفهم يحي ابن خلدون بأنهم "بيت نباهة في الجند" .[4]

إن أول من تُطالعنا أخباره من هذا البيت الأخوين ابراهيم وأحمد. وذلك في زمن السلطان العبد وادي يغمراسن (633 – 681 هـ)،والذي استعملهما في جنده وذلك لكفاءتهما والتي رشحت ابراهيم لتولي قيادة مرسى هنين الهام.[5]

---

1 محمد بن عبد الملك ابن هشام، السيرة النبوية،تحقيق، عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1410 هـ - 1990 م بيروت، ج 1،ص ص 11 – 15، صفي الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم،دار الفكر الطبعة الاولى،1424 هـ - 2003 م، بيروت، ص 31، خليفي، مرجع سابق، ص 188

2 وهي عبارة عن تجمع لقرى عديدة في الشمال الغربي لمجريط (مدريد)،الحميري، مصدر سابق، ص 79 - 80،أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس،دار صادر، بيروت،1408 هـ - 1988 م مج 5،ص 244، الهامش 1، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت،1414 هـ - 1993 م، السفر الثالث، ص 288، أرسلان، الحلل السندسية ،ج 1، ص 319.

3 أرسلان، الحلل السندسية، ج 1، ص 340 - 341، الهامش 1، خليفي، مرجع سابق، ص 188 – 189عنان، الآثار الأندلسية، ص 326 – 327.

4 يحي ابن خلدون، مصدر سابق،ج 1 ،ص 120.

5 مدينة بالمغرب جليلة على البحر،وشمالها تلمسان. وهي بقرب ندرومة،قامت في مكانها في هذا الزمان مدينة بني صاف،الحميري، مصدر سابق، ص 597،ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص 53 ، الهامش 1.

هذه المكانة أكسبت ابراهيم حظوة عند أعيان تلمسان وصلت إلى حد مصاهرة قاضي الجماعة فيها محمد بن غلبون المرسي[1] في ابنته. ليُنجب منها في سنة 681 هـ أحد أشهر علماء الغرب الاسلامي في عصوره المختلفة. وهو المسمى محمد بن ابراهيم الذي غلب اسم الآبلي عليه فلا يُعرف إلا به والذي سيظهر أثره على الساحة العلمية خلال القرن الثامن للهجرة.[2]

يُلاحظ مما تقدم إيراده أن المغرب الأوسط شكل موطنا لجأت إليه البيوتات والأسر الأندلسية. لا سيما تلك العريقة التي اشتهرت بنبوغ أعلامها في مختلف العلوم والآداب والعمل السياسي. وهو ما أهلهم لـتبوأ المناصب العالية والحساسة في الدول التي قامت على أرض المغرب الأوسط.

كان هذا البروز والتميز – بطبيعة الحال - على حساب أصلاء البلاد في كثير من الأحيان ما فتح المجال مرات و مرات أمام المنافسة – غير الشريفة – التي اتسمت بالمكائد والمؤامرات. وحصدت أرواح الأندلسيين والمحليين ولنا خير عبرة ومثال في الابادة الشاملة التي ستطال بيت بني المـلاح الأندلسي – خلال القرن الثامن للهجرة - رغم مجهوداتهم الجبارة في تطوير النظام المالي لدولة بني عبد الواد.

ب – الأفـــراد:

ونعني بهم الذين هاجروا بمفردهم أو مع أسرهم دون أن يكون لهم عقب يحافظ على تراث البيت نظرا لظروف الاندلس الصعبة والدقيقة خلال القرن السابع للهجرة .

وعلى ضوء المعطيات و المعلومات التي وصل إليها الباحث،فإنه يُمكـن تصنيف فئة الأفــراد إلى:

---

1 لم أقف على ترجمته.

2 ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، ص ص 49 - 53، المقري، مرجع سابق،ج 5،ص 244، ابن مريم، مرجع سابق،ص ص 236 – 241، ابن حجر، الدرر الكامنة،ج 3، ص 288، خليفي، مرجع سابق، ص ص 189 - 200، يحي بوعزيز، مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، ص ص 79 – 86.

1 - رجال السياسة:

ونعني بهم الأندلسيون الذين جمعوا بين العلم والعمل السياسي في بلاطات المغرب الأوسط وارتقوا في المناصب العليا للدولة. وزاحموا أهل البلاد ودخلوا في تنافس انعكس على مكونـــات النظام السياسي في المغـرب الأوسط خلال القرن السابع للهجرة وما بعده كما أن ذلك التنافس بين المحليين والوافدين تحـــول أحيانا عـــدة إلى مؤامرات ودسائس انتهت بسفك الدماء بحق وبغير حق.

2 - العلمـاء:

وهم الذين حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم سيرهم ممن انتصبوا للتعليم والتدريس، فكان لهم بذلك الأثر البالغ في دفع الحركة العلمية والثقافية بالمغرب الاوسط خلال فترة الدراسة و ما تلاها.

3 - عوام النـاس:

ونعني بهم شريحة هامة من التجار والعوام وأصحاب الحرف ومن لا شُغل له. وهؤلاء كانوا ضحية المصادر التي أغفـلت ذكرهم ومحت آثارهم إلا من بعض الاشارات المتناثرة هنا وهناك.[1]

وتبعا لذلك سيقتصر الباحث على التعريف ببعض الشخصيات الأندلسية المهاجرة إلى المغرب الأوسط من فئـتي:

العلمـاء و رجال السياسة خلال فترة الدراسة (القرن السابع الهجـــري)، رغم ما يكتنف ذلك من صعوبة، كون أن الكثير من الشخصيات الأندلسية المهاجرة قد جمعت بين العلم والسياسة.

1 ابـــن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 432 -433. يحي ابن خلدون،مصدر سابق، ج 1، ،ص ص 206 -210، فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ج 1 ، ص 175 – 176، المرجع السابق نفسه، ج 2، ص 319 – 321، الطاهر توات،مرجع سابق، ج 1، ص ص 261 -265.

ومع ذلك فإنه يُمكن – مع الصعوبة – التفريق بين من جمع بين المشيخة العلمية والأدبية و المناصب السياسية، وبين من اقتصر على المشيخة العلمية و الأدبية فقط ومن ذلك:

1 - رجال السياسة:

ابن عميرة (582 – 658 هـ / 1186 – 1260 م):

هو أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومي كانت ولادته في شهر رمضان بجزيرة شقر من سنة 582 هـ.

وصفه ابن عبد الملك المراكشي بأنه " كان أول طلبه العلم شديد العناية بشأن الرواية فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله، ثم تفنن في العلوم ونظر في المعقولات وأصول الفقه، ومال إلى الآداب وبرع فيها "[1]، وهذا النص من الأهمية بما كان لأنه يُلقي الضوء باختصار – لكن مع دقة في المعنى – عن حياة ابن عميرة العلمية ،فقد أفادنا بأن حياة الرجل مرت بثلاثة مراحل رئيسة:

- المرحلة الأولى:

وتميزت بإقباله على الثقافة الدينية بوجه عام.

- المرحلة الثانية:

وبرزت فيها عنايته بالثقافة العلمية العقلية.

- المرحلة الثالثة والأخيرة:

ظهر فيها جنوحه نحو الثقافة الأدبية.

1 ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 1 – ق 1، ص ص 150 – 152،الغبريني، مصدر سابق، ص 298،ابن الأبار،المعجم، ص 170، ابن قنفذ، الفارسية، ص 122، المقري، مرجع سابق، ج 1 ،ص 313 – 314، ابن الخطيب، الاحاطة ، ج 1 ،ص 179 – 180، ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 31.

وقد تتلمذ ابن عميرة على ثلة جليلة من علماء الأندلس،يأتي في مُقدمتهم الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي والذي كان من أكبر أساتذته وأبعدهم أثرا في حياته.[1]

وظائفه:

لما فرغ ابن عميرة من التحصيل والتنقل بين بلنسية وشاطبة ودانية ومرسية وغيرها بحثا عن الشيوخ، رجع إلى بلنسية بغرض الاستقرار وبداية حياة مهنية طموحة، " ذلك أن ابن عميرة كان منذ البداية يسعى وراء خطة الكتابة لما كانت توفره لصاحبها من الثراء والنفوذ والجاه والسلطان، وللمكانة الرفيعة التي كان يحظى بها الكاتب في المجتمع الأندلسي ".[2]

استهل ابن عميرة حياته المهنية بالكتابة عن والي بلنسية السيد أبي عبد الله محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن في سنة 608 هـ، ثم انتقل إلى اشبيلية في سنة 617 هـ ليكتب عن واليها السيد أبو العلاء الكبير،لكنه عاد إلى بلنسية في سنة 620 هـ وتولى الوظيفة ذاتها للسيد أبي زيد عبد الرحمان بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن، وظل متوليا لها إلى سنة 626 هـ أين حدثت ثورة الرئيس أبي جميل زيان بن سعد بن مردنيش الجذامي على الوالي الموحدي وافتك منه بلنسية. وقد احتفظ الأمير الجديد بابن عميرة كاتبا له إلى غاية سنة 628 هـ وهو تاريخ انتقاله إلى مسقط رأسه بجزيرة شقر حيث اشتغل – بصفة مؤقتة – بالكتابة عن واليها أبي عبد الله بن مردنيش .[3]

---

1 ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 1 – ق 1،ص 151 – 152، ابن الخطيب، الاحاطة ، ج 1 ،ص 174 – 175.

2 ابن شريفة محمد، ابو المطرف بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1966، ص 85، وقد اشتهر بها حتى عُد" علمها المشهور وواحدها التي عجزت عن الاتيان بثانيه الدهور..."، ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 1 – ق 1، ص 152، ابن عميرة، تاريخ ميورقة،مقدمة التحقيق، ص 7.

3 ابـن عــذارى، مصدر سابق،ق م، صفحات، 276، 289، 299،ابن سعيد، مصدر سابق،ج 2 ،ص 303 - 304،و 363 – 364، ابن قنفذ، الفارسية، ص 122،ماهر زهير، مرجع سابق، ص 100، ابن عميرة، تاريخ ميورقة،مقدمة التحقيق، ص 7.

وفي الفترة الممتدة من سنة 630 إلى 633 هـ تولى ابن عميرة منصب القضاء في مدينة شاطبة، ثم ولي الكتابة بمرسية فيما بين سنوات 633 و 636 هـ، ومنها توجه إلى غرناطة وهي آخر مرحلة في طريقه نحو العدوة المغربية حيث ينتهي الفصل الأول من حياة ابن عميرة الإدارية في الأندلس.[1]

غادر ابن عميرة بلاده الأندلس وقد بدأت تتساقط مدنه بيد النصارى في ظل انقسام المسلمين وتناحرهم المقيت، وولى وجهه شطر العدوة المغربية أملا في الحصول على عمل مشرف في بلاط الموحدين.

وكان حلول ابن عميرة بسبتة في أول سنة 637 هـ حيث ولي الكتابة تارة و القضاء تارة وعُزل تارة أخرى، إلا أن أخطر ما قام به هو مشاركته في الانقلاب الذي حصل على الخليفة الموحدي السعيد ومبايعة عدوه الجديد أبي زكريا الحفصي وذلك في 20 ربيع الأول 643 هـ، ولما قُتل السعيد في سنة 646 هـ اغتنم ابن عميرة ذلك ليتوجه نحو المغرب الأوسط الذي كان خاضعا في جزئه الشرقي للحفصيين.

وصل ابن عميرة إلى مدينة بجاية في شهر جمادى سنة 646 هـ، ودخل على صاحبها أبي يحي الحفصي . وأقام فيها نحوا من عامين – قبل انتقاله إلى تونس العاصمة - مُجيزا ومستجيزا ومدرسا لأمهات دواوين العلم كتنقيحات السهروردي في أصول الفقه التي لم يكن يتعرض لإقرائها إلا من له ذهن ثاقب.[2]

---

1 ابن شريفة، مرجع سابق، ص ص 85 – 115، ابن الخطيب، الاحاطة ،ج 1 ، ص 175، ابن قنفذ، الفارسية، ص 122- 123، ماهر زهير جرار، مرجع سابق، ص 100، ابن عميرة، تاريخ ميورقة،مقدمة التحقيق، ص 7.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص ص 299 – 301، ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 1 – ق 1، ص ص 177 – 180، العباس بن ابراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة، عبد الوهاب ابن منصور،المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413 هـ- 1993 م،ج 1 ص 170 -171، المقري، مرجع سابق، ج 1 ،ص 314 -315 ابن شريفة مرجع سابق، ص 149، ابن الخطيب، الاحاطة ، ج 1 ،ص 175 – 176، ماهر زهير، مرجع سابق، ص 100.

وقد أجاز ابن عميرة خلال إقامته ببجاية بعض طلبتها، كما استجاز لنفسه وولديه على سبيل التبرك بعض علمائها، وشارك في المجالس العلمية التي كانت تنعقد بمنزل صديقه ابن محرز البلنسي[1] شيخ الجماعة الأندلسية وابن سيد الناس وغيرهم.

ولم يتوقف النشاط الأدبي لابن عميرة وهو في مديـــنة بجاية بل إنه كان يُكاتب العديد من أصدقائه [2] .

ثم انتقل مُترجمنا من بجاية إلى البلاط الحفصي في تونس أين مال إلى صحبة الصالحين والزُهاد من أهل الخير بُرهة من الزمان، ثم نزع عن ذلك .[3]

وقد غلب على ابن عميرة شِدة التطارح على خدمة الرؤساء والرغبة في ضم حُطام الدنيا والتظاهر بالإقلال.[4]

قنع ابن عميرة بتقليد أبي زكريا الحفصي له القضاء في الأقاليم، فتقلد هذه الوظيفة الجسيمة قبل أن يستدعيه المستنصر الحفصي إلى العاصمة تونس ليصير من خواصه ومن فقهاء دولته.

لقد استطاع ابن عميرة أن ينعم في الفترة الأخيرة من عمره في ظل الدولة الحفصية الفتية بالحياة الهنيئة السعيدة، سيما وأن تونس كانت تمر بعصرها الذهبي من مختلف الوجوه.

1 ستأتي ترجمته في ثنايا هذا البحث.

2 ابن شريفة، مرجع سابق، ص 149،ابن عميرة، تاريخ ميورقة، مقدمة التحقيق، ص 9، أنظر أيضا، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي،الوافي بالوفيات، تحقيق،أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى،دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ج 7، ص 89 – 90، الحميري، مصدر سابق، ص ص97 -101.

3 ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 1 – ق 1، ص 179،ابن عميرة، تاريخ ميورقة، مقدمة التحقيق، ص 9.

4 ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 1 – ق 1، ص 178.

وظل ابن عميرة يحظى بالمنزلة الرفيعة في البلاط الحفصي إلى أن وافته المنية في تونس الحاضرة ، وذلك في ليلة الجمعة 20 من شهر ذي الحجة سنة 658 هـ. [1]

وقد شهدت فترة اقامة ابن عميرة بالمغرب الأوسط نشاطا كبيرا، تترجم بالآثار التي خلفها من بعده سواء في جانب التدريس أو في جانب التأليف.

ونظرا لقوة ابن عميرة الأدبية فقد استفاد الطلاب في المغرب الأوسط من ذلك، وحصلوا خيرا كثيرا عاد بالنفع عليهم بالدرجة الأولى.

يُضاف إلى ما تقدم أن الساحة العلمية في المغرب الأوسط استفادت هي الأخرى بشكل كبير من نشاط ابن عميرة ، بل ونشاط غيره من الأعلام الأندلسيين يومئذ.

وسيأتي الحديث عن البصمة الأندلسية والأدبية المميزة في موضعه من البحث لاحقا.

ولعل من أبرز آثار ابن عميرة العلمية:

- تاريخ ميورقة، الذي ظل مفقودا لقرون طويلة قبل أن يُيسر الله تعالى للأستاذ الدكتور محمد بن معمر اكتشافه وتحقيقه، ليُقدم – مشكورا - خدمة جليلة للمكتبة العربية والأندلسية والعلمية، وأن يسد جانبا مهما في الحديث عن الأدب الأندلسي، وأحوال المسلمين قُبيل سقوط مدنهم ومصيرهم بعد ذلك.

ولقد خلف ابن عميرة بعد وفاته ولدا يُدعى أبا القاسم ابن عميرة وهو فقيه وأديب". كان من فضلاء الكتاب والشعراء ممن حذوا حذو أبيه وزيادة "، لكن بوفاة هذا الابن سنة في الخامس لربيع الآخر من سنة 709 هـ انقطع عقب ابن عميرة.[2]

1 الغبريني، مصدر سابق، ص ص 298 – 302، ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 1 – ق 1،ص 179 – 180، ابن الخطيب، الاحاطة ، ج 1 ،ص 175 – 176، الزركشي، مصدر سابق، ص 35،ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 31 – 32 ،ابن عميرة، تاريخ ميورقة، مقدمة التحقيق، ص 9 – 10.

3 الزركشي، مصدر سابق، ص 58، الطاهر توات،مرجع سابق، ج 1، ص ص 121 – 126، محمد أحمد ،مرجع سابق، ص 323 – 324.

ابن الأبار (595 – 658 هـ / 1198 – 1259 م):

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمان ابن أحمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي والذي اشتهر بابن الأبار. وينحدر من قبيلة عربية (قبيلة قضاعة اليمنية)، التي استوطن جل أفرادها المهاجرين شرق الأندلس [1] .

كانت ولادة مترجمنا عند صلاة الغداة من يوم الجمعة من أحد شهري ربيع من سنة 595 هـ،وقد أكدت جل المصادر والمراجع التي ترجمت لابن الأبار - بمن فيهم ابن الأبار نفسه - هذا التاريخ، اللهم إلا ما كان من الغبريني الذي انفرد بذكر تاريخ آخر هو: 575 هـ.[2]

لقد نعم ابن الأبار بالعيش في كنف عائلة موصوفة بالعلم والديناة والعفاف، غير أن هذا البيت لم يكن من بيت رياسة وولاية.

و بدأ ابن الأبار في طلب العلم في سن مبكرة على يد والده، ثم أخذت مسيرته مع التحصيل العلمي تطورا مهما،إذ بدأ يتردد على جامع بلنسية ودار الإمارة.

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 309، ، ابن عبد الملك المراكشي ، مصدر سابق، س 6 ، ص 253،و 275،ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، ص 226، محمد أحمد ،مرجع سابق، ص 325 ،حميد طريفة، ابن الأبار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي، دراسة موضوعية فنية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي القديم، إشراف، محمد حجازي،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية، 1430 – 1431 هـ / 2009 – 2010 م، ص ص 52 – 54، ماهر زهير جرارمرجع سابق،ص 45 – 46، ابن الأبار، إعتاب الكتاب،مقدمة التحقيق، ص 7.

2 الذهبي،المستملح من كتاب التكملة، ص 220،ابن عبد الملك المراكشي ، مصدر سابق، س 6 ، ص 275، الغبريني، مصدر سابق، ص 313، ابن خلدون،مصدر سابق، ج 6 ،ص418 – 419، المقري، مرجع سابق، ج 2، ص ص 589 – 594، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، كتاب الوافي بالوفيات،تحقيق، أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م،ج 3، ص 283،ابن قنفذ، الوفيات ، ص ص 324 – 326، الهامش 1 ، محمد شاكر الكتبي،فوات الوافيات والذيل عليها، تحقيق، إحسان عباس، مج 3،دار صادر، بيروت، 1974، ص 404 ، ابن الأبار، كتاب الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 7، ماهر زهير، مرجع سابق، ص 53، حميد طريفة،مرجع سابق،ص 55، آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، 1955، ص ص 277 – 280،ابن الأبار، إعتاب الكتاب،مقدمة التحقيق، ص 7، ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم،مقدمة التحقيق، ص 16، محمد أحمد، مرجع سابق، ص 325.

فحفظ الصبي القرآن الكريم مع تجويده وضبطه وحفظ الاشعار واللغات والآداب وتعلم الخط وأخــذ شيء من الفقه والحديث.

كما تتلمذ ابن الأبـار على يد مجموعة من العلماء،كان أهمهم في حياته أبو الربيع سليمان ابن موسى بن سالم بن حسان الحميدي الكــلاعي وقد لزمه بضعا وعشريـن سنة وهو الذي دعاه إلى وضع كتاب (التكملة).ولم يكتف ابن الأبار بالدراسة على علماء بلده بلنسية، بل إنه شد الرحال إلى أهل العلم في أرجاء البلاد الأندلسية.[1]

وظائفه:

اتجه ابن الأبار في عشرينيات عمره إلى السياسة وطلب الوظائف والجاه في ظروف ضيقة عسيرة على الحاكمين والمحكومين معا، فأصابه من ذلك بلاء شديد كلفه حياته. ولو سار ابن الابار على نهج أبيه في الانصراف إلى العلم والتحصيل والانقطاع له لانتفع بحياته بأكثر مما قُدر له.[2]

أقبل ابن الأبار على وظيفة الكتابة لدى أمير بلنسية الموحدي الموحدي السيد أبو عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي ، ثم وليها لابنه السيد أبي زيد من بعده وخرج معه لملاقاة الملك خايمي في سنة 626 هـ / 1228 م، ثم تركه وقفل راجعا لما رأى تفضيله الاقامة والمكث في بلاد أراغون. وقد سكت ابن الابار عن هذه الواقعة سكوتا غريبا، فلم يقل شيئا ينير لنا هذه النقطة الهامة،إلا ما كان من أبيات وردت في ديوانه في معرض تبرير تصرفه تمثلت بقوله:

قالوا الخروج لأرض الروم منقصة فقلت كلا ولكن صادها بــاء

1 ابـن الأبـــار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 16، الغبريني، مصدر سابق، ص 310 – 311، ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفـــة القادم،مقدمة التحقيق، ص ص 16 – 18، ماهر زهير، مرجع سابق، ص 53 – 54،حميد طريفة، مرجع سابق، ص ص 57 – 68، ابن الأبار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص 8 – 9.

2 ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 16.

إذا خرجت وفاء ثم عدت تـــــقى أثنت بفعلي عداتي والأحبــاء

وكان لي في قريش أسوة وكــفى مع النجاشي ترضاها الألبـــاء.[1]

والمهم أن ابن الأبار عاد إلى بلده بعد حادثته تلك . وفي بلنسية عمل كاتبا للأمير الجديد أعني - أبا جميل زيان - [2]،ومع مرور الوقت صار مُترجمنا من كبار الشخصيات السياسية والعلمية في بلنسية بحكم مركزه القريب من الأمير ابن مردنيش.

وأضحى ابن الابار يلتقي بأقرانه من العلماء والفقهاء، إلى جانب أعيان البلد وكُبرائه، وكانت هذه المجالس الخاصة تُعقد في قصـر الإمارة، وكان من أخص مُقربيه قرينه أبو المطرف بن عميرة الذي تشارك معه في الوظيفة ذاتها، ويبدو أن زيان كان يؤثر ابن الأبار على ابن عميرة والذي غادر بلنسية في ذي القعدة من سنة 628 هـ إلى مسقط رأسه في جزيرة شقر بعد وحشة من الأمير تجاهه.[3]

غادر ابن الأبار الأندلس في البداية متوجها إلى أبي زكريا الحفصي رسولا عن والي بلنسية المحاصرة،طالبا العون لفك الحصار عنها و رد عدوان النصارى. ثم رجع بعد سفارته تلك " فألفى الأحوال قد أعضل داؤها، وقواعد البلاد قد غلب عليها أعداؤها، فتركها هاجرا ".[4]

---

1 ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، ص 56، و ص 80 ،ماهر سهيل ، مرجع سابق، ص ص 60 – 67، حميد طريفة، مرجع سابق، ص 69، محمد أحمد، مرجع سابق، ص 325، ابن الأبار، اعتـــاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص 9.

2 ابن خلدون،مصدر سابق، ج 6، ص 418، ابن سعيد،مصدر سابق،ج 2 ، ص ص 309 -312،ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 31، ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم،مقدمة التحقيق، ص 18،ابن الأبار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص 9، حميد طريفة، مرجع سابق، ص 69 – 70، ماهر سهيل ، مرجع سابق، ص 67 – 68.

3 ابن شريفة، مرجع سابق، ص 95 - 96،ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 31، حميد طريفة، مرجع سابق، ص 70، مــاهر سهيل ، مرجع سابق، ص 67 – 68.

4 ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 6، 269، ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، ص ص 408 – 412.

وولى - مُترجمنا - وجهه شطر العدوة المغربية في 16 صفر من سنة 636 هـ / 28 سبتمبر 1238 م ،لعله يجد العزاء والسلوى والمستقر الجديد.فنزل ابن الأبار بجاية "ودرس بها وأقرأ وروى وسمع وصنف و ألف، ثم استدعاه المستنصر الحفصي ليكتب له ".[1]

و تبوأ ابن الأبار في البلاط الحفصي المكانة الراقية، في ظل الكفاءة التي أظهرها ومهارته الإدارية والسياسية التي كان يسعى الأمير أبو زكريا وراء تمتين وجودها لتطعيم وتوطيد أركان مملكته الفتية لذلك عمل على اصطناع الأندلسيين وتقريبهم.إلا أن ذلك لم يكن ليحول دون تفجر الصراعات وتفشي الدسائس بين علية الطبقة المكونة من الوافدين الأندلسيين وأهل البلاد من الموحدين.فسرعان ما تمكنت السعايات من إيغار نفس أبي زكريا على كاتبه ليأمر بعزله من منصبه ونفيه نحو بجاية في آخر صفر من سنة 646 هـ.

ثم استأنف ابن الأبار وظيفته في الحاضرة تونس وظل بها إلى وفاة أبي زكريا الحفصي، وخلفه ولده وولي عهده المستنصر الذي أبقى ابن الأبار في منصبه،ولكن الأخير لم يسلم من النفي مجددا بسبب نفسيته الصعبة وتآمر الحُساد عليه، فاستقبلته بجاية مجددا وظلت تحتضنه وتستنير بعلمه وأدبه نحوا من سبع سنين وذلك من سنة 650 هـ إلى غاية سنة 657 هـ أو يزيد بقليل، لا سيما وقد انجلت عنه – ولو كرها – أعباء السياسة ومتاعبها.

ومن غير المستبعد أن يكون ابن الأبار – الرجل السياسي الطموح – قد سعى خلال هذه الفترة إلى الاتـصال مجددا بالبلاط الحفصي خاطبا وُده ورضاه، وهو ما تحقق على ما يبدو باستدعاء المستنصر له مُجددا راضيا عنه ومعيدا إياه إلى منصبه.[2]

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 311 ،ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 417 – 418، ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيــق، ص 39،ابن قنفذ، الوفيات، ص 324 -325 ، الهامش 1 ،حميد طريفة، مرجع سابق، ص ص 70 – 86، ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحـفة القادم،مقدمة التحقيق، ص 18 – 19، جمعة شيخة،مجلة دراسات أندلسية،العدد2، خاص بابن الأبــار، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس، 1409 هـ / 1989 م، ص، 119.

2 ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6 ، ص 419،حميد طريفة، مرجع سابق،ص 75، ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، ص 469، و ص، 483، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 43 – 44.

وكانت رحلة العودة تلك هي- الأخيرة- قبل أن يُسدل الستار على حياة ابن الابار غيلة بأبشع صورة ،تولى كبرها حُساده وأعداؤه الذين تمكنوا من إيغار صدر المستنصر فأمر بقتله فييوم الثلاثاء 21 محرم من سنـــة 658 هـ الموافق لـ: 06 جانفي 1260 م. ولم يحصل الخلاف بين المصادر على هذا التاريخ.[1]

إلا أن المُلفت للانتباه لدى مراجعة ما سطره **الغبريني** و**ابن قنفذ** في ترجمتهما لابن الأبار:

- اكتفاء الغبــريني بذكر تاريخ الوفــاة دون التعرض لأسبابها أو ملابساتها مع أن ذكر ذلك كان جديرا بأن لا يُهمل لوزن المقتول والقاتل وطريقة القتل.[2]

- اكتفاء ابن قنفذ - أيضا - بذكر وفاة ابن الأبار في كتابه الفارسية باختصار دون التنبيه على أنه قُتل وتوابع ذلك، ثم عاد فوصفه بالشهيد، فهل كان ابن قنفذ ناقما على المستنصر وبطانته قتل ابن الأبار ظلما ؟.[3]

و يُمكن إجمال ظروف اغتيال ابن الأبار في أمور:

- ما كان في الشخصية الأندلسية – عموما – من أمراض الفخر والتكبر والأنفة،وازدراء من لم يكن أندلسيا وهو ما فتح المجال أمام المنافسة غير الشريفة على المناصب بين الوافدين وأهل البلاد الذين لم يهضموا هـذه المزاحمة بسهولة، فكثرت السعايات والأحقاد مما أسال دماء كثيرة بحق وبغير حق،والعجيب أن أحد أسبـاب نكبة ابن الأبار هو ابن سيد الناس الاندلسي لحقد قديم.

- كما كان خُلق ابن الأبار ضيقا وصعبا فكان يُزري على المستنصر في مباحثه ويستقصره في مداركه، فخشن له صدره مع ما كان يسخط به السلطان من تفضــيل الأندلس وولايتها عليه.

1 الغبريني، مصدر سابق،مرجع سابق، ص 57 ،الزركشي، مصدر سابق، ص 35 -36، ابن قنفذ، الفارسية، ص 123، الزركشي،مصدر سابق، ص 35 -36، ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6 ، ص 419، ابن الأبار، اعتـــاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص ص 15 – 18.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 313.

3 ابن قنفذ، الفارسية، ص 123،الوفيات، ص 324.

ورغم عفو المستنصر عنه إلا أن ابن الأبار لم ينته عن الاساءة للسلطان " إلى أن جرى في بعض الأيام ذكر مولد الواثق وساءل عنه السلطان فاستبهم، فعدا عليه ابن الأبار بتاريخ الولادة وطـالعها، فاتُهم بتوقع المكروه للدولة والتربص بها كما كان أعداؤه يُشنعون عليه، لما كان ينظر في النجوم فتقبض عليه. وبعث السلطان إلى داره فرفعت إليه كتبه أجمع، وألفى أثناءها - زعموا - رقعة بأبيات أولها:

طغـــى بتونس حـــلف[1] سموه ظلـــما خليــــــفة.

فاستشاط لها السلطان وأمر بامتحانه، ثم بقتله قعصا بالرماح، وذلك في أواسط شهر الله المحرم من سنة ثمان وخمسين وستمائة، ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه ".[2]

أبو بكر الغافقي (ت 636 هـ / 1238 م):

هو أبو بكر محمد بن عبيد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي نـزيل تلمسان.[3]

لقي أبو بكر هذا في بلده مرسية ثلة بارزة من العلماء وروى عنهم،على غـرار:

- الفقيه الأستاذ النحوي المسن أبا علي الحسن بن عبد الرحمان الكناني الشهير بالرفــاء[4]،

1 خلف عند، الزركشي،مصدر سابق، ص 35، المقري،مرجع سابق، ج 2، ص591، وراجع تفصيل الأسباب التي وضعت حدا لحياة ابن الأبار، جمعة شيخة، مرجع سابق، ص ص 7 - 16.

2 ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، 419،الزركشي، مصدر سابق سابق، يذكر أن عدد ما أُحرق مع جثة ابن الأبار نحو من خمسة وأربعين تأليفا، ص 27.

3 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 129، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 6، ص 332، ابن مريم، مرجع سابق، ص 247.

4 هــو حسن بــن عبد الرحمان بن محمد الكناني، أستاذ، نحوي، مُقرئ، شاعر مطبوع، أخذ القراءات عن أبي محمد الشمُني، وكانت وفاته في سنة 633 هـ، يُراجع، الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيــم،دار الفكر،الطبعة الثانية، 1399 هـ - 1979 م ، ج 1، ص 510، وأن تاريخ وفاته في سنة 635 هـ،أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري، رحلة العبدري، تحقيق،علي ابراهيم الكردي،دار سعد الدين، للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م، ص 63، وانظر الهامش 2.

والذي قرأ عليه:

(مقامات الحريري) ومن شعر المتنبي وأكثر(الحماسة).[1]

- أبو بكر محمد بن مُحرز الزُهري، والذي قرأ عليه أكثر (التلقين)، وكتاب (الترمذي) وسمع منه دولا كثيرة من (الموطأ) وغير ذلك من المصنفات العلمية.[2]

- أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، ولازمه مدة إقامته بمرسية. و كان من جملة ما قرأ عليه (التنقيحات) و(مختصر المستصفى) وبعض (التلقين)، وأخبر ابو بكر أنه استفاد كثيرا من تعليقات و تنبيهات ابن عميرة على الكتاب الأخير بما لم يُسبق إلى مثله عند غيره من العلماء.[3]

- الفقيه القاضي المسن أبو عيسى محمد بن أبي السداد[4]، و قرأ أبو بكر عليه (شمائل النبي صلى الله عليه وسلم)، إلى جانب (كتاب مُسلم بن الحجاج) وغيره. كما أجاز لأبي بكر: أبو الربيع بن سالم.[5]

استُعمل أبو بكر بغرناطة مدة من الزمن في الكتابة السلطانية لملوك بني نصر،قبل أن يعود إلى بلده مرسية والتي كانت أحوالها قد اختلت وبلغت بها الأحزان كل مبلغ. فلم يطل مقامه بها ليُقرر في النهاية مغادرتها نهائيا قاصدا بلاد المغرب الأوسط متخذا من مدينة تلمسان مسكنا ومأوى.

1 العبدري، مصدر سابق، ص 63.

2 المصدر السابق نفسه، ص 64.

3 المصدر السابق نفسه، ص 64 – 65.

4 محمد بن محمد بن أبي السداد المرسي، وهو قاض وفقيه من أهل مرسية، كانت وفاته في سنة 642 هـ، العبدري، مصدر سابق، ص 65، الهامش، 2 .

5 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 2،ص 427 ، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 6، ص 332.

ووصل مترجمنا إلى تلمسان بعد مصاعب كبيرة واجهته وأهوال[1]. وفي تلمسان حظي أبو بكر في تلمسان بحسن الإكرام والاستقبال من أميرها العبد وادي يغمراسن بن زيان،الذي عينه لكتابته ولا سيما في مخاطبة الخليفة الموحدي الرشيد وأمراء افريقية.[2]

ذكر العبدري في رحلته عن أبي بكر أبياتا من شعره، تدل – على قلتها – على مكانته في ميدان القريض فكان من جملة ما نقله هذه الأبيات:

اشكــرْ لربك وانتظـرْ   في إثرِ عُسر الأمر يُسرا

واصبرْ لكربك وادخرْ   في ستر ضُر الفقر أجـرا

فالدهرُ يعثرُ بالــورى   والصبر بالأحرار أحرى

والوفرُ أظهرَ مـعشرا   والفقرُ بالأخيار يُغـــرى.

ثم عقب العبدري على هذه الأبيات قائلا:

" نظام هذه الأبيات يدل على باع في الأدب مديد، وطبع فاضل ومِقولٍ مجيد، وناظــمــها – رحمه الله – متمكن الجلالة، معروف الأصالة، لقي جماعة من الأفاضل،و أخذ عنهم

---

1 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 2، 426،يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 129،ابن عبد الملك س 6، ص 332،ابن مريم، مرجع سابق، ص 247، بوباية ، مقال سابق، ص 163، حاجيات، تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، ص 41، مع وقوع الوهم من الكاتب الذي جعل تاريخ وفاة مترجمنا في سنة 686 هـ / 1287 م، نقلا عن صاحب بغية الرواد،وهذا النقل غير صحيح لدى التحقق. بينما التاريخ الذي أورده يحي ابن خلدون هو 636 هـ، التنسي، مصدر سابق، ص ص 115 – 128.

2 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 129 ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 106، ابن مريم، مرجع سابق، ص 247 ،الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخـارج، ص 209، الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 80، 91، حاجيات، تلمسان مركز الاشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، ص 39، يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص 222، محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان،ديــوان المطبوعـات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 402، بوزيان الدراجي،نُظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ديوان المطبوعات الجـامعية، الجزائر،1993 ، ص 144 – 145.

فاضلا عن فاضل ".[1]

وقد جرت بين أبي بكر وبين جماعة من أدباء عصره مخاطبات ومراجعات أبانت في النهاية عن فضله وسعة تمكنه. ومما يؤثر من بديع نظمه قـوله:

رشأ في الخـــد منه روضـــةٌ   ما جناها دانـــــيا للمهتـصرْ

طلعُ الـــوردُ مع الآس بهـــا   فهوى يغرب صبرُ المصبطر

جال ماءُ الحسن فيها و الصبا   فالتقى الماء على أمـــر قد قُدر

مرت الموسى على عارضــه   فكأن الآسَ بالمـــاء غــــــمر

ومنه أيضا:

اقنع بما أوتيته تنل الغـــــنى   وإذا دهتك ملــــــمةٌ فتصـــبر

واعلم بأن الرزق مقسوم فلو   رُمنا زيادة ذرة لـــــم نقــــدر

والله أرحم بالعباد فلا تسـلْ   أحدا تعشْ عيشَ الكرام و تؤجر

وانظرْ إلى منْ كان دونك تذكرْ   لعظيم نعمته عليك وتشـــكر .[2]

وفاته:

توفي أبو بكر بتلمسان في عاشوراء من سنة 636 هـ وقيل بعد سنة 680 هـ وهذا القول هو الأظهر والأرجح، ليقاء ابن خطاب حيا إلى غاية هذه السنة.[3]

---

1 العبدري، مصدر سابق، ص 62 -63، الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخـارج، ص 209 – 210.

2 ابن عبد الملك س 6، ص 332،ابن الخطيب، الاحاطة، ج 2، ص 428، مع اختلافات يسيرة، وللمزيد عن كتابات أبي بكر الشعرية والنثرية، راجع المصدر السابق نفسه، ج 2، ص ص 428 – 433، العبدري، مصدر سابق، ص ص 66 - 73.

3 يحي ابن خلدون، مصدر سابق،ج 1،ص 129، ابن مريم، مرجع سابـق، ص 247،ابن الخطيب، الاحاطـة، ج 2،ص 433، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 6، ص 333.

2 - العلمـاء:

ابن عصفور(597 – 669 هـ / 1200 – 1271 م):

هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي عُرف بابن عصفور[1].كان مولده في 597 هـ.

نشأ مترجمنا محبا للعلم والعلماء، كما نشط في أخذ مختلف العلوم في مدينتـــه اشـــبيليــة عن ثلة من أكابر العلماء على غرار:

أبي عـــلي الشلوبين[2]، والذي لازمه عشر سنين استفاد خلالها من علمه بمالم يحصل مع غيره. وكل من قرأ على أبي علـــي الشلـوبين ببلده نَجُبَ – كما يقول الغبريني -.[3]

ولقد اشتهر ابن عصفور بالنحو حتى سُمي بحامل لواء العربية، إلى جانب جلالة الإسناد لديه والحفـظ والإتقان، والتصور وفصاحة اللسان.هو حـافظ متصور لما هو حافظ له،

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 317،جلال الدين عبد الرحمان السيوطي،بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، ج 2،دار الفكر،الطبعة الثانية، 1399 هـ - 1979 م، ص 210، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، محمود الأرناؤوط،دار ابن كثير، دمشق،الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1991 م، مج 7، ص 575 - 576،الكتبي، مرجع سابق،ج 3، ص 109- 110.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 317 – 318، والإمام الشلوبيني (562 - 645 هـ = 1166 - 1247 م) هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الازدي، أبو علي، الشلوبيني أو الشلوبين: من كبار العلماء بالنحو واللغة،مولده ووفاته باشبيلية، والشلوبيني نسبة إلى حصن " الشلوبين " أو " شلوبينية " بجنوب الاندلس ويسميه الاسبان Salobrena وفي المؤرخين من يقول إن لقب صاحب الترجمة " الشلوبين " بغير نسبة، ويفسره بأن معنى هذه الكلمة: الابيض الاشقر،وفي اختصار القدح أنه " ينسب إلى شلوبينة، من حصون غرناطة الساحلية " وأنه اشتهر بحدة المزاج، وكـان يسب من يمر بذكره من أئمة النحو وغيرهم،خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستـــعربين والمستشرقين،دار العلم للملايين، بيروت،الطبعة السابعة، 1986، ج 5، ص 62،وانظر ابن سعيد،مصدر سابق، ج 2، 129 - 130 ، وانظر أيضا، آنخل جنثالث بالنثيا، مرجع سابق، ص 186، الكتبي، مرجع سابق،ج 3، ص 109 – 110.

3 الغبريني، مصدر سابق، ص 318.

قادر على التعبير عن محفوظه، وهذه هي الغاية، وهي أن يكون المرء حافظا له متصورا معتبرا، وقل أن يجمع مثل هذا إلا الآحاد.[1]

استوطن ابن عصفور مدينة بجاية وجلس بها وتولى تعليم الأمير أبي يحي الحفصي[2]، ثم انتقل إلى تونس فأصبح من خاصة السلطان المستنصر ومُقربيه قبل أن يأمر بقتله لقصة جرت بين الرجلين تعكس الكثير من الأمـور:

- تعفن الجو السياسي في المملكة الحفصية،من خلال انتشار المؤامرات وإيغار صدر السلطان على العلماء رغم افادتهم وأدوارهم في دفع عجلة الحضارة.

- تفوق العنصر الأندلسي لم يكن من وسيلة لكبحه إلا من خــــلال تدبير الاغتيالات المبنية في الغالب على الاتهامات المُلفقة، وكذا تتبع العثرات.

لقد حفظت المصادر التاريخية لنا القصة التي تسببت بمقتل هذا العالم النحوي الاندلسي الفذ ومجملها أن المستنصـر الحفصي كان مستمتعا في أحد مجالسه بالمناظر التي من حوله،فعبر عن ذلك لمن كان عنده بقوله:"...قد أصبح ملكنا الغداة عظيما.."، فأجابه ابن عصفور قائلا:" .. بنا وبأمثالنا..".

فبلغت هذه الكلمة من المستنصر كل مبلغ، ولكنه أسرها في نفسه واعتبرها من تطـاول الأندلسيين على بني حفص، فأمر بعض رجاله بإلقاء ابن عصفور – العالم النحرير - في جابية الماء بثيابه، ومنعه من الخروج مـن الماء. وعبثا حاول ابن عصفـور الخروج من الجابية، لكنهم يُعيــدونه إليها على أساس المزاح والمداعـبة !.

والحقيقة أن ابن عصفور لم تطل به الحياة بعد هذه الحادثة إلا قليلا، إذ أصيب ببرد وحمى شديدين أوديا بحياته بعد ثلاثة أيام، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة 669 هـ / أوت

1 المصدر السابق نفسه، ص 318، الحنبلي، مرجع سابق، ج 7، ص 575.

2 كانت وفاته في سنة 646 هـ وهو الذي كان وليا للعهد لأمير أبي زكريا، ابن خلدون،مصدر سابق،ج 6 ، ص ص 398 – 400، الزركشي،مصدر سابق، ص ص 28 – 30، ابن قنفذ، الفارسية، ص 110

1299 م [1] ،لينضاف قتله إلى سلسلة طويلة من الرزايا للأمة التي كانت محتاجة إلى مثل هذه الكفاءات، والتي لم يكن من المعقول أن يُحكم عليها لأجل كلمة قيلت في مجلس تفسح وتوسع، اللهم إلا إذا اقترن هذا التحليل بإطلاع على التناحر والتطاحن وجو السعايات والمؤامرات الذي شاع عند الحفصيين، فدفع ثمنه غاليا الأبرياء والعلماء وغيرهم بحق وبغير حق.

تآليفه:

لقد خلف ابن عصفور وراءه مجموعة من التصانيف العلمية التي عُدت من الدرر في فن العربية. ومن هذه الكتب:

- شرح أبيات الإيضاح.
- المفتاح.
- الهلال.
- مختصر المحتسب.
- شرح الاشعار الستة.
- شرح المقرب.
- شرح الحماسة.

وهذه الشروح الثــلاثة لم يُكملها،كما أنه كا قد أخذ في تفسير القرآن الكريم.[2]

1 الزركشي، مصدر سابق ، ص 39،المطوي، السلطنة الحفصية، ص 218، الكتبي، مرجع سابق،ج 3، ص 109- 110.

2 الغبــريني، مصدر سابق، ص ص 317 – 319، ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 5 - ق 1، ص 413 – 414، الكتبي، مرجع سابق،ج 3، ص 110، المطوي، السلطنة الحفصية، ص ص 218 – 220.

ابن السراج (560 – 657 / 1165 – 1259 م):

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن قاسم الأنصاري المعروف بابن السراج من أهل اشبيلية.[1]

أخذ العلوم الشرعية عن مجموعـــة من الأعـــلام. كان من أبرزهم:

- أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الاشبيلي – وهو خال ابن السراج -.[2]

- أبو القاسم ابن بشكوال.[3]

- أبو القاسم السهيلي.[4]

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 202.

2 هو لغوي معروف، كان من أفاضل قراء القرآن الكريم وحُفاظ الحديث النبوي الشريف.مولده في مدينة اشبيلية سنة 502 هـ، وبها قضى حياته كلها – ماعدا السنتين الأخيرتين – في طلب العلم، وجال في أرجاء الأندلس متعلما، وصار في آخر عمره إمام للمسجد الكبير بقرطبة إلى وفاته في الرابع من ربيع الأول من سنة 575 هـ، ودُفن بقرطبة ثم نُقل جثمانه إلى مسقط رأسه اشبيلية. الغبريني، مصدر سابق، ص 202 – 203، الهامش 1،الحنبلي، مرجع سابق، ج 4، ص 252.

3 هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري الأندلسي.هو مؤرخ باحث، محدث حافظ، ولد في قرطبة سنة 494 هـ، وسمع من أبي محمد بن عتاب وطبقته، وأجاز له ابو علي الصدفي، عُرف ابن بشكوال بالتواضع والصدق.تولى القضاء في جهات اشبيلية، وألف نحو خمسين مؤلفا، على غرار (الصلة) وهو في تاريخ رجال الأندلس، وكذا (رواة الموطأ).كانت وفاة ابن بشكوال في الثامن من شهر رمضان من سنة 578 هـ، عن أربع وثمانين سنة، انظر، الغبريني، مصدر سابق، ص 203، الهامش 1،الامام شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق، محمود الأرناؤوط،دار ابن كثير، دمشق،الطبعة الأولى، 1412 هـ -1991 م، مج 6، ص 430،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق، إحسان عباس،دار صادر، بيروت،1969، مج 2،ص 240 -241، ابن الأبار، المعجم ، ص 91 – 92.

4 هو عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، حافظ ومحدث، وعالم باللغة والسير.كان مولده بمالقة الأندلسية في سنة 508 هـ.كُف بصره وعمره 17 سنة، اشتهر بالصلاح والورع والقناعة، وطارت شهرته إلى مراكش، فاستدعاه واليها، وأقام فيها ثلاث سنين.وتفي في سنة 581 هـ، له عدة مصنفات منها: (الروض الأنف) وهو في شرح السيرة النبوية لابن هشام، إلى جانب (نتائج الفكر)، واشتهر بهذه الأبيات =

- أبو عبد الله بن زرقون.[1]

غادر ابن السراج مدينته اشبيلية مُكرها عقب سقوطها بيد الملك القشتالي فرناندو الثالث. وأجاز البحر إلى سبتة وأقام بها قليلا ثم فصل إلى بجاية في سنة سبع وأربعين واستوطنها.[2]

كان مُترجمنا على سنن الفقهاء وعلى طريق المتعبدين الصلحاء،انتهى إليه العلم بالرواية والأسانيـــد وتخريج الأحاديث،حتى كان آخر الرواة بالسماع عن أكثر الأكابر من شيوخه وعُرف عنه الزهد والصلاح ،كما اشتــغل بالتدريس.

أخذ عنه ببجاية نخبة من العلماء من بينهم:

- ابن الأبار.

- ابن سيد الناس وغيرهم من مشيخة الأندلس.

وظل على حاله تلك حتى وفاته ببجاية، عن سن عالية قاربت المائة وذلك في ضحى يوم الأحد السابع لصفر من سنة 657 هـ، ودُفن بخارج باب البنود بحومة بئر مسفرة بالمقبرة المعروفة بأبي علي رسمية.[3]

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ   أنت المعد لكل ما يتوقعُ. انظر، الغبريني، مصدر سابق، ص 203، الهامش 3، الحنبلي، مرجع سابق، ج 6، ص 445 - 446، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيـان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق، إحسان عبــاس،دار صــادر، بيروت، مج 3،1969، ص 143 – 144، ابن الجزري، مصدر سابق، ج 1، ص 335 – 336.

1 هوأبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد ابن زرقون الأنصاري الأندلسي، مسند الأندلس في زمانه.كان مولده بشريش في سنة 502 هـ، ووفاته بإشبيلية في سنة 586 هـ. ترك مجموعة من التصانيف منها: (الأنوار) الذي جمع فيه بين (المنتقى والاستذكار) لابن عبد البر، انظـر الغبريني، مصدر سابق، ص 203، الهامش 4،الذهبي، المستملح، ص 82 - 83 ، ابن قنفذ، الوفيات، ص 295.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 204.

3 الغـبـريني، مصدر سابق، ص 203 -204، ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق،س 1 - ق 1، ص ص 369 – 371.

الششترى (610 - 668 هـ / 1212- 1270 م):

هو أبو الحسن علي بن عبد الله النميري اللوشي الششتري، نسبة إلى قرية ششتر من عمل وادي آش[1]، والنميري نسبة إلى بني نمير وهي من بطون هوازن.

كان مولده بقرية لوشة الأندلسية في سنة 610 هـ ،ولا تذكر المصادر شيئا عن أهله إلا فقرة واحدة تدل على أن عائلة الششتري كانت من العوائـــل الغنية المقدمــة في السلطة ولم تكن عائلة علم وفقه.[2]

نشأ الششتري في أوائل القــرن السابع الهجري، وبدأ يطلب مختلف العـــلوم الشرعيـــة.

ويبدو أنه تضلع في دراسة الفقه وأصوله، ومما لا شك فيه أنه نشأ مالكي المذهب إلى جانب دراسته للمذهب الشافعي.[3]

بدأ الششتري حياته تاجرا متجولا ورحل إلى بلاد عدة بالمغرب العربي،وزار أبو الحسن هذا بجاية مرتين في الثانية منهما حضر حلقة ذكر لأتباع أبي مدين الأندلسي[4] فتعلق بالتصوف وتغير مجرى حياته.

---

1 مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة، كبيرة خطيرة تطَرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، الحميري، مصدر سابق، ص 604 -605، ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2،ص ص 140 – 153.

2 علي سامي النشار،" أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال وأثره في العالم الإسلامي "،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،مدريد، العدد الأول- السنة الأولى، 1372 – 1953، ص 136.

3 النشار، مقال السابق، نفسه ص 137.

4 هو من أشهر الشخصيات الصوفية في نهاية القرن السادس الهجري،وهو أبو مدين شعيب بن الحسين الإشبيلي، تُروى له أعاجيب من الكرامات والخوارق، وقد ترجمت له المصادر باستيفاء كبير، يُراجع، أبو العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير و عز الحقير، تحقيق، محمد الفاسي و أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط، 1965 ، ص ص 1 – 117، أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات،التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي،تحقيق، أحمد توفيق،كلية الآداب، الربـاط،الطبعة الثانية، 1997، ص ص 319 – 326، أحمد ابن القاضي المكناسي،جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،دار المنصور للطباعة والــوراقة، الرباط، 1973، القسم الثاني، ص 530 = -

أقام مترجمنا ببجاية مدة طويلة ودرس بها وتعرف فيها على ابن سبعين في سنة 648 هـ، وتتلمذ عليه واتخذه شيخا رغم أن الششتري كان أسن منه [1].

ثم صار للششتري أتباعه ومريدوه، وأسس طـــــريقة خاصة به حملت اسمه (الششترية)،

وهي من فروع السبعينية. [2]

ثم غادر مترجمنا بجاية نحو مصر مع ما ينيف عن أربعمائة مريد يخدمونه، وهناك اعتكف في الجامه الأزهر وسرعان ما أسس رباطه الخاص، ثم خرج حاجا إلى مكة ليعود بعدها صوب بلاد الشام ليشارك في القتال ضد الصليبيين.وتوفي في يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر صفر لعام 668 هـ.[3]

وصفه المقري بأنه:" عروس الفقهاء، وأمير المتجردين، وبركة لابسي الخرقة، وهو من قرية ششتر من عمل وادي آش، وزقاق الشّشتري معلوم بها.

531،ص 332،يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص ص 125 - 127،التنبكتي، مرجع سابق، ص ص 193 - 199، ابن مريم، مرجع سابق، ص ص 130 - 137،محمد بن محمد مخلوف،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهـرة، 1349، ص 164،أبو العباس أحمد بن خالد الناصري،كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولتان المرابطية والموحدية،تحقيق، محمد الناصري وجعفر الناصري، ج 2، ص 189- 190،كناشة السي إدريس بن رحال،أشعار من الموزون والملحون، تحقيق، محمد بن عمرو الزرهوني،موفم للنشر، الجزائر، 2008، صفحات، 59، 146،368، ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 114،ابن قنفذ، الوفيات، ص 297 -298.

1 ستأتي ترجمته في ثنايا هذا البحث، النشار،مقال سابق، ص 140، المقري، مرجع سابق، ج 2، ص 185.

2 عبد المنعم القاسمي الحسني،أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى،دار الخليل القاسمي،الطبعة الأولى، 1427،ص 239.

3 الغبريني، مصدر سابق، ص 239 – 240، وانظر الهامش 1، أين تعقب محقق الكتاب الغبريني في كون دمياط التي دُفن بها بها مترجمنا موجودة بالديار المصرية لا بالشام، النشار، مقال سابق ، ص 144 – 145، الحسني، مرجع سابق، ص 239.

وكان مجوّداً للقرآن، قائماً عليه، عارفاً بمعانيه، من أهل العلم والعمل، جال الآفاق، ولقي المشايخ، وحجّ حجّات، وآثر التجرّد والعبـــادات "؛ هذا إلى جانب آرائه الصوفية ونزعته الفلسفية.[1]

ومن أهم تصانيفـه:

- كتاب العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم.
- كتاب الرسالة العلمية.
- كتاب المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية.
- الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة.
- المراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية.

و له ديــوان شـــعر مشهور نقل المقري بعض المقاطـــع منـــه.[2]

أبو عبد الله الحلوي(ت أوائل القرن 7 هـ / 13 م) :

هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي، اشتهر باسم الحلوي لأنه كان يصنع الحلوى ويبيعها ثم يتصدق بثمنها.

ولي القضاء في اشبيلية، في أواخر الدولة الموحدية لكنه ترك منصبه وابتعد عن وظائف الدولة وفر إلى تلمسان، وهناك تغير منهج حياته من خلال إقباله على زي الدراويش والمجانين ستارا له.[3]

1 الغبريني، مصدر سابق، ص ص 239 – 242،المقري، مرجع سابق،ج 2 ،ص ص 185 – 187، وص 384،– 187، النــشار،مقال سابق، ص ص 129 – 160.

2 أنظر،ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب، تحقيق،علي سامي النشار،المعارف، اسكندرية، الطبعة الأولى،1960، المقري، مرجع سابق، ج 2، ص ص 185 – 187.

3 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 127 - 128.

توفي مترجمنا بتلمسان – ولا يعرف تاريخ ذلك على وجه التحديد - إلا أنه يدخل في عداد رجال المائة السابعة الهجرية، لكونه عايش آخر عمر الدولة الموحدية.[1]

ومن الباحثين من يرى أن وفاة الحلوي تأخرت إلى سنة 737 هـ / 1337 م ولكن بدون توثيق.[2]

يضاف إلى ذلك أن التاريخ المتقدم يتعارض مع تاريخ وفاة تلميذه أبي اسحاق ابراهيم ابن يوسف بن محمد بن دهاق في سنة 611 هـ ؛ خاصة وأن عبارة كتبها يحي ابن خلدون تفيد بأن وفاة الحلوي سبقت وفاة تلميذه؛ إذ قال: " فكانا يأويان – أي الحلوي وابن دهاق – تبتلا إلى الكهف....إلى أن مات الشيخ....مقصودا ".[3]

نقل يحي ابن خلدون قصة ابن دهاق التلميذ [4] في وصفه لشيخه الحلوي حيث يقول: " أتيت من مرسية زائرا عمة لي بتلمسان، وتطوفت يوما بتلمسان فرأيت هذا الشيخ....، فقال لي: " بماذا تحترف ؟ قلت: بالقراءة، قال: أتريد أن تقرأ ؟.

قلت: نعم ، قال: إيتني إن شاء الله بالمسجد الذي بخندق عين الكسور من المنية التي بخارج باب القرمدين، وتقرأ ما تريد ". فخرجت إليه من الغد فوجدته جالسا بالمسجد لوعدي، فسلمت وجلست فقال: " مالذي تريد قراءته ؟.

فقلت: ما ألهمك الله إليه ، قال: اقرأ كتاب الله أولا فهو أحق أن يُفتتح به ، فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم، وقرأت بسم الله الرحمان الرحيم، فتكلم في فضلها عشرة أيام ثم قرأت

1 بوزيان الدراجي،أدباء وشعراء من تلمسان،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع،2011، ج 2 ،ص 312، الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 الميلاديين،شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص 147 – 148.

2 الدراجي،أدباء وشعراء من تلمسان، ج 2 ،ص 313، الحسني، مرجع سابق، ص 58.

3 يحي ابن خلدون، ج 1، ص 128، الطاهر بونابي،مرجع سابق، ص 147.

4 ستأتي ترجمته في ثنايا البحث.

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم شيئا من الأدب، قال المخبر: فكل ما تسمعونه من أدبي فمنه استفدت، وعنه أخذته في مدة حولين كاملين، لم ينتقل فيها عما عهدته ".[1]

كان الحلوي يسير في السواق، والأطفال من ورائه يطبلون له وهو يرقص على إيقاعاتهم؛ لبعث السعادة في نفوسهم، معتبرا ذلك من الأهمية بما كان حتى أنه انتقد تلميذه ابن دهاق؛ حين رآه يدرس في المسجد باب الطهارة.فترك التلميذ التدريس وقلد شيخه في حركاته الغريبة ومن بينها الركوب على قصبة والجري بها !.[2]

وكان أهم ما خلفه الحلوي من بعده طريقة صوفية حملت اسمه، جاهر بها بعده تلميذه الوفي

ابن دهاق واتبعها أناس كثر كابن سبعين (ت 669 هـ / 1270 م)؛ وقال المحققون أن هذه الطريقة قائمة على القول بوحدة الوجود. [3]

ومما يُنسب إلى الحلوي من النظم قوله:

إذا نطق الوجود أصاخ قوم   بآذان إلى نطـــق الوجـود

وذاك النطق ليس به انعجام   ولكـن دق عن فـــهم البلـيد

فكن فطنا تنادَى مـن قريب   ولا تك من يُنادَى من بعيد.[4]

---

1 يحي ابن خلدون، ج 1، ص 128، ابن مريم، مرجع سابق، ص 94 – 95.

2 المرجع السابق نفسه،ص 94 ،الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان ج 2، ص 313 – 314، الطاهر بونابي،مرجع سابـق، ص 148.

3 الدراجي،أدباء وشعراء من تلمسان، ج 2،ص 314، الطاهر بونابي، مرجع سابق، ص ص - 149 152 ، الحسني، مرجع سابق، ص 59، أحمد بن محمد المقري التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، مج 5،دار صادر، بيروت،1408 هـ - 1988 م، ص 260 وما بعدها، الهامش 4.

4 يحي ابن خلدون، ج 1، ص 128،ابن مريم، مرجع سابق، ص 95، الدراجي،أدباء وشعراء من تلمسان، ج 2،ص 315، و راجع الحسني، مرجع سابق، ص 59، و ص 147.

ابن سبعين (613 – 668 هـ / 1216 – 1271 م):

أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد ابن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوطي، نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية. كان مولده في سنة 613 هـ وقيل: 614 هـ.[1]

أجمل ابن الخطيب ترجمة ابن سبعين هذا فقال:" كان من أبناء الأصالة ببلده، وولي أبوه خُطة المدينة، وبيته نبيه، ونشأ مترفا مبجلا، في ظل جاه، وعز نعمة، لم تُفارق معها نفسه البلد. ثم قرأ ورشد ونظر في العلوم العقليـة. وأخــذ التحقيق عن أبي اسحاق ابن دهاق، وبرع في الشوذية، وتجرد واشتهر، وعظُم أتباعه، وكان وسيما جميـلا ملوكي البزة، عزيز النفس، قليل التصنع، يتولى خدمته الكثير من الفقـــراء السفارة. أولي العبا والدقاقيس، ويحفون به في السكك، فلا يعدم ناقدا، ولا يفقد متحاملا ".[2]

درس ابن سبعين العربية والآداب بالأندلس، ثم انتقل إلى سبتة وجال في بلاد المغرب،وسكن بجاية مــدة من الزمن، ثم شد الرحال نحو المشرق[3]، فاستوطن مكة المكرمة حيث أدى بها دورا مهما في إرسال أهلها لبيعتهم إلى المستنصر الحفصي في سنة 657 هـ / 1259 م،وذلك في السنة الموالية لسقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد التتار.[4]

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 237،ابن الخطيب، الاحاطة، ج 4، ص 31،الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة والنشر والاعلان،الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م،ج 17، ص 303، بالنثيا، مرجع سابق، ص 386 – 387.

2 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 4، ص 33.

3 المصدر السابق نفسه،ص 33 – 34، الغبريني، مصدر سابق، ص 237، ابن كثير، مرجع سابق، ج 17، ص 498، المطوي، السلطنة الحفصية، ص 190.

4 الزركلي، مصدر سابق،ص 37، ابن قنفذ، الفارسية، ص 120،ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص ص، 407 – 417.

تعددت أوصاف المصادر التاريخية لشخصية ابن سبعين بين موافقة ومخالفة، وذلك على خلفية توجهه الصوفي فمن ذلك:

- وصف الغبريني له وصفا عاما لم يتعرض فيه لمذهبه الصوفي إلا من خلال إشارات. وكان من جملة ما ذكره قوله:

" له مشاركة في معقول العلوم ومنقولها، وله فصاحة لسان وطلاقة قلم وفهم وجنان.وهو أحد الفضلاء وله أتباع كثيرة من الفقراء ومن عامة الناس، وله موضوعات كثيرة هي موجودة بأيدي أصحابه، وله فيها ألغاز وإشارات بحروف أباجد، وله تسميات مخصوصات في كتبه وهي نوع من الرموز، وله تسميات ظاهرة هي كالأسامي المعهودة،وله شعر في التحقيق، في مراقي أهل الطريق.كتابته مستحسنة في طريق الادباء. وله من الفضل والمزية ملازمته لبيت الله الحرام، واستلزامه الاعتمار على الدوام، وحجه مع الحجاج في كل عام، وهذه المزية لا يعرف قدرها ولايُرام.ولقد مشى له المغارب في الحرم الشريف بحظ لم يكن لهم في غير مدته، وكان أصحاب مكة شرفها الله وأكرمهم يهتدون بأفعاله، ويعتمدون على مقاله ".[1]

- نُقلت بعض أخبار ابن سبعين وهو بمكة ومن ذلك أنه :

" جاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجي - فيما ينقل عنه - أن يأتيه فيه وحي كما أتى النبي صلى الله عليه وسلم، بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة، إن كان مات على ذلك، وقد كان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم كأنهم الحمير حول المدار، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت، فالله يحكم فيه وفي أمثاله ".[2]

- قال ابن الخطيب:

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 237 -238.

2 ابن كثير، مرجع سابق، ج 17، ص 497 -498، التنبكتي، مرجع سابق، ص 280.

"وأغراض الناس في هذا الرجل متباينة، بعيدة عن الاعتدال، فمنهم الموهن المُكفر، ومنهم المقلد المعظم، وحصل لطرفي هذين الاعتقادين من الشهرة والذياع ما لم يقع لغيره ".[1]

مصنفاته:

لقد خلف ابن سبعين من بعده تواليف كثيرة تشذ عن الاحصاء - كما عبر ابن الخطيب – منها:

- كتاب البُد .
- وكتاب الهو.
- كتاب الأجوبة اليمنية.
- كتاب الإحاطة.[2]

وفاته:

توفي ابن سبعين في الثامن والعشرين من شوال من سنة 668 هـ / 1271 م بمكة، وله من العمر خمس وخمسون سنة.[3]

ابن دهاق (ت 611 هـ / 1214 م):

هو إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي يكنى أبا إسحاق، ويعرف بابن المـــرأة.[4]

---

1 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 4، ص 33.

2 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 4، ص ص 35 – 38،الغبريني، مصدر سابق، ص 238، الهامش 1، ابن كثير، مرجع سابق، ج 17، ص 497، عبد الرحمان بدوي،" كتاب الإحاطة لأبي محمد بن سبعين المرسي الأندلسي "،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،مدريد، مج 6،ص ص 11 – 34، بالنثيا، مرجع سابق،ص ص 388 – 390.

3 الغبريني، مصدر سابق، 238 الذي يضعها في سنة 609 هـ، وانظر تعقب محقق الكتاب عليه ،التنبكتي، مرجع سابق، ص 280، ابن كثير، مرجع سابق، ج 17، ص 498.

4 ابن الأبار، التكملة، ص 200، ابن الخطيب، الاحاطة، ج 1، ص325، مخلوف، مرجع سابق، ص 173.

سكن مالقة دهراً طويلا ثم انتقل إلى مرسية،واشتهر أبو اسحاق هذا بكونه فقيها حافظا للرأي مشاورا يُشارك في الأدب. وكان الكلام أغلب عليه،فرأس فيه واشتهر به، فصيح اللسان والقلم، ذاكراً لكلام أهل التصوف يطرز مجالسه بأخبارهم. وكان بحراً للجمهور بمالقة ومرسية، بارعاً في ذلك متفنناً له متقدماً فيه حسن الفهم لما يلقيه، له وثوب على التمثيل والتشبيه، فيما يقرب للفهم، مؤثراً للخمول، قريباً من كل أحد حسن العشرة مؤثراً بما لديه.[1]

وكان مترجمنا بمالقة يتجر بسوق الغزل، وكان صاحب حيل ونوادر مستظرفة، يُلهى بها أصحابه، ويؤنسهم، ومتطلعاً على أشياء غريبة من الخواص وغيرها، فتن بها بعض الحلبة، واطلع كثير ممن شاهده على بعض ذلك، وشاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشنيعة، فنافره وباعده بعد الاختلاف إليه.[2]

تجول ابن دهاق أحيانا ودرس في غير ما بلـد وكانت العامة حزبــه. و كان من بين المدن التي زارها فاس[3] وتلمسان.

ويؤكد يحي ابن خلدون خبر دخول ابن دهاق مدينة تلمسان، من خلال القصة التي ساقها بلسان المترجم، حيث يذكر أنه قدم زائرا من بلده مرسية لعمة له تسكن تلمسان في رمضان.

وهناك هاله منظر الشيخ الحلوي الذي كان يصنع الحلوى ويبيعها ، ومن حوله الاطفال الصغار ينقرون له فيلتفت إليهم ليرقص ويشطح. فتفرس في الشيخ مخايل الولاية والامامة وتمنى أن يلتقيه عن قرب.

قال:" فلما جاء الفطر ابتعت سميدا وعسلا. وقلت لعمتي اصنعي لي مشهدة، يُفطرها عندي رجل من الصالحين.

1 ابن الأبار، التكملة، ص 200.

2 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 1،ص 325 -326.

3 مدينة عظيمة، وهي قاعدة المغرب، وهي عبارة عن مدينتين مقترنتان يشق بينهما نهر كبير يُسمى وادي فاس، ومدينة فاس قطب بلاد المغرب الأقصى، وهي مدينة محدثة،بينها وبين تلمسان عشرة أيام في عمائر متصلة الحميري، مصدر سابق، ص 434 – 435.

قال: ففعلت والتمسته في الناس بعد صلاة العيد، فلم أجده فحوقلت وقلت في نفسي، اللهم بحقه اجمع بيني وبينه في هذه الساعة، فإذا هو عن يميني، فانضم إلي. وقال: صنعت عمتك المشهدة ؟.فقلت: نعم.

فقال: قم بنا إلى ناحية نأكل هذه المشهدة الحاضرة، وحينئذ نمشي إلى دار عمتك.

فقمت معه إلى خارج الشريعة فأخرج من تحته صحفة مغطاة بمنديل نظيف وكشطه فإذا مشهدة لم ير مثلها الراؤون احكام طبخ وجودة صنعة وكثرة ادام، فأكلنا وتوجهنا إلى الدار. فأحضرت عمتي مشهدتها، فلم تُشبه الأولى في شيء، فأكلنا منها شيئا..."[1]

ولم يلبث الشيخ أن عرض على ابن دهاق أن يُقرأه العلم، ووافق مترجمنا. وامتدت المصاحبة والمجالسة حولين كاملين، حتى كان ابن دهاق يقول: " كل ما تسمعونه مني من مسألة فهي من إفادة الشيخ الحلوي".

وكان ابن دهاق يُدرس كتاب الطهارة من المدونة بالجامع.[2]

تواليفه:

- شرحه كتاب الإرشاد لأبي المعالي. (لم أقف عليه)
- كتاب مسائل الاجماع. (مطبوع)
- شرح الأسماء الحسنى. (لم أقف عليه)
- ألف جزءا في إجماع الفقهاء. (لم أقف عليه)
- شرح محاسن المجالس لأبي العباس أحمد بن العريف فرغ منه في سنة 610 هـ.[3]

وفاته:

توفي ابن دهاق بمرسية في سنة 611 هـ / 1214 م.[4]

1 يحي ابن خلدون، مصدر سابق،ج 1، ص 127.
2 ابن الأبار، التكملة، ص 200، يحي ابن خلدون، مصدر سابق،ج 1، ص 128.
3 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 1، ص 326.
4 ابن الأبار، التكملة، ص 200، ابن الخطيب،الاحاطة، ج 1، ص 326.

ابن محرز (569 – 655 هـ / 1173 – 1258 م):

هو أبو بكر محمد بن محمد ابن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري، من أهل بلنسية ويُعرف بابن محرز[1].

وكان مولد مترجمنا بمدينة بلنسية، وذلك في آخر شهري جمادى من سنة 569 هـ.[2]

كانت بداية ابن محرز العلمية في موطنه الأندلس؛ حيث تتلمذ على يد أفاضل من أهل العلم والتحصيل.

هذه النشأة العلمية عادت يالإيجاب الكبير على المسيرة العلمية لمترجمنا، فقد تمكن– فيما بعد - من التفوق في المشيخة العلمية والدينية ممثلة في الرواية إلى جانب بُعد الهمة.[3]

وكان من أهم العلماء الذين لقيهم مترجمنا واستفاد من علمهــم:

- أبو عبد الله بن نوح.[4]

- أبو العطاء وهب بن لب بن نذير الفهري.[5]

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 283 – 284،ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 – ق 1، ص 481.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 287، المقري يجعل تاريخ ميلاده في سنة 529، مرجع سابق، ج 2، ص 66.

3 الغبريني، مصدر سابق، ص 284.

4 هو أبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن نوح الغافقي البلنسي، ودار سلفه الأولى بسرقسطة، كان مولده في سنة 530 هـ.قرأ القراءات واخذ النحو، وتولى خطة الشورى ببلنسية في حياة شيوخه مع تفوقه عليهم في الحفظ والتحصيل، كانت وفاته في شوال من سنة 608 هـ، انظر الغبريني، مصدر سابق، ص 284، الهامش 2.

5 هو أبو عطاء وهب بن لب بن عبد الملك بن أحمد بن نذير البلنسي، أخذ القراءات عن أبي محمد بن سعدون وروى عن أبي الوليد الدباغ وغيره. وتولى قضاء بلنسية . وكانت وفاته في نواحي 590 هـ، الغبريني، مصدر سابق، ص 284 الهامش 3.

- أبو الخطاب ابن واجب.[1]

- أبو محمد ابن حوط الله.[2]

ارتحل ابن محرز إلى بجاية بعد الأربعين وستمائة واستوطنها، وكان معظما عند أهلها محترما وكان عند الملك بها حظيا مكرما، وروى عنه بها كثير واشتُغل عليه اشتغال التحصيل والتعليم. والتبيين والتفهيم. كانت تقرأ عليه الكتب الفقهية وكتب الحديث وكتب اللغة والأدب. كان محصلا لهذه الفنون مجيدا فيها، ولا يخلو له وقت عن الانشغال بالعلم إما الرواية وإما التدريس وإما المقابلة وإما عرض المسائل على سبيل المذاكرة.

يُضاف إلى ما تقدم أن ابن محرز عُرف واشتهر بكونه أحسن الناس خلقا وألينهم للطلبة جانبا مُحبا في علم الأدب.[3]

مؤلفاته:

أخبر الغبريني أنه رأى لابن محرز نظما ونثرا لا بأس به، وخطبا حسنة في عقود النكاح، كما أن أصحاب هذا الامام قيدوا عنه كثيرا من كلامه، ومصنفاته غاية في الجودة والاتقان، وهي تشمل فنونا كثيرة من مثل:

- الفقه.

1 هو أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب القيسي، من أهل بلنسية. كان مولده في سنة 537 هـ، وأكثر عن جده ابي حفص ابن واجب وطائفة، وأجاز له الامام أبو بكر ابن العربي، كانت وفاته في سنة 614 هـ، الغبريني، مصدر سابق، ص 284 الهامش 3.

2 هو أبو محمد عبد الله بن سليمان بن عبد الرحمان بن حوط الله الأنصاري الحارثي.ولد بأندة في سنة 549 هـ، سمع من أبي الحسن بن هذيل وجماعة من أهل العلم. اشتهر بنبوغه في العربية والترسل و الشعر واتقانه مع حفظه لأسماء الرجال تولى قضاء قرطبة ومرسية وسلا واشبيلية. وكانت وفاته في ربيع الأول من سنة 612 هـ، الغبريني، مصدر سابق، ص 285، الهامش 2.

3 الغبريني، مصـدر سابق، ص ص 284 - 288، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1- ق 1، ص 481، المقري، مرجع سابق، ج 2، ص 66- 67.

- الخلافيات.

- الحديث.

- الأدب واللغة.

وآثار ابن محرز المتقدمة المتنوعة تدل على قوة تحصيله ومشاركته في أبواب العلم. ولذلك التف من حوله العلماء وقدموه لتولي رئاسة مشيخة علماء الأندلس ببجاية.

كما كان بيت مترجمنا ملتقىً للشخصيات العلمية الأندلسية البارزة، على غرار: ابن الأبار وابن عميرة وغيرهما.[1]

وفاته:

توفي ابن محرز ببجاية، وذلك في يوم الأحد الثامن عشر لشهر شوال من سنة 655 هـ عن سن عالية، وكان يوم وفاته مشهدا عظيما كأنه يوم عيد ولم يبق من لم يحضره.[2]

وهكذا يتبين لنا في ختام هذا الفصل أن المغرب الأوسط استطاع استقطاب النخبة الممتازة من المهاجرين الأندلسيين، الذين فروا من وطنهم بعد تحوله إلى أشلاء تقاسمها الأعداء وضعاف أمراء المسلمين المتناحرين.

و الحقيقة أن المغرب الأوسط الذي شكل مقصدا أولا لأمواج المهاجرين الأندلسيين، هو نفسه الذي استفاد من هذه البيوتات والأفراد التي استقرت على أرضه وملئت حواضره لا سيما الكبرى منها، ليبدأ فصل جديد من تاريخ هذه البلاد مع صنع الحضارة والعناية بالعلم والثقافة.

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 287، سعيدوني، مرجع سابق، ص 120، الطالبي، مقال سابق، ص 78، عزرودي، مقال سابق، ص 51 – 52، الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، ص 185 – 186،

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 287.

الفصـــــل الثالث

دور المهاجرين الأندلسيين الثقافي في بلا د المغرب الأوسـط خـلال القـرن 7 هـ - 13 م.

1 - تنشيط الحركة العلمية:

لقد أدى توافد النُخب الأندلسية ضمن أفواج المهاجرين الكثيفة إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري إلى حركية علمية نوعية ونشاط فكري كبير، وزاد هذه الحركية العلمية اشتعالا تفاعلُ أهل المغرب الأوسط الإيجابي معها ومع الذين أتوا بها من وراء البحر ينشدون الاستقرار والأمن الذي فقدوه في بلدهم الضائع، ويَعدون بالمُقابل بدفع حركة العلم والثقافة والرُقي والحضارة. فلا عجب إذن أن نرى تهافت الطلبة عليهم وعلى دروسهم ومؤلفاتهم القيمة، في ظل تنافس سياسي محموم بين حكام دولتي بني حفص وبني عبد الواد في استقطاب هذه الكفاءات العلمية النادرة.

و لقد أسهم الأندلسيون بفاعلية كبيرة في تنشيط الحركة العلمية والثقافية على وجه العموم خلال فترة الدراسة، مستفيدين – كما تقدم – من الأرض المُستقبلة والنفوس المُرحبة والإرادة السياسية المُتأهبة والمُستعدة لتسهيل إقامتهم واستقرارهم. فعندئذ انطلق الأندلسيون لخدمة هذه البلاد وأهلها بكل ما أوتوا من قوة وكفاءة.

ويُمكن إجمال أهم الإسهامات الأندلسية في تنشيط الحركة العلمية في النقاط التالية:

1 - اختيار أغلب الوافدين الأندلسيين لا سيما النخبة منهم مدينتي بجاية الحفصية وتلمسان العبد وادية للاستقرار الدائم أو المؤقت، نظرا لكونهما أهم مدينتين بالمغرب الأوسط خلال فترة الدراسة،لتوفرهما – أكثر من غيرهما – على الفرص الأكيدة والسانحة لذوي الكفاءات لتفجير طاقاتهم وإبراز مواهبهم، مما جعل هاتين المدينتين معا أهم المراكز والحواضر العلمية والسياسية يومئذ.

2 - انتشار حلقات تدريس العلماء الأندلسيين في مُختلف العلوم، وكان ذلك يتم بطبيعة الحال جنبا إلى جنب مع علماء المغرب الأوسط مما ولد منافسة علمية كبيرة عادت بالنفع على الحركة العلمية وطلابها وروادها على أرض المغرب الأوسط.

3- انتشار المؤلفات والكتب التي أحضرها الأندلسيون معهم أو التي كتبوها على أرض المغرب الأوسط على غرار ما كتبه ابن الابار وابن عميرة و أبي بكر بن خطاب وغيرهم.

4 – تولي الأندلسيين لمناصب دينية وعلمية هامة على غرار القضاء والكتابة والخطابة والإمامة.

5 – الموسوعية العلمية التي سمحت لأعلام الأندلس المُهاجرين من الاشتهار بالتدريس والتصنيف والإجادة ليشمل مختلف الفروع العلمية ، وذلك على غرار:

أ – العلوم الشرعية:

- الفقه وأصوله
- الحديث
- التفسير
- القراءات

ب – العلوم العقلية:

- علم الكلام
- المنطق
- الفلسفة

ج – العلوم الأدبية والعلوم الإنسانية:

- النحو واللغة
- الرسائل الأدبية
- التاريخ والتراجم

د – المعارف الرياضية والطبيعية:

- الحساب

- الجبر

- الفلك

- الطب

و استطاعت المصادر التاريخية التي ضمت تراجم أعلام الأندلس أن تحفظ لنا كثيرا من الأخبار عن المجالات العلمية التي وضع الوافدون فيها بصمتهم الواضحة على أرض المغرب الأوسط أثناء فترة الدراسة، ولو رُحنا نتتبعها لطال بنا الكلام ولتَشعب كثيرا، ولكن حسبنا أن نذكر طرفا من معالم هذا الدور والأثر الأندلسي . فمن ذلك:

<u>أ – علم الحديث:</u>

يُقصد بعلم الحديث كل ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم – سوى القرآن الكريم – من بيان لأحكام الشريعة، وتفصيل لما في الكتاب المبين وتطبيق له.[1]

و قد اتجهت همة الناس في الأندلس منذ زمن مبكر إلى دراسة الحديث وهو من العلوم الأولى التي أقبلوا عليها، وبرزوا فيها والدليل على ذلك العدد الهائل للمحدثين الذين ذكرتهم كتب التراجم.[2]

ولما حصلت الهجرة الأندلسية الى المغرب الأوسط، نقل العلماء الأندلسيون معارفهم في الحديث النبوي معهم ليبثوها للطلاب في حلقات التدريس، خاصة وقد عُرف هؤلاء النخبة بالعناية بالرواية عن الأكابر من الشيوخ من خلال تحري الأسانيد العالية والصحيحة.

يُضاف إلى ما تقدم تضلع أعلام الجالية الأندلسية في تخريج الأحاديث النبوية من أمهات الكتب،وطريقتهم الدقيقة والسهلة في بسط المعلومات على غرار ابن سيد الناس الذي كان يعقد الحلقات في بيته وفي الجامع الأعظم ببجاية مُعظم أوقاته، وكانت طريقته في الشرح

1 محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه،موفم، الجزائر، 1989 م، ص ص 3 – 34.

2 بوداعة نجادي، " علم الحديث و رواده بالأندلس خلال القرن السادس والسابع الهجري "،<u>مجلة الحضارة الإسلامية</u>، العدد 16،منشورات كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية،جمادى الثانية 1433 هـ - ماي 2012 م،ص ص 230 – 239.

والتلقين تُبهر طلابه، حتى أن الغبريني وصف شخصه وطريقته بكثيرٍ من الإعجاب البالـغ: " كان راوية، حافظا بالحديث، عارفا برجاله وبأسمائهم وبتاريخ وفاتهم ومبلغ أعمارهم،وكان يقوم على البخاري قياما حسنا، وكان إذا أقرأ الحديث يُسنده إلى أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم إذا انتهى الإسناد رجع إلى ذكر رجاله، فيبدأ من الصحابي رضي الله عنهم، فيذكر اسمه ونسبه وصفته وتاريخ ولادته ووفاته وحكايته إن عُرفت له، ثم يتلوه بالتابعي كذلك، ولا يزال يتبعهم واحدا فواحدا إلى أن ينتهي إلى شيخه، فيقول، أما فلان شيخنا فيقول: ويذكر ما ذكر فيمن تقدم، ويزيد على ذلك بأنه لقيه وقرأ عليه كذا، وسمع منه كذا، وبعد الفراغ من ذلك يذكر لغة الحديث وعربيته ويتعرض لما فيه من الفقه والخلاف العالي، ولدقائقه ورقائقه والمستفادات منه . كل ذلك بفصاحة لسان وجودة بيان ".[1]

بل إن الغبريني ذكر أن ابن سيد الناس كان يحفظ عشرة آلاف حديث بأسانيدها ويُذاكر بأضعافها، وأن من كرامات هذا العالم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فمسح على صدره بيده الشريفة، فأخبر أنه لم ينس شيئا منذ سمعه.[2]

فلم يكن بغريب إذن ! أن يتزاحم طلبة العلم على تلك الحلقات العلمية المهمة في الجوامع وأماكن الدرس .وممن كان لهم الأثر أيضا في تطوير هذا العلم الشريف من النخبة الأندلسية على غرار:

* ابن السراج الأندلسي الذي انتهى إليه العلم بالرواية والأسانيـــد وتخريج الأحاديث،حتى كان آخر الرواة بالسماع عن أكثر الأكابر من شيوخه، وعُرف عنه الزهد والصلاح كما اشتــغل بقية حياته في المغرب الأوسط بالتدريس.[3]

* أبو العباس أحمد ابن الغماز الأنصاري البلنسي (609 - 693 هـ / 1212 - 1294 م) الذي اشتغل آخر عمره بالرواية والتصحيح، و كان من نظمه في الزهد:

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 294.

2 المصدر السابق نفسه، ص ص 294 – 295.

3 المصدر السابق نفسه، ص ص 202 – 204، ابن عبد الملك ، مصدر سابق،س 1 - ق 1، ص ص 369 – 371.

هو الموت فاحذر أن يجيئك بـغتة　　وأنت على سوء من الفعل عاكفُ

وإياك أن تمضي من الدهر ساعة　　ولا لحظة إلا و قلـــــبك واجـفُ

و بادر بأعمال تسرك أن تـــرى　　إذا نشرت يوم الحساب الصحائفُ

ولا تيأسن من رحمة الله إنـــــه　　لرِب العبــاد بالعبــاد لطــائـــفُ.[1]

ب - الكتابة والخط:

لقد توسع تأثير الأندلسيين على الحياة العلمية بالمغرب الأوسط ليشمل فن الكتابة و أساليبها إلى جانب رسم الخط.

فأما من حيث طرق وأساليب الكتابة فقد أصبح النموذج الأندلسي مثالا يُحتذى به في اختيار الألفاظ واعتماد السجع والأخذ بالمحسنات البديعية، فصارت كتابات الأدباء الأندلسيين نموذجا لمعاصريهم من علماء المغرب الأوسط وغيره.

وقد أفادتنا المصادر التاريخية بوفرةٍ في المعلومات عن الكثير من الشخصيات الأندلسية التي أثرت الساحة الأدبية في المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة وهذا على غرار:

* أبو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب الغافقي الذي اختار الخروج من بلده مرسية بالأندلس والهجرة صوب المغرب الأوسط مستوطنا تلمسان و التي اتخذها مسكنا ومأوى بصفة نهائية.[2]

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 322، النباهي،مرجع سابق، ص 122 – 123، ابن مخلوف، مرجع سابــق، ص 173.

2 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 129،ابن عبد الملك س 6، ص 332، ابن الخطيب، الاحاطة، ج 2، 426، التنسي، مصدر سابق، ص ص 115 – 128ابن مريم، مرجع سابق، ص 247، بوبايــة ، مقال سابق، ص 163، حاجيات، تطور العلاقات بين تلمسان وغرناطة ، ص 41، مع وقوع الوهم من الكاتب الذي جعل تاريخ وفـاة مترجمنا في سنة 686 هـ / 1287 م، نقلا عن صاحب بغية الرواد،وهذا النقل غير صحيح لدى التحقق. بينما التاريخ الذي أورده يحي ابـن خلدون هو 636 هـ،الطمار، الروابط الثقافية بين الجـزائر والخارج، ص 210،محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري،تقديم، عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعية،الطبعة الثانية، 2010 ص 198.

كان أبو بكر هذا فقيها شاعرا ناثرا، يتوضح ذلك من خلال الأوصاف التي حلاه بها مُترجموه:

نقل ابن الخطيب وصفه فقال: " كان كاتبا بارعا شاعرا مجيدا، له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام ، وغير ذلك، مع نباهة وحُسن فهم، ذو فضل وتعقل وحسن سمت. وورد على غرناطة، واستعمل في الكتابة السلطانية مدة... ".[1]

ويؤيد هذه التحلية كلام يحي ابن خلدون الذي يقول عنه أنه: " كان من أبرع الكتاب خطا و أدبا وشعرا ومعرفة بأصول الفقه ".[2]

أما الحافظ التنسي فقال عنه: " إنه خاتمة أهل الآداب المبرز في عصره على سائر الكتاب... ".[3]

صار هذا الأديب الأندلسي قُدوة لغيره في طريقة كتابة ديباجة الرسائل، ونسج الأسلوب الخطابي خاصة وأنه جمع صفات نادرة تنم عن قوة أدبية وعلمية من مثل:

- القوة بلاغية
- مقدرة عالية على الترسيل
- إجادة نوعية في الكتابة
- حُسنُ شعرٍ.

تلك الصفات النادرة والكفاءة الكبيرة دفعت أول حكام دولة بني عبد الواد ، وهو يغمراسن لاستكتابه وجعله صاحب القلم الأعلى في البلاط .

وصدر عن الأديب الأندلسي من الرسائل في خطاب يغمراسن لخلفاء الموحدين بمراكش وتونس – أي بنو حفص - في عهود بيعاتهم ما تنوقل وحُفظ.[4]

1 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 2 ، ص 426 – 427.

2 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 129.

3 التنسي، مصدر سابق، ص 127 – 128.

4 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 106. راجع عن إنتاج أبي بكر ، ابن الخطيب، الاحاطة، ج 2، ص ص 428 – 433، العبدري، مصدر سابق، ص ص 66 - 73، أحمد عزاوي، المغرب والأندلس في القرن السابع / 13 م، دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب،جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة، 2008، ص ص 20 – 162.

* أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي الأندلسي النحوي اللغوي المتعدد الفنون (544 – 633 هـ / 1150 – 1235 م).

هاجر أبو الخطاب هذا بلده مُتوجها نحو المغرب الأوسط ودخل تلمسان واستوطن بجـايـة

بجاية مُعلما بها إلى حين.[1]

لقد كان مكوث أبي الخطاب في المغرب الأوسط مُهما، وذلك لما حصلت به الفائدة من علمه الواسع وتبحره في الأدب واللغة ، من خلال جهوده في التدريس للطلاب الذي كان ينتهي غالبا باستحقاقهم للإجازات العلمية في مختلف الفنون لاسيما الأدبية منها، هذا إلى جانب المؤلفات التي أثرى بها الساحة العملية والأدبية كرسائله الأدبية المتبادلة مع الأقران على سبيل المثال .

ويؤكد ما تقدم شهادة الغبريني الذي كان حريصا على الترجمة للأعلام الذين حلوا أو ارتحلوا أو ظهروا على المغرب الأوسط وبخاصة بجاية. فمن ذلك قوله عن أبي الخطاب أنه: " كان من أحفظ أهل زمانه باللغة، حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملا غالبا عليه، ولا يحفظ الانسان من اللغة حوشيها إلا وذلك أضعاف أضعاف محفوظه من مستعملها، وكان قصده والله أعلم، أن ينفرد بنوع يشتهر به دون غيره من الناس".[2]

كما وصف الغبريني أيضا كتاباته الراقية الأسلوب البديعة البيان بقوله:

" رأيتُ من كلامه كثيرا في رسائل و مُخاطبات، كلها مغلقات مقفلات..."، ثم أورد قصة ارسال هذا الأديب الأندلسي لخطاب قصير وقليل الكلمات، أشبه ما يكون بالرسالة السرية المُشفرة نظرا لصعوبة الكلمات التي استخدمها أبو خطاب و نصـــــها:

" الشيخ الفقيه الأديب الجَحْجَاح الهِرْماس أبو فلان جحمظ الله قعْثَبَان شفْتَرتَه هذا الغِطْرِيس في اليم أخذ رجلا لا يملك حَذْر فُوتا فيرى الزِبرقان فيخاله حُوارَى ويرى الجُعل فيحسبه زَعْبجاً

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 269 – 270، المقري، مرجع سابق، ج 2، ص 103 – 104.

2 المصدر السابق نفسه، ص 270، المقري، مرجع سابق، ج 2، ص 104.

وله قرحة أُمحشت من الحر وتعطل كبرها فأبعثْ إلى هذا العثري من يخــضدُ شوكتــه والسـلام ".[1]

كان أبو خطاب الأندلسي إذا كتب اسمه في الاجازات العلمية أو غيرها من رسائله ومُكاتباته، يكتب دَحْية و دِحْية معا تشبها بجَبْريل و جِبْريل، ويذكر ما يزيد عن ثلاث عشرة لغة المذكورة في اسم جبريل.[2]

خلف ابن دحية من بعده كُتبا كثيرة من بينها:

- التنوير في مولد السراج المنير ، وألفه في سنة 604 هـ.
- العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور
- الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
- شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم
- النبراس في أخبار خلفاء بني العباس.[3]

* أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي،الذي استفادت منه الجموع من الدارسين ومن الأقران في المغرب الأوسط، نظرا لما تمتع به من القوة والبراعة الأدبية لاسيما في الجانب الأدبي، خاصة وقد وُصف قبل هجرته نحو المغرب الأوسط بأنه عظيم الأندلس في الكتابة وفي فنون من العلوم.[4]

ولما حل ابن عميرة بالمغرب الأوسط تصدر للتعليم وتدريس مختلف العلوم، وبصفة خاصة الجانب الأدبي واللغوي الذي برع فيه مما أفاد في دفع الحركة العلمية بالمغرب الأوسط يومئذ.

1 المصدر السابق نفسه، ص 270 – 271.
2 الغبريني، مصدر سابق، ص 271 – 272.
3 المقري، مرجع سابق، ج 2، ص 104.
4 ابن سعيد، مصدر سابق، ج 2، ص 363.

ويشهد لكلامنا المُتقدم هذا ما وصفه به أقران هذا الرجل ومن ترجم له من بعدهم ممن عُني بذلك، ومن تلكم الأوصاف:

- وصف قـرينـه وزميلــه في الكتـــابـة الأدبـيـة ابن الأبار لـه " بأنه فائدة هذه المائة والــواحــد يـفـــي بــالمـائة، الـــذي اعـــتــرف بـــاتــحاده الجـمـيع واتــصف بالإبداع ".[1]

أطنب ابن الخطيب في النقولات عن فضل ابن عميرة وخصاله .ومن جُملة ذلك الكتابة التي عدها من أبرز مناقبه وأخبر أنه:

" كان يذكر في منامه،أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فناوله أقلاما، فكان يُرْوى له أن تأويل تلك الرؤيا، ما أدرك من التبريز في الكتابة، وشياع الذكر..".[2]

وقدم الغبريني لنا وصفا مُجملا ولكنه مُتكامل عن شخصية ابن عميرة ودوره في تنشيط الحركة العلمية عموما والأدبية على وجه الخصوص في المغرب الأوسط خلال القرن السابع للهجرة، ومن ذلك قوله فيه أنه : " الشيخ الفقيه المجيد المجتهد، العالم الجليل الفاضل، المتقن المتفنن، أعلم العلماء، وتاج الأدباء...فاق الناس بلاغة وأربى على من قبله، وتهادته الدول، ....وله أدب هو فيه فريد دهره، وسابق عصره...وما رأيت من الكتاب ما أعجبني مثل كتب الفقيه أبي المطرف...كتابته علمية أدبية وكتابة غيره مقتصرة على نوع من الأدب، فكتابته جامعة بين كتابة العلماء والأدباء، وكتابة غيره مقتصرة على نوع الأدباء، وهذا المعنى هو الذي تميز به عمن عداه، وسبق به من سواه".[3]

<u>أهم مؤلفاته</u>:

1 ابن الأبار، المقتضب، ص ص 197 – 202، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 1 – ق 1، ص ص 150 – 152، ابن الخطيب ، الاحاطة، ج 1،ص 174، المقري، مرجع سابق، ج 1، ص 315، يُراجع عن انتاج ابن عميرة، أحمد عزاوي، رسائل ابن عميرة الديوانية(القرن السابع الهجري)، ص ص 10 – 135.

2 ابن الخطيب ، الاحاطة، ج 1،ص 176.

3 الغبريني، مصدر سابق، ص ص 298 – 301، ابن الخطيب، الاحاطة، ج 1، ص 174.

- تعقيب على كتاب المعالم للفخر الرازي(مفقود).

- اقتضاب من تاريخ المريدين(مفقود).

- تاريخ ميورقة.

- المواعظ بالإضافة إلى مجموعة رسائله التي جُمعت من بعده على غرار(بغية المستطرف وعنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف).[1]

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن الأبار القضاعي البلنسي، وهو من أقران ابن عميرة وزملاء مهنته في الكتابة والوظائف السلطانية.

لم يُغادر ابن الأبار موطنه الأندلس إلا وقد اشتهر بقوته العلمية وبراعته الأدبية،وكان من نعمة الله تعالى و حُسن تدبيره أن هذا الأديب الأندلسي اختار دخول المغرب الأوسط والنزول ببجاية تحديدا عقب هجرته إثر سقوط بلده بلنسية بيد النصارى.
وفي بجاية تفجرت طاقات الرجل وبرزت موهبته العلمية والأدبية، فأقبل الطلبة على مجالسه ودروسه فنالوا من وراء ذلك خيرا كثيرا، واستفادوا من أسلوبه البديع في الكتابة قبل أن تحول مشاغل السياسة بينهم وبينه إلى حين.[2]

---

1 ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص ص 197 -202، ابن عبد الملك المراكشي، مصدر سابق، س 1 – ق 1، ص ص 176 – 177، ابن الخطيب، مصدر سابق،الاحاطة ، ج 1 ، ص ص 176 – 178،يُنظر عن بعض رسائله المبثوثة ، أبو محمد عبد الله بن محمــد بن أحمد التجاني،رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب،الدار العربية للكتاب،ليبيا، 1981،ص ص 90 -93، الحميري، مصدر سابق، ص ص 97 – 100، السملالي ،مرجع سابق، ج 1، ص ص 149 -178، المقري، مرجع سابـــق، ج 1، ص ص 305 - 320، ،المقري،مرجــع سابق،ج 4 ،ص ص 490 – 499، أحمد عزاوي، رسائل ابن عميرة الديوانية، الطاهر توات، مرجع سابق، ج1، ص ص 121 – 127، ابن عميرة، تاريخ ميورقة،مقدمة التحقيق، ص ص 12 – 17.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 311 ،ابن خلدون، مصدر سابق، ج 6، ص 417 – 418، ابن الأبار، الحلة السيراء، مقدمة التحقيــق، ص 39،ابن قنفذ، الوفيات، ص 324 -325 ، الهامش 1 ،حميد طريفة، مرجع سابق، ص ص 70 – 86، ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحـفة القادم،مقدمة التحقيق، ص 18 – 19، جمعة شيخة،مقال سابق، ص 119.

تلك المشاغل السياسية التي تحولت إلى مؤامرات ومشاكل عويصة، هي نفسها التي عادت مرة أخرى بابن الأبار من تونس العاصمة إلى بجاية في آخر صفر من سنة 646 هـ،و فيها قدم للأدب والتاريخ والسياسة كتابه المهم إعتاب الكتاب.

هذا الكتاب وإن كان غرض ابن الأبار الأول منه استعطاف ولي العهد ليشفع له عند الأمير للعفو عنه[1]،إلا أنه مثل في نفس الوقت موسوعة أدبية وتاريخية قيمة ودقيقة لثلة من كبار الكتاب في الشرق والغرب الإسلامي، الذين صدرت عنهم زلات غفرها لهم ملوكهم وأمراؤهم.

و اشتمل الكتاب على خمس وسبعين من التراجم القصيرة والطويلة، وظهر فيه منهج ابن الأبار بوضوح في التأريخ على طريقة التراجم، وهي الطريقة الغالبة عليه في أكثر مؤلفاته والتي صارت من الأمثلة المُتبعة في هذا النوع من الكتابة.[2]

ثم عادت مشاكل السياسة مرة أخرى بهذا الأديب الأندلسي الفذ إلى بجاية في سنة 650 هـ، ليمكث بها ما يقرب من سبع سنين كرسها للتعليم والتدريس وإفادة الطلاب وكذا المشاركة بفاعلية ونشاط كبير في تنشيط الحركة العلمية والأدبية بالمغرب الأوسط في هذه الفترة فالتف حوله جمع غفير من طلبة العلم يأخذون عنه مختلف العلوم.

كما ساهم ابن الأبار من جهة أخرى في اثراء الساحة الأدبية بمؤلفات لا تزال تُعتمد في البحوث التاريخية والأدبية والعلمية، نظرا لقوة أسلوبها وغزارة مادتها بالإضافة إلى دقتها ووضوحها.

---

1 ابن الابار، ديوان ابن الأبار، ص 138 ،و ص ص 178 – 182،و ص ص 248 – 254،و ص 268 – 269،و ص ص 271 – 274، وص 286 – 287 ،وص ص 364 - 367 ،وص ص 420 – 422 ، ابن سعيد،مصدر سابق،ج 2 ، ص ص 309 -312، ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم،مقدمة التحقيق، ص 19 ،المقري، مرجع سابق، ج 2، ص 590،حميد طريفة، مرجع سابق، 74 ، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص ص 39 – 42، ابن الأبار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص ص 13 – 15.

2 ابن الأبار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص 26.

فأنجز في هذه الفترة كتابه المهم الآخر والموسوم بالتكملة لكتاب الصلة الذي كان قد بدأه في بلاده الأندلس في سنة 631 هـ،وخصصه لتراجم علماءها مُكملا به كتاب الصلة لابن بشكوال.

وقد مثل هذا الكتاب خلال القرن السابع الهجري أهمية بالغة للدارسين والباحثين سواء من

أهل المغرب الأوسط أو من غيره ممن وفد عليه،خاصة وقد ضم الكتاب دُررا نفيسة من تاريخ وآثار أعلام الأندلس ونُخبتهم في جميع الجوانب الأدبية والعلمية والسياسية.

كما أقدم أيضا على إتمام كتابه الأدبي الآخر المُسمى بـالحُلة السيراء ،والذي كان قد بدأه أيام إقامته بتونس.

وقصد ابن الأبار من كتابه ذلك تقديم وصف جلي ودقيق للنشاط الأدبي لمشاهير الأعلام في السياسة والحرب، من رجال الأندلس وشمالي افريقية.[1]

وعلى ضوء هذا الانتاج المهم نستطيع أن نصف رحلة ابن الابار إلى بجاية بأنها كانت من أخصب فترات حياته العلمية، وهذه الاقامة هي التي أتاحت للغبريني أن يُترجم له ضمن من حل ببجاية من الأعلام ورب محنة في طياتها منحة.[2]

وكان من فضل الله تعالى على المغرب الأوسط وعلى الباحثين في كل العصور أن ابن الأبار ترك نسخا من كتبه المتقدمة الذكر في بجاية ،فنجت من الدمار و الضياع غداة مقتله وإحراق جثته وكتبه.

مؤلفـــاته:

لقد ألف ابن الأبار كتبا كثيرة – احترق أغلبها مع جثته - ،ولم يسلم لنا إلا ستة كتب تناولت ثلاثة فنـون وهي على الشـــكل الآتـــي:

الحديـــث:

- المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح.

1 ابن الأبار، اعتاب الكتاب، مقدمة التحقيق، ص 21 – 22.

2 حميد طريفة، مرجع سابق، 74 – 75، الحلة السيراء، مقدمة التحقيق، ص 43.

الأدب:

- مقتضب تحفة القادم .

التاريـــخ:

- الحلة السيراء.

- التكملة لكتاب الصلة.

- المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي.[1]

- إعتاب الكتاب.

وأما في جانب الخط الذي عده ابن خلدون صناعة شريفة، ومظهرا من مظاهر العمران والحضارة، فقد شهد هو الآخر على التأثير البارز للبصمة الأندلسية فيه، وذلك بالرسم البديع للخط الأندلسي. فغدا بذلك مثالا يُحتذى به بحيث أهمل الرسم المغربي القديم الذي عُرف بخط القيروان، وقد كان فيما مضى هو الغالب على أهل بلاد المغرب عامة.[2]

لما أقبل الخط الأندلسي عكف على تعلمه الطلبة واعتمده النساخون، وذلك نظرا لوضوحه وسهولة الكتابة به. وعرف الخط المغربي طريقه للاندثار على أرض المغرب عموما بأقطاره الثلاثة وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: " فغلب خطهم (أي الخط الأندلسي) على الخط الافريقي وعفى عليه، ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما

1 لمزيد التفصيل والفائدة عن إنتاج ابن الأبار بين المطبوع والمخطوط،راجع على التوالي: محمد أحمد،مرجع سابق، ص 325، ابن الأبار، اعتاب الكتاب، مقـدمة التحقيق،ص ص 19 -23، حميد طريفة، مرجع سابق، ص ص 89 – 101.

2 محمد المغراوي،الخط المغربي عند ابن خلدون،الذخائر،عدد خاص، الخط والمخطوط العربي،العدد التاسع، السنة الثالثة، شتاء 1422 هـ / 2002 م، ص ص 57 – 62،و راجع أيضا،عمر أفا ومحمد المغراوي، الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية،الطبعة الأولى، 1428 هـ / 2007 م،ص ص 35 – 39.

وصارت خطوط أهل افريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها لتوفر أهل الأندلس بها عند الجالية من شرق الأندلس ".[1]

ج - القراءات:

الغاية من هذا العلم هو خدمة القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى الذي نزل باللفظ العربي المُعجِز على نبيه وعبد محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب بين دفتي المصحف ،المُتعبد بتلاوته، والذي وصل إلينا بالتواتر.

غير أن الصحابة رضي الله عنهم رووا القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعدهم على طرق مختلفة في بعض الألفاظ و كيفيات الحروف في أدائها.

وتناقلت الأمة جيلا بعد جيل القرآن الكريم على الوجه المتقدم الذكر، إلى أن استقرت من تلك الطرق وأوجه القراءة سبعة معينة تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر برواياتها،فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة.[2]

ثم ما لبث العلماء أن وضعوا تأصيلا دقيقا لكل قراءة مدونين ذلك في مؤلفاتهم التي اجتمعت تحت اسم علم القراءات.

ولما هاجر الأندلسيون إلى المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري، نقلوا معهم كفاءتهم وتميزهم في القراءات نظرا لكون الأندلس كانت موطنا لكبار علماء هذا العلم.[3]

وكان من أبرز الشخصيات العلمية التي برزت على أرض المغرب الأوسط في هذا العلم :

* أبو عثمان بن سعيد بن زاهر(577 - 654 هـ / 1181 - 1256 م) وهو من أهل بلنسية ،كان شيخا مشهورا و قارئا حاذقا، عارفا إماما بالرواية والقراءات وحظ من العربية.

1 ابن خلدون، المقدمة، ص 390.

2 ابن خلدون، المقدمة، ص 407.

3 كمجاهد وأبي عمرو الداني والشاطبي وغيرهم، ابن خلدون، المقدمة، ص 407 – 408، وانظر أيضا،حسن ابراهيم حسن،تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،ج 2،دار الجيل، لبنان، الطبعة الخامسة عشر، 1422 هـ - 2001، ص 265 – 266،المرجع السابق نفسه، ج 4، ص ص 416 – 418.

استوطن المغرب الأوسط ،وتولى القضاء ببجاية والتدريس والإقراء بجامعها الجُموعَ الكثيرة إلى غاية وفاته، واشتهر بكتابه القراءات.
وصفه الغبريني بأنه:" لم يكن له عمل ولا حرفة ولا خلطة للناس سوى الاشتغال باقراء القرآن رواية وتفهيما، وبسطا وتعليما ".[1]

* أبو العباس أحمد بن محمد الصدفي الشاطبي (ت 674 هـ / 1276 م)، له رواية واسعة ومعرفة بالقراءات و عده الغبريني الأضبط والأتقن عنده.[2]

استوطن الامام أبو العباس المغرب الأوسط، وأقبل على تعـليـم الناس القرآن الكريم حتــى صار ذلك شُغله على الدوام، مع عفة عما في أيدي الناس مع عفاف ونُسك.[3]

لقد كان تفرغ هذا العالم الأندلسي ايجابيا جدا، إذ تكاثر الطلاب عليه لا سيما مع حُسن خُلقه وتواضعه وطريقة تعليمه الهادفة والدقيقة، والتي كانت تنتهي بحصول الطالب على الإجازة للإقراء رغم تشدد أبي العباس وعدم مُسامحته في شيء من أصول القراءة ومختلف وجوهها، وهو ما حرص الغبريني على تسجيله.[4]

يُضاف إلى حلقات أبي العباس العلمية في تدريس القراءات، تركه مؤلفات جليلة للمكتبة العلمية بالمغرب الأوسط ،خاصة على مذهب الإمام ورش الذي كان و ظل منتشرا في بلاد المغرب عموما مُترافقا مع المذهب المالكي، ومن تلكم الآثار العلمية:

- كتاب في (مرسوم الخط) وهو كتاب حسن كثير الفائدة
- جزء في بيــان (تمكين ورش) حروف المد واللين الثلاثة، الأف والواو والياء إذا تقدمتهن الهمزة

- جزء آخر في بيان ورش.

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 289 – 290، ابن الجزري، مصدر سابق، ج 1، ص 275، و ص 279.
2 الغبريني، مصدر سابق، ص ص 85 – 91.
3 الغبريني، مصدر سابق، ص 86.
4 المصدر السابق نفسه،ص 86.

- بالإضافة إلى تآليف أخرى في رسم الخط وفي بيان مذهب ورش في تفخيم اللام وترقيقها.[1]

* أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي (614 - 699 هـ / 1217 – 1297 م) وهو من علماء الأندلس المُتضلعين في الحديث والرواية المُتسعة.

غادر هذا الإمام الأندلسي بلاده ومسقط رأسه شاطبة والتجأ إلى المغرب الأوسط، واستقر به المُقام ببجاية ودرس و خطب بجامعها وانتفع به خلق كثير.

كما ولي أبو عبد الله القضاء قُرابة الثلاثين عاما لم يُنب عنه أحدا في منصب الخطابة طوال هذه المدة.[2]

كان الشاطبي عالما بالقراءات متقنا لها مُجيدا،بل كان أعلى الناس إسنادا بالشاطبية مع معرفة بعلم العربية.[3]
أخبر الغبريني أن أبا عبد الله الشاطبي، كان ممن كثرت القراءة عليه والرواية ببجاية. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة وكفاءة الرجل العلمية وعلى رواج سوق العلوم عموما في المغرب الأوس في هذه الفترة، والتي أنعشها توافد النخب العلمية الأندلسية.

وكان من شعر الشاطبي الحسن قوله:

جعلت كتاب ربي لي بضاعهْ فكيف أخاف فقرا أو اضاعهْ

وأعددت القناعة رأس مـالي وهل شيء أعز من القناعـــهْ

وقال أيضا :

لا يستوي شرق البلاد وغربها الشرق حاز الفضل باستحقاق

---

1 المصدر السابق نفسه،ص 86.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص ص 79 – 83.

3 شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي ابن الجزري الدمشقي الشافعي،غاية النهاية في طبقات القُراء، اعتنى به، ج . برجستراسر،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى، 2006 م،ج2، ص 137.

فانظر لحسن الشمس عند طلوعها بيضاء تسحب بردة الاشراق.[1]

لقد تحدث العبدري بإسهاب وإعجاب كبيرين عن مُترجمنا – الامام الشاطبي - في رحلته لدى مروره ببجاية، حتى عده بأنه آخر من بقي من علـماء بجاية المحافظين على السند والرواية.[2]

* أبو زكريا يحي اللقنتي الأندلسي (أواخر القرن السابع الهجري / نهاية القرن الثالث عشر الميلادي).

وهو الحافظ المحدث الذي كان عارفا بالأسانيد، هاجر بلده ودخل إلى المغرب الأوسط واستقر ببجاية و بها أقرأ وأسمع.[3]

د - الطب:

عرف ابن خلدون الطب على أنه:" صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يبن المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية ".[4]

ولقد عرف أهل الأندلس علم الطب وأوجه العلاج وأنواع الدواء والأدواء منذ الفتح الاسلامي للجزيرة، و مع مرور الوقت ونجاح حركة الترجمة وتشجيع الدول المتعاقبة، انتقل الطب دراسة وممارسة من الأندلس إلى المغرب الأوسط لا سيما في القرن السابع

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 79 – 80.

2 العبدري، مصدر سابق، ص ص 84 – 92.

3 الغبريني، مصدر سابق، ص 260 – 261،التمبكتي،مرجع سابق، ص 632 – 633.

4 ابـن خلدون، المقدمة، ص 476، و ص ص 384 – 386.

للهجرة الذي يُعد في حقيقة الأمر امتدادا طبيعيا للقرن السادس ،والذي مثل ذروة المجد والتطور الأندلسي لعلوم الطب والصيدلة.[1]

ثم عرف الطب طريقه نحو بلاد المغرب الأوسط عقب تهاوي حواضر المسلمين في الأندلس،وعجز الموحدين ومن جاء بعدهم عن رد عدوان الممالك النصرانية.

وكان من حظ المغرب الأوسط أن يدخله ضمن أفواج المهاجرين الأطباء والصيادلة،والذين

والذين صحبتهم إليه خبراتهم الطويلة ومعارفهم الكثيرة في الطب.

وسُرعان ما انفتحت الأبواب لهؤلاء المتضلعين بالطب وفروعه، فراحوا ينشرون أبحاثهم وآراءهم الفريدة بين طلبة المغرب الأوسط من أهله وممن وفد عليه.

ويمكن أن نُبرز أهم الإسهامات الأندلسية في جانب الطب في النقاط التالية:

- تدريس المفاهيم والنظريات الطبية كان يتم إلى جانب تدريس مختلف العلوم الأخرى، وذلك في ظل موسوعية النخبة الأندلسية التي لم يكن بغريب على أعلامها الاشتهار بأكثر من فن على كثرتها الكاثرة وتنوعها.

- توجه العناية من الأندلسيين في تدريس الطب الى نُبهاء طلاب المغرب الأوسط.

- الاعتماد على الممارسة وإجراء التجارب الطبية التطبيقية،مع ما يصحب ذلك من معرفة بالأدواء والأمراض وما يُلائمها من الأدوية.

- اثراء جانب التأليف في الأدوية والحشائش الطبية والأمراض المنتشرة.

---

1 راجع عن دخول الطب إلى الأندلس وعوامل ازدهاره وطرق ممارسته وأنواع الأمراض والأدوية: زرهوني نور الدين،الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف، بن نعمية عبد المجيد،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية، 1422 – 1423 هـ / 2001 – 2002 م.

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية، تراجم الشخصيات الطبية الأندلسية التي حلت وارتحلت نحو المغرب الأوسط وأسهمت بشكل فعال في تطوير هذا الجانب المهم في ازدهار الدول وسمو الحضارة فيها، ومن هؤلاء الأعلام الأندلسيين:

* – أبو الحسن علي بن موسى بن شلوط البلنسي (ت 610 هـ / 1213 م)، وهو ممن هاجر بلده واختار دخول المغرب الأوسط ، واستوطن منه تلمسان مُحترفا الطب.[1]

* – أبــو العبـــاس أحمد بن خـالـد المـالـقـي (ت نحو سنة 660 هـ / 1262 م)،وهـو مـن المُشاركين في الطب، مع معرفة وإطلاع في الحكمة و الطبيعيات والإلهيات.

دخل أبو العباس إلى المغرب الأوسط واستوطن بجاية إلى وفاتـــه ؛ وفي بجاية اتخذ من منزله دار للتدريس، وكان الغبريني من جُملة من أخذ عنه واستفاد.[2]

* – أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المرسي المعروف بابن أندراس (ت 674 هـ / 1275 م). من أهم الأطباء الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب الأوسط، اشتهر بالبراعة في تشخيص الأمراض، والتبسط في البحث فيه، مع مشاركة قيمة في العلوم الأخرى كالعربية وأصول الدين.[3]

وقد قدم الغبريني وصفا مُستفيضا لهذا الطبيب الأندلسي فقال :

" كانت له حدة ذهن وجودة فكر، تبسط لاقراء الطب والعربية...قرأتُ عليه أرجوزة ابن سينا قراءة اتقان وجودة بيان، وكان يحضر لذلك نبهاء الطلبة ويجري فيها من الأبحاث ما

1 شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير و الأعلام،تحقيق، بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م، مج 13، حوادث 601 – 630 هـ ، ص 245 ،محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الاسلامية، دار الغرب الاسلامي،بيروت،لبنان،دت، ج 1، ص 67.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 73 – 74، سعيدوني، مرجع سابق، ص 122 ،محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري،ص 197.

3 الغبـريـنـي، مصدر سابق ، ص 75،الخطابي، مرجع سابق، ج 1، ص 29.

يعجز الكتب عنه....وقرأتُ عليه جملة من كليات القانون بعد قراءة الأرجوزة، وكانت الأبحاث في كل ذلك جارية على القوانين النظرية والاستدلالات الجلية ".[1]

ولم يفُت الغبريني – بالمناسبة – أن يُقدم لنا وصفا عاما عن حالة الطب والأطباء في زمانه بين الأغبياء وبين الحُذاق كأبي القاسم الموصوف بالبراعة والتفوق على أقرانه بقوله:

" كان رحمه الله إذا سُئل عن المسألة الطبية كثيرا ما يتوقف عن الجواب إلا بعد نظر، ورأيتُ غيره من الأطباء ممن يقصر عن معرفته إذا سُئل ساعة ما يُسأل يُجيب، وربما اعتقد هذا المُسرع في الجواب أو غيره من الأغبياء أن سرعة المُسرع هي لمعرفته وأن ابطاء المبطئ هو لتقصيره، وهذا هو اعتقاد الأغبياء في أمثال هذا، وإنما الابطاء في الجواب دليل العلم لأنه بين السائلُ للطبيب الغرض العارض للعليل، ولا بد أن يقع له النظر في الأسباب وتمييزها والحدس على السبب الفاعل إن تعارضت وينظر أنسب الأدوية، وحينئذ يقع الجواب، وهكذا هو حال حُذاق الأطباء ".[2]

لقد خلف هذا الطبيب الأندلسي رجزا نظم فيه بعض الأدوية واستكمله أثناء مُقامه ببجاية، وهي التي وفرت له جميع ظروف العمل والإبداع المُتميز، إذ أن جبلها أمسيول الواقع شماليها كانت تنبت في أكنافه جُمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل البرباريس والقنطوريون والراوند والاسفيوس وغير ذلك من الحشائش.[3]

كما قام أبو القاسم إلى جانب ما تقدم بنظم الأدوية المفردة من القانون وكلف تلميذه الغبريني بمعاونته في ذلك.[4]

* – أحمد بن محمد الجذامي (ت 650 هـ / 1252 م) وهو من أهل قرطبة، استوطن سبتة وأقام بإشبيلية قبل سقوطها في يد النصارى.[1]

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 75 – 76، ابن عبد الملك، مصدر سابق، س 6، ص 64.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 76.

3 الحميري، مصدر سابق، ص 80 – 81.

3 الغبريني، مصدر سابق، ص 76.

اشتهر أحمد بمهارته الفائقة في الطب إلى جانب معرفة واسعة بالحديث مع ضبط وإتقان

ومشاركة في الأدب، ودخل إلى المغرب الأوسط مُستوطنا بجوار الدولة الزيانية فاستفاد الناس من خبرته ومهارته العالية في الطب من خلال ممارسته إياه وتدريسه للطلاب.[2]

فبفضل الله تعالى ثم بفضل هؤلاء العُلماء الأندلسيين الأفذاذ، أصبحت بلاد المغرب الأوسط مركز اشعاعٍ علميٍ بحق،وصارت مقصدا للدارسين والمُدرسين على حد السواء.

لقد كان لهجرات الأندلسيين – لا سيما النخبة منهم – أعظم الأثر على بلاد المغرب الأوسط من خلال انتشار العلوم المتنوعة، و التي عرفت بدورها الطريق نحو المشرق والمغرب انطلاقا من بجاية وتلمسان على وجه الخصوص. وما أكثر الأندلسيين الذين وصلوا إلى مصر والحجاز والشام وغيرها ليحظوا هناك بالمراتب العالية، وقد كان أكثر انطلاقهم وانبعاث رحلاتهم من سواحل المغرب الأوسط.

وكان لهذه الحيوية العلمية الأندلسية و بيئة المغرب الأوسط المُهيئة للاستقبال والتلقي، أعظم الأثر على ازدهار الحياة الثقافية والفكرية في هذا الاقليم المترامي الأطراف خلال القرن السابع الهجري، بل وسيمتد ذلك الاشعاع إلى القرن الثامن الهجري.

<u>2 - التعليم:</u>

لقد امتد تأثير الأندلسيين ليشمل مختلف مناحي الحياة ومجالات العلوم في المغرب الأوسط.

لقد هاجر الأندلسيون بقلوب كسيرة ودموع غزيرة على وطنهم الذي تقاسمت أشلاءه الممالك النصرانية وصغار أمراء المسلمين، ولم يعد من بد أمام هؤلاء المهاجرين ليبحثوا عن وطن آخر آمن وجديد وليفتحوا مجددا صفحة منيرة مع الحضارة والرُقي.

---

1 الخطابي، مرجع سابق، ج 1، 29.

2 ابن الأبار، التكملة، ص 158،فرح سعد،الحياة الثقافية في الدولة الزيانية على عهد يغمراسن سنة 633 هـ - 681 هـ / 1231 م – 1280 م، اشراف، دحو فغرور، بمساعدة، سلطاني الجيلالي، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية،قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2001 – 2002، ص 99.

و حيث أن التعليم يُمثل حجر الزاوية في دفع الحركة العلمية وتوسع رقعتها وتعميقها، وترقية المجتمع حضاريا [1] ؛فقد أولى الأندلسيون هذا الميدان عناية فائقة في ظل دعم السلطة السياسية الحاكمة آنذاك.

وعرف ابن خلدون التعليم بأنه:

" الحصول على الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه.ويكون ذلك بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئ العلم وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، ومالم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا.[2]

ولقد كان برنامج التعليم في بلاد المغرب الاسلامي على وجه العموم – قبل أن يحط الأندلسيون رحالهم به - يتميز بتقسيم المواد الموجهة للطلبة والتلاميذ إلى قسمين:

- القسم الأول:

المواد الاجبارية التي لا غنى للطالب عن تعلمها وإتقانها ،وهي التي لها علاقة مباشرة بالقرآن الكريم وذلك من ناحية

- الحفظ

- إعرابه وإتقان الهجاء

إتقان معاني الآيات الكريمة

- القراءة الحسنة و المُنضبطة البعيدة عن التغني والتلحين،والأنسب أن تكون القراءة على حرف نافع.[3]

---

1 فيلالي، مرجع سابق، ج 2، ص 338.

2 ابن خلدون، المقدمة، ص 401.

3 راجع الحكم الشرعي في مسألة القراءة بالألحان، ابن خلدون، المقدمة، ص 396.

- الرسم والشكل الصحيح للنص القرآني.[1]

- القسم الثاني:

وهي المواد الاختيارية التي لا يقوم المعلم بإجبار الطالب على تعلمها، مالم يحصل الاتفاق مُسبقا عليها مع ولي الطالب،ومن ذلك على سبيل المثال:

- الحساب الذي يُعد من العلوم الأصولية الضرورية شرعا

- الشعر العفيف الخالي مما هو مُستهجن مُستقبح،ذلك أن الشعر ديوان العرب ومُعجم لغتهم الكبير

- أخبار العرب و أنسابهم و أيامهم، وهو التاريخ المكمل للأدب

- النحو والغريب والعربية

- الخط الحسن.[2]

وكانت الطريقة المُتبعة في بلاد المغرب للتعليم قبل دخول الأندلسيين تقوم أساسا على الإلقاء المحظ ، واستظهار النصوص عن ظهر قلب والتركيز على تعليم علوم القدامى كما تداولتها الأجيال.[3]

و لعل من أبرز عُيوب هذه الطريقة انكار الجدل والتفكير والمناقشة،فالطلبة المتعلمون مجتمعون سكوت لا ينطقون.

واستطاع الأندلسيون عقب هجرتهم أن يُغيروا طريقة التعليم التقليدية. وعوضا عنها تــم - في نُقلة نوعية – إحلال الطريقة الأندلسية محل نظيرتها المغربية التقليدية، في ايصال

---

1 محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين،مراجعة وتعليق، محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس،1392 / 1972، ص 42 – 43.

2 سحنون ،مصدر سابق ، ص 44.

3 جمعة شيخة، مرجع سابق، ص 24.

المعلومة إلى المتلقي تقوم أساسا على إطلاق المجال للعقل في التفكير والتعليل وتحليل الآراء ودراستها ومناقشتها.[1]

وقد عرف ابن خلدون الطريقتين ثم عقد مُقارنة بينهما ،أبدى فيها انتصاره لطريقة الأندلسيين مُبرزا ايجابياتها. بينما انتقد طريقة المغاربة مُوضحا سلبياتها وجنايتها على التعليم.

فأما بخصوص الطريقة المغربية التقليدية فيقول:

" فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه. لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة.

وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم إلى

أن يُجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم ".[2]

ثم عدد ابن خلدون سلبيات هذه الطريقة ، مبينا أن الاقتصار على القرآن الكريم في التعليم فقط حرم أهل المغرب من حصول ملكة اللسان الفصيح " ذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لا أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها، وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام...".[3]

في حين أن الطريقة الجديدة التي هي مذهب أهل الأندلس فتقوم على :

---

1 الغبريني، مصدر سابق، ص 293 – 294.

2 ابن خلدون، المقدمة، ص 539.

3 المصدر السابق نفسه ، ص 540.

" تعليم القرآن والكتاب من حيث هو. وهذا هو الذي يُراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك و أسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل و أخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب.ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر و البصر بهما. وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة.. ".[1]

وكان لهذه الطريقة الأندلسية ايجابياتها في الجُملة على المتعلمين، وذلك بحصول ملكة اللسان العربي " فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل وممارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي.....فكانوا لذلك أهل خط و أدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ".[2]

ولما هاجر الأندلسيون من موطنهم إلى المغرب على وجه العموم بما في ذلك بلاد المغرب الأوسط، انتقلت معهم طريقتهم المتقدمة الذكر في التعليم، فصار المغاربة يُقلدون طريقة التعليم الأندلسية، فيخلطون " في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك ".[3]

---

1 المصدر السابق نفسه، ص 540.

2 ابن خلدون، المقدمة، ص 540 – 541.

3 المصدر السابق نفسه، ص 540، فيلالي، مرجع سابق، ج 2، ص 338، اسماعيل سامعي،" حركة التعليم في المغرب الإسلامي إبان القرنين 3 و 4 هـ / 10 – 11 م "،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة،العدد الأول، محرم 1423 / أفريل 2002، ص ص 91 – 112.

3 - التصوف:

لقد أثرى الأندلسيون ميدان التصوف في المغرب الأوسط خلال القرن السابع للهجرة، ولعل أوثق دليل على ذلك ما حفظته المصادر التي تولت تقديم التراجم المطولة للشخصيات الأندلسية الصوفية الوافدة.هذه المصادر هي نفسها التي حفظت أيضا آثار هؤلاء الأندلسيين و أدوارهم في تنظير التصوف وتطويره.

هذا الدور الذي ستظهر نتائجه وتستمر إلى ما بعد فترة الدراسة.

و يحسن بنا إجمال الحديث قليلا عن التصوف، قبل أن نُبرز الدور الأندلسي فيه فــأقــول:

إن مفهوم التصوف اللغوي والاصطلاحي يظل من الأمور الغامضة نظرا لصعوبة الاشتقاق اللغوي،وتعدد التعريفات والمفاهيم .

كما ترجع الصعوبة أيضا إلى تداول لفظة التصوف بين الديانات المختلفة والحضارات الانسانية على مر العصور.

كما أن التصوف لم يرد في اللغة العربية ولا يوجد له أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يُجمع الباحثون على تعريف شامل رغم تعدد محاولاتهم والتي لم تخرج على كثرتها وتنوعها عن احتمالات فقط.[1]

1 لمزيد التفصيل يُراجع،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين،تحقيق، بدوي طبانة،مكتبة ومطبعة، كرياطه فوترا،أندونيسيا، ج 1 ، مقدمة التحقيق، ص ص 1 – 20،ابن خلدون، المقدمة، ص 449 ،أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن محمد ابن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل،تحقيق، محمد مطيع الحافظ،الطبعة الأولى، 1417 هـ = 1996 م،ص ص 37 - 74 ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، تلبيس ابليس، تحقيق، خالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا،القاهرة،الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م،ص ص 180 – 182،عبد الحكيم عبد الغني قاسم،المذاهب الصوفية ومدارسها،مكتبة مدبولي، القاهرة،الطبعة الثانية، 1999، ص ص 21 - 25، الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 الميلاديين،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة،2004، ص 34 – 35= ،الهامش، أبو عبد العزيز إدريس محمود إدريس،مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية،مكتبة الرُشد،الرياض،الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م، مج 1،ص ص 25 – 29، الحسني، مرجع سابق، ص 8 – 9، أحمد عبيدلي،الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين، دراسة موضوعاتية فنية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب = المغربي

ويُعد التصوف من العلوم الشرعية الحادثة المُستجدة في الإسلام، ويعود أصل ذلك" أن طريقة هؤلاء القوم، لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية و أصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف".[1]

لقد ظهرت بذور التصوف في سماء الفكر الاسلامي في بداية القرن الثاني الهجري على هيئة نزعات شديدة من الزهد في متاع وزخرف الدنيا نتيجة لما وقع فيه العالم الاسلامي وقتئذ من حوادث شديدة اثرت تأثيرا كبيرا في جميع جوانب الحياة.

وإن كان بعض الباحثين يُرجع ظهور التصوف إلى عاملين:

العامل الأولى:

الذنوب التي يقترفها العاصي المسلم ومحاولته محوها بطلب المغفرة من ربه.

العامل الثاني:

يتمثل في الرعب الشديد الذي ينتاب العصاة من اليوم الآخر وما أعد فيه من عذاب شديد لهم مما يجعلهم يطلبون التوبة من خالقهم والزهد في الحياة.[2]

ولما هاجر الأندلسيون إلى المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري، وجدوا بيئة متشبعة بالتصوف الذي دخل باكرا إليها. [3]

القديم،إشراف، محمد الأخضر الزاوي، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية،1425 – 1426 هـ / 2004 – 2005 م ، المقدمة

1 ابــن خلدون، المقدمة، ص 449.

2 عبد الحكيم ، مرجع سابق،ص 21، بونابي، مرجع سابق، ص ص 36- 38،عبيدلي، مرجع سابق، ص 38.

3 راجع ظروف وعوامل ظهور التصوف بالمغرب الأوسط بونابي، مرجع سابق، ص ص 45 – 101.

ولم يكن بغريب على أهل هذه البلاد أن يقبلوا البصمة الأندلسية، والتي مست أنواع التصوف لا سيما :

التصوف الفلسفي:

نشأ هذا النوع من التصوف بسبب الاهتمام الذي أظهره الصوفية بعلوم المكاشفات، وذلك سعيا وراء معرفة الله واكتساب علومه، والوقوف على حكمته وأسراره مع الاطلاع على حقائق الموجودات.

وقد ظهرت مجموعة نظريات صوفية فلسفية متباينة في الكيفية متحدة في الهدف منذ القرن الثالث للهجرة [1] ؛وليس غرض بحثنا تتبع تطور مختلف نظريات هذا النوع من التصوف، إنما غرضنا الوقوف على أثر الأندلسيين فيه، والذي ظهر وتجلى بوضوح خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وتتوج بإنشاء مدارس صوفية أندلسية على أرض المغرب الأوسط.

لقد اعتنى الأندلسيون بعلوم المكاشفة، فجعلوها علوما اصطلاحية بينهم، ورتبوا بالتالي الموجودات على ما انكشف لهم " فأصبح علم التصوف عندهم يختص في البحث عن طريق العلوم المصطلح عليها المؤدية إلى كشف أسرار الملكوت وحكمته، وإظهار حقائق الموجودات عن طريق العقل، فإذا عجزوا أو طولبوا بالبرهنة عليها لجأوا إلى الوجدان أي المجاهدة النفسية ".[2]

لقد كان توجه أصحاب هذا النوع من التصوف توجها فلسفيا محضا، و ظهر أثر الأندلسيين فيه بوضوح على أرض المغرب الأوسط لا سيما في:

- الاتجاه القائل بالوحدة المطلقة:

ويتلخص معنى هذا الاتجاه:

1 ابـن خلدون، شفاء السائل، ص 50، المقدمة، 296، بونابي، مرجع سابق، ص 41.

2 ابـن خلدون، شفاء السائل، ص 50 – 51.

أن الله هو مجموع ما ظهر وما بطن ولا شيء سوى ذلك، وكل ما تراه في الوجود ما هو إلا أوهام يعتقدها الضمير، والإنسان مؤلف من حق وباطل، فإذا سقط البـــاطـــــل المتسبب الوحيد في هذه الأوهام بأنواع المجاهدات، لم يبق سوى الحق الذي يحل في ذات الإنسان.[1]

هذا الاتجاه ظهر في المغرب الأوسط خلال القرن السابع الهجري على يد الأندلسيين الوافدين ممثلا في **مدرستين وطريقتين**:

1 – الشوذية:

وتنسب إلى أبي عبد الله الشوذي الحلوي، والذي هاجر من الأندلس إلى تلمسان واستوطنها إلى غاية مماته (أواخر القرن 7 هـ / 13 م).

وبحاضرة بني عبد الواد انطلق الحلوي ممارسا مذهبه في الوحدة المطلقة، التي أشار إليها بقوله في بعض الأبيات:

إذا نطق الوجود أصاخ قـومٌ بـــأذان إلى نُطق الوجـــود

وذاك النطق ليس به انعجـام ولكن دق عن فهم البـــليد

فكن فطنا تُنادى من قريـــب ولا تكُ من يُنادى من بعيد.[2]

ومعنى الأبيات:

أن الله إذا ما صار للعبد سمعا وبصرا، يسمع به ويُبصر به، أصاخ إلى الأحوال ووصل إلى المعاني، فيصير مبصرا من غير مبصر ويسمع من غير ناطق.[3]

1 المصدر السابق نفسه،ص ص 111 – 121.

2 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 128.

3 بونابي، مرجع سابق، ص 147.

وبسبب الخوف من السلطة الحاكمة يومها، فإن الحلوي لم يجرؤ على الافصاح جهارا بمذهبه، بل راح يتستر في زي المجانين ،وبمظهر بائع الحلوى الذي يرقص في الأسواق على ألحان الأطفال ويركب قصبة عند الانصراف.

ورغم هذا التستر إلا أن أثر الحلوي ظهر على سلوكات تلاميذه الذين أخذوا عنه فاستفادوا:

* الزهد في كل شيء

* إثارة الخمول

* اعتماد التمثيل والتشبيه

* اللجوء إلى النوادر لتقريب الفهم إلى الحاضرين، ومؤانستهم وإطلاعهم على كراماتهم [1] ثم حمل لواء هذه العقيدة تلميذ الحلوي الوفي، أعني ابن دهاق، واجتهد في نشرها بين الناس، وانتقلت إلى بجاية على يد أبي عثمان سعيد بن عبد الله المعروف بالجمل ، والذي لقنها إلى طلبته.[2]

وعرفت الشوذية انتشارا واسعا على أرض المغرب الأوسط، ومنه انتقلت إلى افريقية.[3]

<u>2 – السبعينية:</u>

و تنسب إلى أبي محمد عبد الحق بن ابراهيم المعروف بابن سبعين (ت 669 هـ / 1270 م)، وهو الذي دخل إلى بجاية بأتباعه وبمؤلفاته التي استعمل فيها الألغاز والرموز، إلى جانب تضلعه في علم أسرار الحروف ؛وكان من أبرز تلاميذ ابن سبعين هذا، تلميذه الوفي الششتري الذي صرح جهارا بمذهبه في الوحدة المطلقة، ويُذكر أنه سمع مُجودا للقرآن الكريم يقرأ قول الله تعالى:

---

1 ابن الخطيب، الاحاطة، ج 1، ص 325 – 326.

2 الغبريني، مصدر سابق، ص 225.

3 يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص 128.

﴿ **إنــيَ أنــاْ الله لا إلـــه إلا أنـــا فـــاعــبــدنـــي** ﴾.[1]

فأنشد قائلا:

أنظر للفظ أنا يا مغرما فـــيه   من حيث نظرتنا لعل تدريه

خل ادخارك لا تفخر بعارية   لا يستعير فقيرٌ من مواليـــه

جسوم أحرفه للسر حامـــلة   إن شئت تعرفه جرد معانيه.[2]

وفي خضم هذا النشاط الصوفي الأندلسي شهدت بجاية عكوف الطلبة على حلقتين؛ أولاهما لابن سبعين الشيخ، وثانيهما للششتري التلميذ نظرا لحسن طريقته في التعليم.

ولما رحل الشيخ – ابن سبعين – إلى المشرق، ظلت مؤلفاته محل اهتمام البجائيين طيلة النصف الثاني من القرن السابع الهجري، من ذلك أن الغبريني إلتقى بصوفية بسطوا له رموز وإشاراتِ ابن سبعين في الوحدة الطلقة مما يؤكد استمرار السبعينية في بجـــاية إلى نهاية القرن السابع الهجري.[3]

وهكذا نرى أن اللمسة الأندلسية عرفت طريقها إلى أهم ميادين الثقافة والحضارة والعلم بين تطوير مناهج التعليم وتنشيط الحركة العلمية وبين تأصيل جديد ومعقد للتصوف.

---

1 سورة طه: الآية 14.

2 الغبريني،مصدر سابق، ص 24

3 الغبريني، مصدر سابق، ص 238 – 239، بونابي، مرجع سابق، ص 154،عبيدلي، مرجع سابق، ص ص 79 – 82، وللمزيد حول موضوع التصوف وبصمة الأندلسيين فيه، يُراجع: العربي عبد القادر، التجربة الصوفية الجزائرية بين الزمن والمتزمن، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد 13، 2012، ص ص 70 – 84، غريش صادق،قراءة في مخطوط" استغفار أبي مدين "، المجلة الجزائرية للمخطوطات،مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران، الجزائر، ع 9،2012، ص ص 101 – 119.

الخاتمة:

لقد كانت الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط خلال القرن السابع للهجرة (13 م) ظاهرة مميزة بمختلف الأشكال التي اتخذتها، نظرا لأهميتها في ميادين الحضارة المتعددة لا سيما الثقافية والعلمية منها في فترة الدراسة، والتي تُعد من أخصب وأزهى الفترات التي مر بها المغرب الأوسط.

ورغم أهمية الموضوع إلا أن الاهتمام به لم يلق ولم يرق إلى العناية الكافية من الباحثين والهيئات المسؤولة، اللهم إلا من كلمات متناثرة في مقالات قليلة أو حفلات غنائية ذات طابع أندلسي أو تظاهرات مؤقتة وغير مؤصلة علميا .

وأحسب أن بحثي هذا قد أزاح بعض الغموض والغبار بل والنسيان الذي علا تاريخ المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة.

وأود في ختام هذه الدراسة تسجيل ما أمكن من النتائج والتوصيات والملاحظات المهمة التي وصلتُ إليها على شكل نقاط:

- إن تفريط المسلمين في حماية ثم استرجاع طليطلة وسرقسطة، أدى إلى إنكشاف الحواضر الإسلامية الباقية ثم سقوطها المتتالي في النهاية – رغم صمودها نحو قرنين من الزمان - في ظل تنامي قوة النصارى وتناحر المسلمين.

- شكلت هزيمة العقاب نقطة تحول نهائية وأخيرة في الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس، بحيث مالت كفة القوة إلى جانب النصارى وتحطمت هيبة الموحدين والمسلمين عموما في ظل الخسائر المهولة في العدة والعتاد.

- أدى الوضع السياسي الهش في الأندلس والمغرب في ظل خلافة الموحدين المترنحة، إلى ظهور حرب زعامات جديدة على أرض الجزيرة مُطابقة لفترة حكام الطوائف الضِعاف، ولو أن زعماء الأندلس اتحدوا قديما وحديثا لتغير الوضع ولما اضطر المسلمون لتقديم الدنية في دينهم – أعني دفع الجزية للنصارى – وخيانة مبادئ دينهم الحنيف التي تحرم

معاونة الكافر على المسلم.

- انهيار سلم القيم الأخلاقية والدينية لخلفاء ما بعد هزيمة العقاب فمن ثائر ومن مُرتد ومن قاتل ثم مقتول ومن متودد متذلل للنصارى.

- النشاط الكبير للممالك النصرانية واتفاق كلمتهم عند مواجهة المسلمين، هذا مع ما كان بين الممالك من نزاع وشقاق وخلاف سياسي وديني عميق. في الوقت الذي كان المسلمون قادرين على الإجتماع تحت كلمة التوحيد وراية الجهاد الواحدة.

- هجومات الممالك النصرانية كانت مركزة و موجهة لجميع أنحاء وأرجاء الأندلس في ظل ملوكها الذين اتصفوا بالحكمة والحنكة وطول بقائهم في الحكم وهو ما يعكس استقرار الوضع السياسي وتوابعه.

- كانت مملكتا قشتالة وأراغون أشد الممالك النصرانية تصميما على احتلال أراضي المسلمين وقتلهم أو تدجينهم أو طردهم. وهذا في ظل معاونة أوربا عموما والكنيسة على وجه الخصوص من خلال إعلان الحملات الصليبية.

- كانت أولى الرزايا في الأراضي الإسلامية بالأندلس، ناحية الشرق لضعف الناصر فيها والمنافح عنها، فسقطت جزر البليار ودخلها النصارى على التوالي على جُثث المسلمين وأعراضهم وقبورهم ومساجدهم التي حُولت سريعا جدا إلى كنائس.

- شجاعة أهالي الحواضر والمدن الاسلامية، وتشبثهم بالصبر والمقاومة والجهاد ضد الحصار والتجويع إلى آخر لحظة، فإما قتل أو إما أسر وإما استسلام في ظل خذلان الحكام والأمراء لهم.

- الدور البارز والعظيم الذي أداه العلماء والفُقهاء في الجهاد ضد النصارى، وحماية أراضي المسلمين والدفاع عنها إلى آخر رمق، رغم الخطط والسياسات الفاشلة من حكام المسلمين والتي كان من نتائجها الوخيمة سوق هؤلاء النخبة الممتازة إلى القتل في ساحات المعارك والوغى كالنعاج غير مأسوف عليهم.

- لم تكن مملكتا بني حفص وبني عبد الواد اللتان اقتسمتا إرث الدولة الموحدية على أرض المغرب الأوسط، بالقوة المرجوة والممكنة للمحافظة على بلاد الأندلس أو إنجادها، فعمدتا إلى تشجيع الهجرة الأندلسية إلى أراضيهما، من خلال قرارات سياسية حاسمة وجريئة ، وذلك في خِضم منافسة محمومة للاستفادة من خبرات الوافدين وحنكتهم وما حملوه معهم من أساليب الحضارة والعلوم والأدب.

- شجعت المقومات الطبيعية للمغرب الأوسط من قرب المسافة مع العدوة الأندلسية، بالإضافة إلى تشابه المناخ على اختيار الأندلسيين الهجرة إليه واتخاذه مقرا أو مستقرا.

- استقرار الأندلسيين في المغرب الأوسط ارتبط بالحواضر الكبرى فيه التي احتضنت كراسي الملك غلى غرار بجاية الحفصية وتلمسان العبد وادية.

- ساهمت عقلية المجتمع في المغرب الأوسط المجبولة على حب الوافد الغريب على حساب المحلي، على ازدهار مكانة العنصر الأندلسي على حساب نظيره المغربي.

- اتخذت الهجرة الأندلسية مظهرين أساسيين هما : البيوتات والأفراد.

- ساهم الأندلسيون بشكل لافت في دفع عجلة العلوم والآداب وتنشيط حركة التأليف في المغرب الأوسط.

- استطاع الأندلسيون تطوير التعليم بتطوير أساليبه ونُظمه، تلك التي عبرت معهم البحر إلى المغرب الأوسط.

- تخرج على يد الأعلام الأندلسيين علماء أجلاء في المغرب الأوسط على غرار المقري والأخوين ابن خلدون . هؤلاء العلماء الذين استطاعوا رفع لواء العلم والمحافظة على الثقافة العربية الاسلامية ردحا من الزمان.

- ساهم الأندلسيون خلال القرن السادس والسابع الهجري بصورة كبيرة في تطوير التصوف، وبرزوا في قسميه التصوف السني والفلسفي، وتترجمت هذه الريادة بتأسيس طرق صوفية جديدة لم يقتصر إنتشارها على المغرب الأوسط، وإنما عرفت شيوعـــا كبيرا

في كامل أنحاء العالم الإسلامي مُستمرة إلى اليوم.

وأختم بالقول أن الحديث عن مكانة المغرب الأوسط في التاريخ، ودور العنصر الأندلسي المهاجر إليه لا زال بحاجة إلى مزيد بحث وتنقيب خاصة في مجال المخطوطات التي قد نقع عليها ونسد بها جانبا مهما و مجهولا و مُظلما ومُهملا.

وأسأل الله تعالى في ختام هذه الدراسة أن يجعلها في ميزان الحسنات، وأن ينفع بها الباحثين والدارسين والمهتمين بهذا الموضوع.

ثبت المصادر والمراجع

◊ القرآن الكريم. برواية ورش

أ – المصادر

1. ابن الأبار. محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658 هـ)

- التكملة لكتاب الصلة، تعليق، ابن أبي شنب و ألفريد بل، المطبعة الشرقية، الجزائر، 1337 هـ - 1919 م.

- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، الطبعة الثانية – 1985، ج 1 ، ج 2.

- المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق،ابراهيم الأبياري،دار الكتاب المصري،القاهرة،الطبعة الثالثة، 1410 هـ - 1989 م.

- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي أبي علي حسين بن أحمد، تحقيق إبراهيم الأبياري.

- ديوان ابن الأبار،قراءة وتعليق، عبد السلام هراس،وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، 1420 هـ - 1999 م.

- إعتاب الكتاب، تحقيق،صالح الأشتر،الطبعة الأولى، 1380هـ -1961م مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

2. ابن أبي زرع. علي الفاسي (حيا 729 هـ)

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، 1972.

- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، 1972، دار المنصور.

3. ابن أبي أصيبعة.موفق الدين أبو العباس أحمد

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتعليق، نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

4. ابن بطوطة.محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت 779 هـ)

- تـحـفة النُظار في غرائب المصار وعجائب الأسفار، تحقيق، محمد عبد الرحيم،دار الفكر،الطبعة الأولى، 1430 هـ / 2009 م.

5. التـادلي. يوسف بن يحي المعروف بابن الزيات (ت 617 هـ)

- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي،تحقيق، أحمد توفيق،كلية الآداب، الربـاط،الطبعة الثانية، 1997.

6. التجاني. أبو محمد عبد الله بن محمد التونسي (حيا 717 هـ)

- رحـلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب،الدار العربية للكتاب،ليبيا، 1981.

7. التنبكتي. أحمد بابا السوداني (ت 1036 هـ)

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ج 1، ج 2.

8. التنسي. محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التلمساني (ت 899 هـ)

- تـاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق، محمود بوعياد،المؤسسة الوطنية للكتـاب، الجزائر، 1405 – 1985.

9. ابن الجزري. شمس الدين محمد بن محمد (ت 833 هـ)

- غـايــة النــهايـة في طبقات القراء،تحقيق، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، 2006 م – 1427 هـ، ج1، ج 2.

10. الحميري. محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (القرن 8 هـ).

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس،مكتبة لبنان، الطبعة الثانية 1984.

11. ابن الخطيب. لسان الدين السلماني الغرناطي (ت 776 هـ)

- الاحاطة في أخبار غرناطة،تحقيق،محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،القاهرة، الطبعة الثانية، 1393 هـ - 1973 م، مج 1، مج 2، مج 3.
- الحلـل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، صححه السيد البشير الفورتي، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم، تونس.
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية،تصحيح، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347.

12. ابن خلدون. أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 808 هـ)
- التعريف بابـن خلدون ورحلته غربا وشرقا، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط 1، دار الكتب العلمـية، بيروت، 1425 – 2004. (طُبع باسم: رحلة ابن خلدون)
- تـاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421 هـ- 2000م، ج 4، ج 6، ج 7.
- الـمـقدمــة، دار الفكر، بيروت، 1422 – 2002.
- شفاء السائل وتهذيب المسائل،تحقيق، محمد مطيع الحافظ،الطبعة الأولى، 1417 هـ = 1996 م.

13. ابن خلدون. ابو زكريا يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 780 هـ)
- بُـغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق، عبد الحميد حاجيات،المكتبة الوطنية، الجزائر،1400 – 1980، ج 1.

14. ابن خلكان.أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
- وفـيات الأعيـان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق،إحسان عباس،دار صادر، بيروت،1969، مج 2، مج 3.

15. الذهبي. شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748 هـ)
- تـذكرة الحفاظ ،ج4.

- المستملح من كتاب التكملة،تحقيق، بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي، تونس،الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير و الأعلام،تحقيق، بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي،الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م، مج 13، حوادث 601 – 630 هـ.

16. بن سحنون. محمد

- كتاب آداب المعلمين،مراجعة وتعليق، محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس،1392 / 1972.

17. الزركشي. محمد بن إبراهيم (ق 9 هـ).

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق،محمد ماضور،المكتبة العتيقة، 1966

18. ابن سعيد. ابو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ت 685 هـ).

- المُغرب في حُلى المغرب، تحقيق، شوقي ضيف،دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1953م - 1955، ج 1،ج 2.

19. السيوطي. جلال الدين عبد الرحمان بن محمد (ت 911 هـ)

- بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر،الطبعة الثانية، 1399 هـ - 1979 م،ج 1، ج 2.

20. ابن سهل .ابراهيم

- ديــوان ابن سهل الأندلسي، دراسة وتحقيق، يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002 م – 1424 هـ.

21. الششتري .أبو الحسن

- ديــوان أبــي الــحـــن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب، تحقيق،علي سامي النشار،المعارف، اسكندرية، الطبعة الأولى،1960.

22. الصفدي. صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764 هـ)

- الـوافي بالوفيات، تحقيق،أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى،دار إحياء التراث العربي، بيروت،الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ج 3، ج 7.

23. ابن عبد البر.أبــو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي النمري

- الاستيعــاب في معرفـة الأصحاب،تحقيق،عادل مرشد، دار الأعلام،الأردن، الطبعة الأولى، 1423 هـ / 2002 م،ج 1.

24. ابن عبد الملك المراكشي. أبو عبد الله محمد الأوسي (ت 703 هـ).

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:

* السفر الأول: تحقيق، محمد بن شريفة،القسم الأول، دار الثقافة،بيروت.

* بقية السفر الرابع والسفر الخامس: تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1964.

* السفر السادس، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة- بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1973.

* السفر الثامن: تحقيق، محمد بن شريفة، القسم الأول،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984.

25. العبدري.أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود

- رحـــلـــة العبدري، تحقيق،علي ابراهيم الكردي،دار سعد الدين، للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م.

26. ابن عذارى المراكشي (بعد 712 هـ)

- البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب- قسم الموحدين-، تحقيق مجموعة من الأساتذة دار الغرب الاسلامي- بيروت- لبنان، الطبعة الاولى 1406- 1985.

27. ابن عساكر. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571 هـ)

- تــاريخ مدينة دمشق،تحقيق، محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي،دار الفكر،ج 62.

28. ابن العماد. أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت 1089 هـ)

- شــذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق، محمود الأرناؤوط،دار ابن كثير، دمشق،الطبـعة الأولى، 1412 هـ -1991 م، مج 6،مج 7.

29. الغبريني. أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي (ت 704 هـ)
- عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، الطبعة الثانية، أبريل، 1979.
30. الغزالي .أبو حامد محمد بن محمد
- إحياء علوم الدين،تحقيق، بدوي طبانة،مكتبة ومطبعة، كرياطه فوترا،أندونيسيا، ج 1
31. ابن القاضي. أبو العباس أحمد بن أبي العافية المكناسي (ت 1025 هـ).
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس،دار المنصور للطباعة والـوراقة، الرباط، 1973، ق 2.
32. ابن القطان.أبو محمد حسن بن عبد الملك الكتامي (ت 628 هـ)
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،تحقيق، محمود علي مكي،دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية،1990.
33. ابن قنفذ. أحمد بن الحسن القسنطيني (ت 810 هـ)
- أنس الفقير و عز الحقير، تحقيق، محمد الفاسي و أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي،الرباط، 1965.
- الفـــارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق،عبد المجيد التركي،الدار التونسية للـنشر،1968 38.
- الـوفيات، تحقيق عــادل نويــهـض،ط 4، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1403 – 1983.
34. الكتبي. محمد بن شاكر (ت 764 هـ)
- فـوات الوافيات والذيل عليها، تحقيق، إحسـان عباس، دار صـادر، بيروت، 1974 ،مج 3.
35.ابن كثير. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل القرشي البصري الدمشقي (ت 774 هـ)
- البداية والنهاية، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة والنشر والاعلان،الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م،ج 17.

36. الونشريسي.أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني .
- أسـنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يُهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تحقيق، حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية،الظاهر، 1416 هـ - 1996.

37. مجهول.
- رسائل موحدية:

* الجزء الأول: تحقيق، أحمد عزاوي، الجزء الثاني، منشورات كليـة الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة،سلسلة: نصوص ووثائق، رقم 2، الطبعة الأولى،1416 – 1995.

* الجزء الثاني: رسائل موحدية، تحقيق، أحمد عزاوي، منشورات كليـة الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة،سلسلة: نصوص ووثائق، رقم 2، الطبعة الأولى،1422 – 2001.

* رسائل ابن عميرة الديوانية القرن السابـع الهجري،جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة،الطبعة الأولى، 1429 هـ / 2008 م.

38. المراكشي. عبد الواحد (ت 647 هـ)
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان، الكتاب الثالث، 1963.

39. ابن مريم. محمد بن محمد المليتي المديوني التلمساني (ق 11 هـ).
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،تقديم،محمد الصالح الصديق، منشورات السهل، وزارة الثقافة.

40. المقري. أبو العباس أحمد القرشي التلمساني (ت 1041 هـ)
- نـفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1408 هـ - 1988 م، مج 1، مج 4، مج 5.

41. ابن منظور. محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711 هـ)

- لسان العرب،تحقيق، نخبة من الأساتذة، دار المعارف،1401 هـ - 1981 م.

42. النباهي. أبو الحسن بن عبد الله المالقي (ق 8 هـ).

- تـــاريخ قضاة الأندلس، وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق، لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1403 هـ / 1983.

43. ابن هشام .محمد بن عبد الملك

- السيرة النبوية،تحقيق، عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1410 هـ - 1990 م بيروت، ج1.

ب – المراجع

44. ابراهيم حسن. حسن

- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،دار الجيل، بيروت، لبنان،الطبعة الخامسة عشرة، 1422 هـ - 2001 م، ج 2، ج 4.

45. إدريس.أبو عبد العزيز إدريس محمود

- مــظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية،مكتبة الرُشد،الرياض،الطبعة الثانية، 1426 هـ - 2005 م، مج 1.

46. أرسلان. شكيب

- الــحلل السندسية في الأخبار والآثـــار الأندلسية،الطبعة الأولى، 1355 هـ - 1936 م، المطبعة الرحمانية، ج 1.

47. أشباخ .يوسف

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق، محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1471 هـ - 1996 م، ج 2.

48. برنشفيك. روبار

- تـــاريـــخ افــريقيـــة في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ترجمة،حمادي الساحلي،دار الغرب الاسلامي،الطبعة الأولى، 1988، ج 1، ج 2.

49. بلنثيا. أنجل جنثالث

- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، 1955.

50. بوزياني. الدراجي

- نُظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1993 .

- أدبـــاء وشعـــراء من تلمسان،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع،2011، ج 2.

51. بوعزيز. يحي

- مـــدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار البصائر للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2003، وهران.

- المـــوجـــز في تاريخ الجزائر، ج 1، الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 2009.

52. بونابي. الطاهر

- التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 الميلاديين،شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004.

53. توات. الطاهر محمد

- أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين،ديوان المطبوعات الجامعية، 2010 م، ج 1.

54. الحجي. عبد الرحمان علي

- التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة 92- 897هـ(711 – 1492 م)،دار القلم دمشق – بيروت،الطبعة الثانية 1402هـ -1981 م.

55. الحسني .عبد المنعم القاسمي

- أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى،دار الخليل القاسمي،الطبعة الأولى، 1427.

56. الخطابي .محمد العربي

- الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، ج 1.

57. أبو خليل. شوقي

- أطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر،الطبعة الخامسة، 2002، دمشق، ص 81.

58. بن رحال. السي إدريس

- كـنـــاشــة السي إدريس بن رحال أشعار من الموزون والملحون، تحقيق، محمد بن عمرو الزرهوني،موفم للنشر، الجزائر، 2008.

59. أبو رميلة. هشام

- عـــلاقـــات المــوحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الأنـدلس، دار الفرقان،الطبعة الأولى، 1404 هـ - 1984 م.

60. الزركلي. خير الدين

- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستــعربين والمستشرقين،دار العلم للملايين، بيروت،الطبعة السابعة، 1986، ج 5.

61. ســــالم. السيد عبد العزيز

- المساجد والقصـور في الأندلس،مكتبة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986.
- تاريخ مدينة ألمرية الاسلامية قاعدة أسطـول الأندلـس،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكنـدرية.

62. سعيدان.عمر

- عــلاقــات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر م، منشورات سعيدان، سوسة، تونس،الطبعة الأولى، 2002.

63. سعيدوني. ناصــر الديــن

- دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجـود الأندلسي بالجزائر،دار الغرب الإسلامي،الطبــعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م.

64. السلاوي. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،الدولتان المرابطية والموحدية،تحقيق، محمد الناصري وجعفر الناصري، ج 2.

65. سيسالم. عصام سالم

- جزر الأنـدلس المنسية،التاريخ الإسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين،الطبعة الأولى، يناير 1984.

66. شاكر. مصطفى

- الأنـــدلـــس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

67. شاوش .محمد بن رمضان

- بـــاقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان،ديـــوان المطبوعــات الجامعية، الجزائر، 1995.

68. الشطشاط.علي حســن

- نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء، القاهرة،2001.

69. الطمـــار. محمد بن عمرو

- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- تـــاريــخ الأدب الجــزائــري،تقديم، عبد الجليل مرتاض،ديوان المطبوعات الجامعية،الطبعة الثانية، 2010.
- تــلمســـان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،1984.

70. عجاج الخطيب.محمد

- الوجيز في علوم الحديث ونصوصه،موفم،1989 م

71. عزاوي. أحمد

- المغرب والأندلس في القرن السابع / 13 م، دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب، جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة،الطبعة الأولى، 2008.

72. عنان. محمد عبد الله

- دولة الإسلام في الأندلس:

* العصر الثالث: عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكنبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1411 هـ = 1990 م.

* العصر الرابع

- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1417 هـ = 1997 م.

73. عناني. محمد زكريا

- تـاريخ الادب الاندلسي،دار المعرفة الجامعية،1999.

74. أبو الفضل. محمد أحمد

- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري،دار المعرفة الجامعية، 1996.

- شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515 – 686 هـ / 1121 – 1287 م)، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري،دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996.

75. الفقى .عصام الدين عبد الرؤوف

- تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق.

76. فيلالي. عبد العزيز

- تـلمسـان في العهد الزياني،(دراسة سياسية،عمرانية،اجتماعية، ثقافية)،موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج1، ج 2.

77. قاسم.عبد الحكيم عبد الغني

- المــذاهــب الصــوفــيـــة ومدارسها،مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1999م

78. مارمول. كربخال.

- إفريقيا،ترجمة،مجموعة اساتذة،الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،مطابع المعارف الجديدة، 1408 / 1409 هـ -/ 1988 – 1989 م، ج 2.

79. المـصـري.محــمـود

- أصــحـــاب الرسول صلى الله عليه وسلم، مراجعة أبو اسحاق الحويني، دار الإمام مالك، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007م، ج 2.

80. أبو مصطفى. كمال السيد

- مـحاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مركز اسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 2006.

81. المطوي. محمد العروسي

- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب الإسلامي،1982.
- السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1406 هـ - 1986 م.

82. المغراوي. محمد

- الخـط المغربي تاريخ وواقع وآفاق،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية،الطبعة الأولى،1428 هـ / 2007 م.

83. المنوني. محمد

- المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الاسلامي إلى نهاية العصر الحديث، ج 1،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط،1404 هـ، 1983 م.

84. مؤنس. حسين

- الثــغــر الأعــلـــى في عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، 1992 م – 1413 هـ
- معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، مكتبة الأسرة، 1992.

85. مونغمري وات

- فـي تــاريــخ إسبــانيا الإسلامية، ترجمة، محمد رضا المصري،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،الطبعة الثانية، 1998.

86. النشار .محمد محمود

- تـأسيـس مملكة البرتغال،عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،الطبعة الأولى، 1995.

ج- المـقــالات والمجلات العـلـميـة

87. بدوي .عبد الرحمان

- كتاب الإحاطة لأبي محمد بن سبعين المرسي الأندلسي ،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،مدريد، مج 6، العدد 1 – 2، 1378 – 1958 م.

88. بوباية. عبد القادر

- إسهام العلماء الاندلسيين في الحركة العلمية بتلمسان خلال القرن السابع الهجري (13م) ، عصور الجديدة – العدد2- عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية 2011 م/ 1432 هـ .

89. بوسكيتس موليت . خايميه

- المخطوط اللاتيني العربي حول تقسيم جزيرة ميورقة،صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد،مج 4، العدد، 1 – 2، 1375 هـ - 1956 م.

90. بوعزيز. يحي

- مركز بجاية الحضاري و دوره في اثراء الحضارة العربية الاسلامية و في نهضة ايطاليا و جنوب غرب أوروبا ، مجلة الحضارة الإسلامية، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الاسلامية، وهران، السنة الأولى، 1414 هـ / 1993 م.

91. حاجيات.عبد الحميد.

- تــلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط "، مجلة الحضارة الإسلامية، عدد خاص بالملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب الاسلامي، المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الاسلامية، وهران، السنة الأولى، 1414 هـ / 1993 م.
- تطور العلاقـات بين تلــمسان و غرناطة في العصر الوسيط "، عصور الجديدة، العدد 2- عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامية، 2011 م / 1432 هـ.

92. سامعي. اسماعيل
- حركة التعليم في المغرب الإسلامي إبان القرنين 3 و 4 هـ / 10 – 11 م "،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، قسنطينة،العدد الأول، محرم 1423 / أفريل 2002.

93. شيخة.جمعة
- مجلة دراسات أندلسية،العدد2، خاص بابن الأبــار، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس، 1409 هـ / 1989 م.

94. صادق. غريش
- قراءة في مخطوط" استغفار أبي مدين "، المجلة الجزائرية للمخطوطات،مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران، الجزائر، ع 9،2012 م.

95. عبد القادر. العربي
- التجربة الصوفية الجزائرية بين الزمن والمتزمن، مجلة الحكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، العدد 13، 2012م.

96.عزرودي.نصيرة
- هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام من القرن 7هـ -13 إلى القرن 8هـ - 14م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد رقم 04، ديسمبر 2009 م.

97. فيلالي،عبد العزيز

- الأحـوال الصحية لسكان تلمسان في عهد بني زيان(تأثير الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية والأزمات السياسية على السكان)" =التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال ملتقى دولي في التاريخ، 23 – 24 نيسان – أفريل سنة 2001 ، منشورات مخبر الدراسات التـاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة.

98. الطالبي. محمد

- الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين،مجلة الأصالة،العدد 26 ، مطبعة البحث،قسنطينة،1975 م.

99. مجموعة باحثين

- صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلاميـة في مدريد،مج 29، عدد خـاص بمدينة قرطبـــة، مدريد،1997 م.

100. مجموعة باحثين

- مـجـلـة دراسات أندلسية،العدد2، خاص بابن الأبــار،مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار، تونس، 1409 هـ / 1989 م.

101. مؤنس. حسين

- أبو الحسن علي بن يوسف الحكم الكومي، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مج 6،مدريد، 1378 هـ - 1958 م،العدد 1 – 2.

102. نجادي. بوداعة

- علم الحديث و رواده بالأندلس خلال القرن السادس والسابع الهجري ،مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 16،منشورات كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية،جمادى الثانية 1433 هـ - ماي 2012 م،

103. النشار .علي سامي

- أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال وأثره في العالم الإسلامي ،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،مدريد، العدد الأول- السنة الأولى، 1372 – 1953م.

104. المغراوي. محمد

- الخط المغربي عند ابن خلدون،الذخائر،عدد خاص، الخط والمخطوط العربي،العدد التاسع، السنة الثالثة، شتاء 1422 هـ / 2002 م.

هـ - الـــرســـائـل الجــامـعيـــة

105. جرار. ماهر زهير

- ابن الأبار الأندلسي الأديب (595 – 658 / 1198 – 1259)، رسالة مقدمة إلى الدائرة العربية في الجامعة الأميركية في بيروت لنيل درجـة الماجستير في الأدب العربي، حزيران، 1983.

106. الحساني .فايزة بنت عبد الله .

- تاريخ مدينة سرقسطة منذ عصر الخلافة الأموية حتى سقوطها(316 – 512 هـ ت 928 – 1118 م)، دراسة سياسية وحضارية، إشراف، سعد عبد الله البشري، 1429 – 1430 هـ،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلايمة، جامعة أم القرى، مكة.

107. حسن.عامر أحمد عبد الله.

- دولـة بـــنــي مرين: تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668 – 869 هـ/ 1269 – 1465 م)، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، إشراف عدنان ملحم، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 1424 هـ /2003 م.

108. خليفي.رفيق

- البيـوتـــات الأنــدلسيـــة في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3 هـ إلى نـــهـــايـــــة القرن 9 هـ،إشراف نجيب بن خيرة،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم التاريـــخ، قسنطينة، السنة الجامعية،1428 – 1429 هـ / 2007 – 2008 م.

109. أبا الخيل. محمد بن ابراهيم بن صالح الحسين

- جـهـــود علـــمـــاء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين(483 هـ / 1090 م – 640 هـ / 1242 م)، رسالة دكتوراه، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1419 ه / 1998 م.

110. الدرة.عبد القادر علي أحمد.

- العلماء الشهداء في الأندلس (400-897 هـ = 1009 – 1492 م)، إشراف خالد يونس الخالدي، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية، غزة، 1430 هـ - 2009 م.

111. زرهوني. نور الدين

- الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف، بن نعمية عبد المجيد،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، السنة الجامعية، 1422 – 1423 هـ / 2001 – 2002 م.

112. سعد.فرح

- الحـيـــاة الثــقــافية في الدولة الزيانية على عهد يغمراسن سنة 633 هـ - 681 هـ / 1231 م – 1280 م، اشراف، دحو فغرور، بمساعدة، سلطاني الجيلالي، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية،قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية، 2001 – 2002.

113. ابن شريفة. محمد

- أبو المطرف بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1966.

114. طريفة. حميد

- ابــن الأبار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي،دراسة موضوعية فنية،إشراف، محمد حجازي،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية، 1430 – 1431 هـ / 2009 – 2010 .

115. عبيدلي. أحمد

- الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين، دراسة موضوعاتية فنية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي القديم،إشراف، محمد الأخضر الزاوي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية،1425 – 1426 هـ / 2004 – 2005 م.

116. عربية .بورملة

- إمــارة بنــي توجــين بالونشريس خلال القرنين (7 – 8 هـ / 13 -14) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمان بن خـلدون، إشراف، محمد بن معمر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسـم الحضارة الاسلامية،السنة الجامعية، 1430 – 1431 هـ / 2009 – 2010 م.

117. عقبة. السعيد

- الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع الهجري / 13م من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني (ت 704 هـ / 1304 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي – تاريخ وسيط، إشراف، عبد العزيز

فيلالي،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية، 1429 – 1430 هـ / 2008 – 2009 م.

118. فؤاد . هلال

- خطـة مشيخة الغزاة بين بني الأحمر وبني مرين، 670 - 783 هـ / 1271 – 1381 م،تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس،اشراف،بـحاز ابراهيم، جـــامــعــة مـنـتوري،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،السنة الجامعية، 2008 – 2009 .

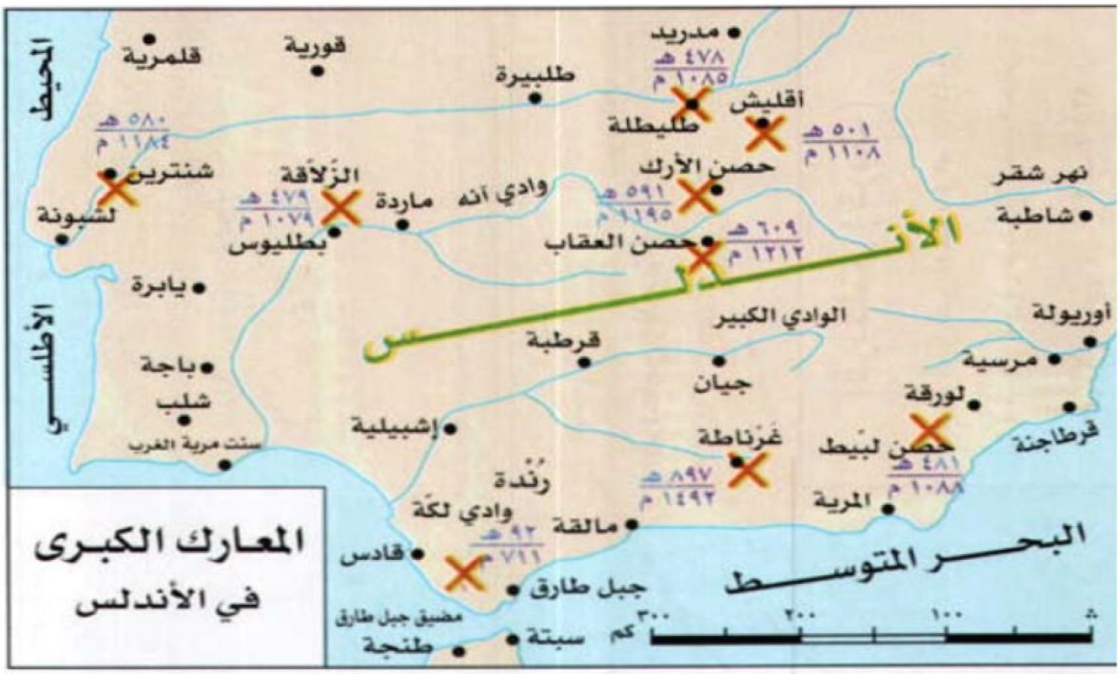
119. هـوارية. بطيب

- السـوق في الدولة الزيانية، 646 هـ - 1248 م / 952 هـ - 1545 م، إشراف عبد المجيد بن نعمية، بمساعدة،محمد بن معمر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، وهران، السنة الجامعية،2002 / 2003 م.

الملاحق

الملحق الأول:

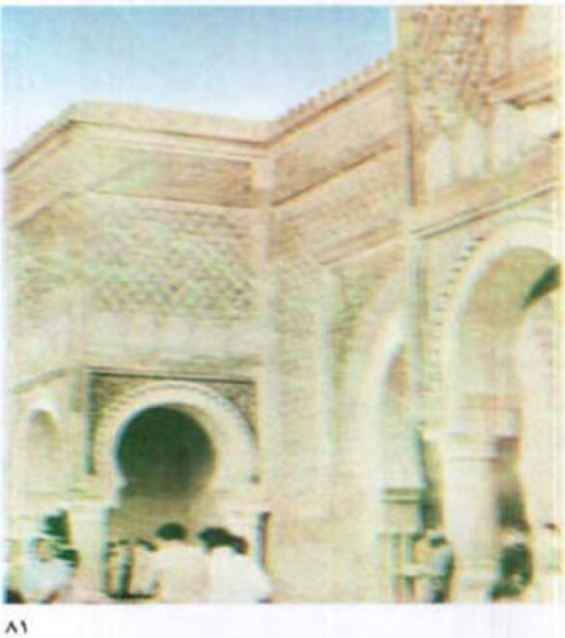
خـريـطـة المـعـارك الكُـبـرى في الأندلس[1]



أسوار مراكش التي بناها السلطان علي بن يوسف بن تاشفين



مكناس



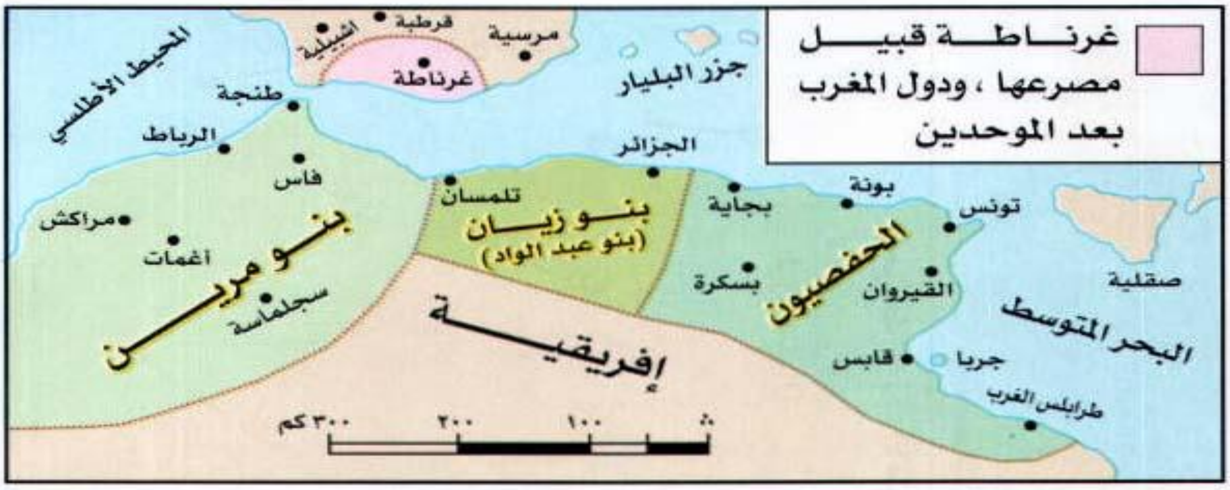
٨١

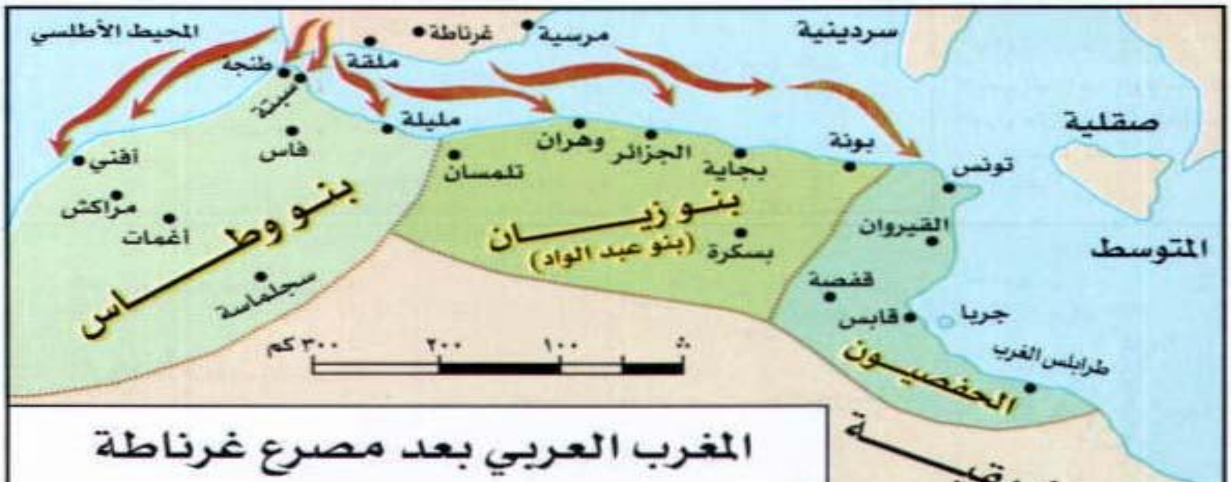
---

1 شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر،الطبعة الخامسة، 2002، دمشق، ص 81.

<u>الملحق الثاني:</u>

خريطة تُبين الممالك التي اقتسمت إرث الدولة الموحدية[1]







أبو عبد الله الصغير يسلّم مفاتيح غرناطة

٨٤

---

1 شوقي، أبو خليل، مرجع سابق، ص 84.

الملحق الثالث:

عقد بيعة أهل بجاية بولاية العهد للأمير المستنصر الحفصي.[1]

" الحمد لله الذي خفي عن الأذهان كُنه ذاته، وظهر في الأكوان بما بهر من آياته، وانفرد بالوحدانية فلا يتكثر بصفاته، واختص بقاءه بالأزلية والأبدية، فلا يتصل بالزمان ونهاياته، سبحانه من حكيم عليم لا مُبدل لكلماته، ولا مُجير غيره من الجهل واتساع خطيئاته والشيطان واتباع خُطواته؛ نحمده بمحامده التي ألهمها القانتَ المُنيب في خلواته، وجعله سببا لفوز الفائزين بعميم هِباته، ونجاةِ الناجين من أليم سطواته؛ ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو مُعطي كلِ حيٍ ما قُدر له من رزقه وحياته، وأن محمدا عبده ورسوله الذي أتاه ببيناته وأيده بمعجزاته، واصطفاه كريمَ المَولد طاهرَ المحتِد من آبائه وأمهاته،وأنزل عليه الكتاب العزيز الذي أفعم للمهتدين سجال بركاته، وقطع ظهورَ الجاحدين عند محاكمته وعن محاكاته،فانقطعوا **(وقالوا لوا نُزل هذا القرآن)**[2] والله أعلم حيث يجعل رسالاته، وبعد أن أبلغ أمر الله أقصى غاياته، وقهر الأديان وهد الأوثان بدعواته وغزواته، أمر بالتسبيح والاستغفار إشعارا بدنو أجله وقرب وفاته، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذرياته، وعلى جميع أصحابه وأنصاره أعلام الدين وهُداته، ونسأل الله رضاه عن مهديه المعلوم الذي وُسم من التخصيص بالزمان والنسب والمكان بأشرف سماته، وعن أولياء دعايته وأنصار رايته حفظة الدين الحنيف وحُماته، ونجدد الدعاء لكافي الأنام وكافل الإسلام، الميمون النقيبة والضريبة والأقلام والأعلام،مولانا الأمير الأجلُ المبارك المؤيد المنصور المُظفر الأسعد الأشرف الأرضى باسط اليد العليا، وناظم أمر الدين والدنيا،أبو زكرياء بن الشيخ الأجلُ المعظم المُقدس المُجاهد أبي محمد بن الشيخ المعظم المقدس أبي حفص بنصر يقضي له على عداته، ويتعرف منه أفضل عاداته،ولولي عهده وسليل مجده الحائز في رهان الفخر أقصى قصباته، والفارع من باذخ الشرف شُم شماريخه وهضباته،

---

1 هذا العقد من إنشاء ابن عميرة، وأغلب الظن أن يكون تاريخه النصف الثاني من سنة 646 هـ، عزاوي، رسائل ابن عميرة الديوانية، ص ص 141 – 145.

2 من الاية: 30 من سورة الزخرف، وتمامها **(وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم).**

الأمير الأجل السعيد المبارك الطاهر الأعلى الصالح الكامل أبي عبد الله بسعد يبهرُ آية الشمس بآياته، ويقضي برسوخ مِلكه وثباته.

أما بعد، فالحمد لله إعادة عقب بدءٍ بعد أداءٍ، وقياماً بحقوق نعمه التي أظهرها في الأكوان، وظَاهَرَها على نوع الانسان، بعث النبيئين مبشرين ومنذرين فهداهم السبيل، وأنزل عليهم التحليل والتحريم واختصنا بأشرفهم نصابا، وأبينهم بيانا وخطاباً، وأفضلهم مولدا ومُهاجراً وعِترةً و أصحاباً، فكان سيد الأنام، ولبنة التمام، والمبلغ عن ربه دعوته إلى دار السلام، توفاه الله سبحانه وقد كمُل الدين، وأدى إليه ما أنزل به عليه الروح الأمين، وقام بعده الصديق فاستقر أمره كما كان عليه السلام أقره وأفهمه، ولم تطِب نفسُ أحدٍ أن يؤخره عن مَقام نبيه الذي قدمه، ثم عهد إلى الفاروق فبذلك العهد المبارك هُدَتِ البيَعُ والكنائس، وغلبت الرومُ وفارس، ونزل النصرُ الذي حل عرى الشرك ونقضها، وقسم مفاتح البلاد عرى أهل الجهاد وهي التي كان صلواتُ الله عليه قبَضها، فكان هذا أولُ ما عُرف من يُمن العهود، وأحقُ عقدٍ تأكدَ وجوبه بقوله سبحانه: **(يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود)**[1]؛ولم يزلْ أئمة العدل يهتدون بسراجه، ويشهدون بوضوح منهاجه، ويروْنه مصلحة تضُم النشر، وتعم البشر، وجُنة تمنع من أن يستحق بحق باطلٌ، أو يتمنى متمنٍ ويقول قائلٌ، وكان أولى من اهتدى بالسلف الكريم، وجرى على هذا النهج القويم، وأمعن النظر بعد الاختيار والاختبار والتثقيف والتقويم، قاصدُ الرفق برعاياه، وطالبُ الحق في قضاياه، النائبُ عن الأقمار والبحار محياه وعطاياه، مولانا الأمير الأجل المؤيد، المنصور المبارك الأسعد الأنجد، الأشرف الأفضل، أبو زكرياء أيد الله أوامره، وخلد مفاخره، فإنه بما أتاه الله من إقامة حقه، واسترعاه من أمور خلقه، حاط الدمار، وحط الأوزار، وأشرق بدرُه في مطالع الآفاق وأنار، ثم نظرٌ لا زال بعين التقوى ناظراً، وبيْن لامتي التوفيق والإلهام مُظاهرا، فلم ير ما يطابق سهرُه ليل التمام، وسفرُه في مراحل الاعتناء والاهتمام، إلا ناظراً آخرَ أعده للمآل، وسبق إليه قبل السؤال، وأرصده للحوادث التي رأى الأيام عنها يتمخض حمْلها، وعلى شرطِها صحِبها ويصحبُها أهلها، وله بعد هذا إن شاء الله الأمدُ الأطول، والبقاءُ الذي باقتباله وفي وارِف ظِلاله تُتلقى البشائرُ وتُستقبل.

1 سورة المائدة: الأية الأولى.

فبعد تقديمه رائدَ الاستخارة، واقتداحه زنْدَ آرائه الباهرةِ الإنارة، رائضا للروية في مُدتها، قابضا على صريحِ ما أعطتْه من زُبدتها، رأى أن عهدَه الكريم قلادة ليس كلُ جيدٍ يُطوقها، وأمانة إنما يتطاول لها من الأيدي أسرعُها إلى الصالحات وأسبقها، ولم يكن ليتردى رداءها، ويتحمل أعباءها، إلا من أخذ بقوة كتابَها، وليس على طهارة ثيابَها، وتأدب بأحكامها وأحكم آدابَها، وهو نجلُهم المبارك السعيد الأمير الأجلُ الطاهر الكامل الأشرف الأفضل أبو عبد الله أعلى الله يده وأيْده، وشرف يومه وغده، فهو قُطبُ رحاها، وشمس ضحاها، وباري قوس رمائها، بل مشتري قوسَ سمائها، من إن ذكرت المفاخر فإلى بيته الكريم منتماها أو إلى المعالي فمن غيرُهم حمَى حِماها، أو أيامُ الفتوح فما سواهم أبسهم الغُرر والحُجول، وعودَ حبلها بوصاة الأسلاف في عرصات أهل الخلاف أن تحضُر وأن تجول؛ وما يقال في جوادِ سبْقٍ على هذه الأعراق جرى، وطليعةِ حقٍ بأحد الأحداق يرى، طاب فرعُه الأعظم بطيب أصله، وصاب فرغُه المقدم فاهتزت الأرضُ بصوْبه ووبْله، فأمضى ذلك أيده الله في حضرته العلية السنية – أعزها الله – إمضاءً أراد به انتظام الكلمة، واتفاق أمر الأمة المسلمة، وأن تبقى محفوظة حفائظ الدفاع عن دعوة الحق، مكلوةً حوزةُ الإسلام في المغرب والمشرق؛ ولما استكمل هذا العهدُ الشريف شروط الصحة والكمال، ورأى الله عمله من خير ما أسعد به وصعِدَ إليه من الأعمال، **وردَت المخاطبة العلية الكريمة على الموحدين والأشياخ والأعيان والكافة ببجاية – حرسها الله، وأكرمهم بتقواه -، يتضمن إبرام هذا الأمر السعيد، والإعلام بما فيه من مصلحة القريب والبعيد، فجُمع الناسُ لرائق يومها، وأوقِظت عيونُ المَراح والارتياح من سِنتها ونومها، وتُلي عليهم نصُه الجليُ العليُ فاقتسموا صلة السرور به اقتسامَ المحاويج، وأحكموا كلَ ما يُقتبس منه بالنقل والتخريج، وكان لهم بالدعاء المربوع والثناء المسموع ضجيجٌ كضجيج الحجيج، وانتهوا إلى ما تلا عليهم من قوله تعالى (وما جعله اللهُ إلا بُشرى لكم ولتطمئن قلوبكم بـه)[1]، فيالقلوبٍ اطمأنت، ونفوسٍ في ميدان الفرح والمرح استنت، (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)[2] وقد أنست منه بحمد الله ما اشتهت وتمنتْ، وهذه البُشرى التي**

1 سورة ءال عمران: الأية 126.

2 الآية الكريمة السابقة نفسها.

صافحتها القلوبُ لا الأيْمان، واختار لها أبهجَ فصول الزمان، قد سرت في النجد والفوْر، وكست من نفائس حُلاها أضعافَ ما كسِيَته الأرضُ من حُلل النوْر، ولم يجوِزْ أحدٌ في أمرها العزيز التراخي وإنما حمَله على الفوْر؛ فحضر الكافة للبيعة السعيدة آخذين فيها بعزيمة الطاعة، مُجتمعين فيها لأداء فريضتها كالحضور لصلاة الجماعة، فبايعوا للأمير الأجل السعيد المبارك الطاهر الكامل أبي عبد الله – أطلع اللهُ الإسلام يُمن نقيبته، ولا زال من نصره في سواء عرصته وتحت لواء كتيبته -، بولاية العهد الذي قلده الله طوْقها، ورآها كُفؤه حين لم ير شيئا فوقها، على سُنتها التي نهج صلحاءُ الأمة سبيلها، واقتفوا دليلها، وأرادوا بها في العاجل والآجل تقويمَ الأمور وتعديلها، وإبطال الشُبه المضلة وتعديلها، بيعة محكمة السائر، مستوية الباطن والظاهر، منسحبة الحكم على البادي والحاضر، والوارد والصادر، أعطوا بها صفقة أيمانهم رضىً وطواعية، ووكلوا برعاية حقوقها أعينا منهم كالئة وآذانا واعية، في السر والجهر، واليُسر والعُسر، والرضى والسُخط، والمكره والمنشط.....".

الملحق الرابع:

ظهير زياني لفائدة الأندلسيين اللاجئين إلى تلمسان.[1]

" هذا ظهير عنايةٍ مديدُ الظلال، وكرامةٍ رحيبة المجال، وحماية لا يُخشى على عقدها المُبرم وعهدها المُحكم من الإنحلال والإختلال،أمر به فلان[2] - أيد الله أمره، وابد عصره - ،لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان – حرسها الله – أحلهم به من ريعه الجميل أكنافا، وبوأهم من اهتمامه الكريم جنات ألفافا،ووطأ لهم جناب احترامه تأنيسا لقلوبهم المُنحاشة إلى جانبه العلي واستلافا،وأشاد بما له فيهم من المقاصد الكرام،وأضفى عليهم من جُنن حمايته ما يدفع عنهم طوارق الإضطهاد والإهتضام، حين اختبر خدمتهم فشُكروا ما تولوا فيها من الجِد والإجتهاد،واطلع على أغراضهم السديدة في **اختيارهم حضرته السعيدة للسُكنى على سائر البلاد**،فلحظ لهم هذه النية واعتبرها، وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه المناحي الحميدة وآثارها، وأذن – أيده الله – لهم ولمن شاء من أهل تلمسان البلديين في كذا..."

1 عـزاوي، المغرب والأندلس في القرن السابع / 13 م،ص 159، الرسالة السادسة والخمسون وهي من إنشاء ابن خطاب الأندلسي عن أمير تلمسان يغمراسن في حوالي سنة 677 هـ.

2 المقصود به يغمراسن و كان لتدخل النُساخ الدور في حذف اسمه وإغفاله، أنظر عزاوي في تحقيقه للمسألة، المرجع السابق نفسه، ص 159 ، الهامش 3.

الملحق الخامس:

جدول يُمثل ولاة بجاية الحفصيين في القرن السابع الهجري / 13 م.[1]

01	أبو عبد الله محمد اللحياني	627 – 633 هـ / 1230 – 1236 م	06 سنوات
02	أبو يحي زكرياء ابن الأمير أبي زكرياء يحي	633 – 646 هـ / 1236 – 1249 م	13 سنـــة
03	أبو هلال عياد بن سعيد الهنتاني	660 – 673 هـ / 1275 – 1279 م	13 سنـــة
04	محمد ابن أبي هلال	673 – 679 هـ / 1275 – 1279 م	05 سنوات
05	عبد الحق بن تافاركين	سنة 678 هـ / 1279 م	أقل من سنة
06	أبو فارس بن السلطان أبي إسحاق بن أبي زكريا	679 – 682 هـ / 1280 – 1283 م	03 سنوات

1 السعيد عقبة،الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع الهجري / 13م من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني (ت 704 هـ / 1304 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي – تاريخ وسيط، إشراف، عبد العزيز فيلالي،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، قسنطينة، السنة الجامعية، 1429 – 1430 هـ / 2008 – 2009 م، الملحق رقم (02)، ص 186.

الملحق السادس:

تهنئة ببيعة عثمان بن يغمراسن[1]

مولاي السلطان أبو سعيد أدام الله مدة حياته،وعرفه من التأييد ما يتكفل لأمره بالتأييد ويقضي بتقرير ملكه وإثباته،عبده وخديمه، وموالي الشكر لإحسانه الجزيل، ومُديمه، محمد بـــــن خطاب، سلام....

وبعد الحمد لله الحي الذي لا يموت، والصلاة على سيدنا محمد رسولى الذي آتاه من الآيات والمعجزات ما يفوق الحصر ويفوت، وعلى ںله وصحبه أرباب اليقين المجتهدين في حماية الدين حتى دمر الشرك المنشي الممقوت،والدعاء لإمارتكم السعيدة بنصرٍ تروق عليها الحلى منه والنعوت.

فكتبه – كتب الله لكم البقاء أطول، والعزاء الأجمل، والعلاء الذي يشمل الماضي والحاضر والمستقبل -،من تلمسان، وقد كان من وفاة مولانا السلطان أبي يحي والدكم – قدس الله ثراه، وجعل الجنة مثواه -،ما جرى به القدر،وشاب لأجله صفو الحياة الكدر،وملأ القلوب حزنا،وصير سبيل العزاء وعرا حزنا؛فياله رزءا فادحا، وثكلا جرى بنا في ميدان السى جامحا،ونغص العيش، وعلم الحليم الوقور الطيش، وصار شجىً في الصدر معترضا،فلو قاومته نفوسنا وفديناه عن طوع منا ورضىً،ف**(إنا لله وإنا إليه راجعون)**[2] تسليما لأقداره التي لا تدفع ولا تصد،ورضىً بحكمه في أرواحنا التي هي عواري تُسترجع لوقتها وتُرد؛ وقد علم مولانا – أيده الله – أن هذه الدار للفناء مخلوقة، وأن النفوس مُصبحة لا محالة لمناياها ومطروقة،ارتفع الالتباس وعاد تقصى في صحبتها الناس.

---

1 عـزاوي، المغرب والأندلس في القرن السابع / 13 م،ص 108، ص 108 – 109، الرسالة السابعة والثلاثون، وهي من إنشاء ابن خطاب الأندلسي ، وموضوعها عن الحالة الداخلية لإمارة تلمسان.

2 سورة البقرة: الأية 155.

وإن كان فقد مولانا – رحمه الله – خطبا عسيرا،و ثكله عظيما لا نجد له نظيرا، فقد أدال الله من جزعه صبرا، وجعل مع عسره يسرا، وهو ما يسر من الاتفاق على بيعتكم السعيدة، وحلولكم في مرتبة الملك المشيدة،وهنيئا لها فإليكم كان ميلها، فصبح ولايتكم انجلى عليها ليلها،تالله إنها لولاية عاد بها إلى الملك شبابه، وفُتحت من صلاح المستأنف أبوابه،فضفى على الجوانب سربال الأمن وجلبابه، هنا الله مولانا هذا الصنع الذي نسخ كل كرب، وأدخل النور في كل قلب،وأجل الصنائع موقعا،وأنورها مطلعا،ما أهدى الجدل إلى الصدور، ومحا أثر الحزن منها بيد السرور، وأعقب التعزية التهنئة كما عقب الظلام بالنور؛والله تعالى يجزل ثواب مولانا في ثكله ويبارك له في هذه الهبة التي لبس حلتها المعلمة فكانت من زيه وشكله،ويعرفه إسعاده المنجد وإنجاده المسعد في أمره كله.

ولولا موانع وعلل يعلمها مولاي – أيده الله – لقمت بين يديه حيث كان بالتعزية والتهنئة ولوفيت واجبه الذي أخصه بالتقديم والتبدئة،ولكن أرجو أن مولاي يقبل عذري، ويُكثر نزري، ولا ينظر إلا إلى ما ينوي عنه من الإخلاص صدري، إن شاء الله ، والسلام.

كُتب في الخامس لذي الحجة من عام أحد وثمانين وستمائة.

المحتويـــات

ملخص

النشاط الذي ميز الحملات الصليبية خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) على أرض الأندلس، إذ تنادى ملوك النصارى في ممالكهم القوية، بل وفي أوروبا كلها لنصرة الصليب، في الوقت الذي كان المسلمون لا يخرجون من فتنة حتى يدخلوا أخرى هي أعظم .فكثُر على أثر ذلك الأمراء والخلفاء المتناحرون في الأندلس، لا سيما بعد انهيار سلطان الموحدين فيها تحت وطأة الهزائم العسكرية الكبيرة، وانشغالهم بفتن الكرسي في مراكش وما جاورها.أدى ذلك الوضع السياسي المُتعفن إلى اندفاع جيوش النصارى في حماسة وشوق لاقتلاع الوجود الاسلامي وتنصير الجزيرة. وكان مما زادهم فرحا تذوقهم لنشوة الانتصارات المتتالية على جيوش المسلمين التي أنهكتها الصراعات الداخلية والجانبية بين أمرائها الضِعاف والذين صاروا يستجيشون بالنصارى على بعضهم البعض.وهكذا سشهد القرن السابع للهجرة سقوطا متواليا للعواصم الإسلامية على خط النهر الكبير وفي الشرق والغرب أيضا في فترة لم تتجاوزِ الثلاثين عاما، وهو ما حتم على الأهالي الاختيار بين الهجرة أو التهجير أو التقتيل أو التنصير. ومع اشتداد وطأة الهجمات النصرانية الناجحة على الأراضي الأندلسية، اضطَر الأهالي خلال القرن 7 هـ / 13 م ، إلى ترك الوطن ، وهاموا على وجوههم في كل صوب، وذلك طمعا في الوصول إلى أماكن أكثر أمنا .ً كما عمل البحث على ابراز التنافس الكبير لحكام الدولتين: الحفصية والعبد وادية على استقطاب الوافدين و المهاجرين الأندلسيين تتبع الأثر والدور الثقافي الذي أفرزته الهجرة.

الكلمات المفتاحية:

الأندلس؛ المغرب الأوسط؛ قرطبة؛ بلنسية؛ الموحدون؛ بنو حفص؛ بنو عبد الواد؛ ابن الأبار؛ الششتري؛ العقاب؛ ابن الأحمر؛ فرناندو الثالث؛ الحركة العلمية.

نوقشت يوم 21 أبريل 2014